

صبراً يا غازية !
قد تشمخين
وانت تغزين القلب
بابجديات العشق
لكنك تجهلين
أني غازٍ بالفطرة !
غازٍ بابجديات خاصة
" الحرب سجال ..
يوم لنا ...
ويوم .... لنا ! "
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com
روايتي
حصريا لشبكة روايتي الثقافية
سلسلة الياذة العاشقين ..الجزء الثالث
صبراً يا غازية..
بقلم كاردينيا73


صبراً يا غازية
سلسلة إلياذة العاشقين.. الجزء الثالث
للكاتبة
كاردينيا73
Design
بحر الندى
صبراً يا غازية
قد تشمخين
وأنتِ تغزين قلبي
بأبجديات العشق
لكنكِ تجهلين
أني غازٍ بالفطرة !
غازٍ بأبجديات خاصة
" الحرب سجال ..
يوم لنا ...
ويوم .... لنا ! "
www.rewity.com

المقدمة

صفية ...

لم اشعر يوما بالاستفزاز كما اشعر عندما يكون قريبا!

كل شيء فيه ... مستفز!

ابتداءً من نظراته التي تتستر بقناع اللامبالاة لتثير غيظك من تعاليه المتأصل فيه وتتسلط على حنقك فتثيره بالغموض لتجد نفسك رغم انفك تتساءل بمَ يفكر ؟!..

ابتسامته الساخرة الواثقة التي ترتعش احيانا بتعبير يثير الحواس ..

ضحكاته الرجولية عندما تتعمد الموظفات التافهات ملاطفته والتقرب اليه بصفاقة ..

صوته الاجش وهو يتكلم بجدية فتعطيه هيبة لايملك مؤهلاتها حقا !

حتى عطره مستفز !

وحاسة الشم القوية لديّ لاتساعد ابدا ... استشعر وجوده عن بعد كأني كلب بوليسي وعطره النفاذ يحمله الهواء الي دون عناء ...

عطر يعكس الثراء الذي ينتمي اليه منذ الولادة ...

ثراء فاحش انظر اليه كمتفرجة ضمن طابور طويل من المتفرجين على عائلة الغازي ، فتجد من يرمقهم بحسد ومن يحدق فيهم باحباط وهو يطلق تنهيدة طويلة تعبر عن الحسرة واليأس .. وتجد ايضا من يلاحقهم بنظرات تتحين الفرص وافواههم تلهث بالطمع! وهناك من يحدق فيهم ملء عينيه وكأنه يراهم لاينتمون للواقع بصلة ! وتراه يتساءل بحمق وبلاهة هل يأكلون ويشربون مثلنا ؟!!

اما انا ... فلاانظر اليهم الا انهم مجرد بشر مختلفون عن غيرهم ... مختلفون عني وعن الناس الذين اعيش معهم وعاشرتهم طوال حياتي ...

لكن يبقى ماهر الغازي حالة استثنائية من رجال عائلة الغازي ... على الاقل بالنسبة لي ، انه حالة مستفزة .. محيرة !!

انه لايشبه اخاه الاكبر مهدي الذي تلتمع عيناه بالذكاء الشديد لكنه ذكاء صافٍ لاتشوبه الشوائب ، انسان واضح بانسانيته رغم غموض سرائره ! قد يثير الاستغراب لكنه لايثير الريبة !

كما انه يختلف عن ابن عمه ظافر الغازي .. الذي لااستطيع ان اصفه الا بجواد جامح لايمكن التنبؤ بردات فعله ! لكنه منذ زواجه وهو يعيش حالة غريبة من الهيام ! وكأنّ هناك غمامة ناعمة تشتت ذهنه الحاد احيانا ...

اما والده شاهر الغازي فهو يختلف عنه جملة وتفصيلا .. فالسيد شاهر رجل لم ارَ مثله .. يملك رقة متناهية مع حزم قاطع .... اسلوب ناعم لكنه شديد الذكاء ليحصل على ردة الفعل التي يبتغيها حين يشاء .... شخصية تستحوذ على الاعجاب .. تبهرني الى درجة تدمع عيناي وانا اتخيله والدي انا !!

الوحيد الذي ارى فيه تشابها معه هو .... عمه .. اسر الغازي ... ذلك الذي اشتق الغموض منه !

رجل داهية لديه جاذبية غريبة غير مألوفة ، نظراته .. ابتساماته .. حركات يديه .. كلماته ... كل شيء فيه يعكس جاذبية فطرية لاتشيخ وصلابة لاتهن ولا تضعف ...

وما ماهر الغازي الا انعكاس (من نوع ما) لذلك العم الآسر ...

كلهم يشتركون بالتحلي بالغموض الجذاب لكن مع لمسات شخصية تعكس اعماقهم فتمنح كل واحد منهم تفردا لايتكرر ...

امّا ماهر الغازي فلم استطع ان احدد ما هي لمسته الشخصية التي تجعله متفردا!

في البداية كنت اتصوره مجرد شاب وسيم غني مدلل ، عابث .. لكن .. بعد ما حصل بالمصعد قبل اسابيع اثار حيرتي وريبتي ... وتوجسي ...

ما زال غامضا .. هادئا لكنني استشعر الكثير تحت المياة الساكنة ... الكثير مما لااستطيع تحليله او التكهن به ...

لقد تحرش بي الكثيرون قبله وبعضهم من المترفين امثاله وهم يظنون فقري نقطة ضعفي !

اغبياء ...!!

فقري هو نقطة قوتي لادرك ما يحصل حولي ، الفقر يجرد الحقيقة من اي تزويق كاذب ... يريك الحياة مكشوفة لتحدد ما تريد وتدرك ما يريده منك الآخرون ...

مع ذلك فماهر الغازي يثير حيرتي ...!!

ماذا يريد مني ؟! لقد ابتعد عن طريقي منذ حادثة المصعد لكن مع هذا لا اشعر بأي مسافة واضحة تفصلني عنه !

ماذا يريد ... ماذا ؟!!....

ماهر

اجمل ما فيها حيرتها هذه !

تبدو كغزالة بريّة تجوب الوديان بشعور من الامان الزائف حولها ، لكن في داخلها تستشعر شيئا غامضا متربصا بها يثير حيرتها اكثر مما يخيفها !

وهنا يكمن سر جاذبيتها ... انها لاتخاف شيئا حتى وان استشعرت الخطر يحاوطها من كل جانب ... على اتم الاستعداد لمجابهة اي شيء مهما فاجأها ... لديها صلابة لم أرها في فتاة من قبل خصوصا انها لم تتجاوز العشرين ...

فمن اين لها كل هذه القوة التي تشع منها ...

مبهرة بتلك الاطلالة الواثقة المغوية ...

عيناها تحملان التحدي على الدوام ... تحملان فضولا انثويّا لتدرس بتأن ما يدور حولها وتحلله ...

انها تتوجس مني ولكنها لاتملك دليلا واحدا على سبب هذا التوجس ! الامر لايتعلق بأي نوع من التحرش وهي تدرك ذلك بطريقة ما ، لذلك هو متوجسة لانها ..لاتفهم !

كم هو ممتع الاقتراب على مهل ... الاقتراب وانا اراها كيف تتلاعب مع شعورها بالحيرة نحوي ...

تظن اني لاادرك ما يجول في خاطرها ، تظن اني تناسيتها وادعي البرود لاداري الفشل ، لكنها لا تعلم اني لااتنازل عن ثأري ...

فيوم تجرأت وامسكت قلبي بقبضتها ، يوم مزقته ألما وهي تعتصره بتلك القبضة دون رحمة ... عندها ...

حكمت على نفسها ...

انها لن تكون الا ... لي ...

فصبرا ... يا غازية ...

****

هبطت من الحافلة وهي تضم لصدرها مجموعة اوراق تخص العمل ، كانت تعقد حاجبيها بضيق وتحاول اعادة تنظيم الاوراق في يدها بينما تقودها خطواتها نحوى المبنى الانيق الخاص بمجموعة الغازي الكبرى على الجانب الآخر من الشارع .

عبرت الشارع العريض وسارت بضعة خطوات غير مستقرة وهي منهمكة فيما تفعل باوراقها ، شهقت ب(لااااا) عندما تطايرت منها ورقتين مع هبات النسائم الربيعية ... خطواتها تعثرت قليلا وهي تنحني لتلتقط احدى الورقتين وتلاحق بنزق الورقة الاخرى ..

كزّت على اسنانها غيظا ومنعت نفسها بالقوة من اطلاق شتيمة ! كله بسبب زينب ... لاتكف هذه الفتاة الصغيرة عن التذمر واختلاق المشاكل عند الصباح تحديدا .. تلك العنيدة العبوس دائما ..

تنهدت اخيرا وهي تنحني لتلتقط الورقة من على ارضية الرصيف ..... غلطة صغيرة بانحناءة الجذع وفقدت سيطرتها على باقي الاوراق التي كانت تضمها لصدرها بحرص قبل لحظات فقط لتتزحلق منها تباعا وهي تحاول تلقفها بعجز ، افلتت منها في لحظة كعقد منفرط لتتناثر امامها وهي تنظر اليها ودموع الغيظ تتجمع في عينيها !

ارتكزت على ركبتيها دون ان تبالي بالمارة ونظراتهم المحدقة نحوها .. الاوراق اهم !!

اخذت تجمع الاوراق بحنق بالغ وهي تتوعد زينب بعقاب يدوم لشهر كامل ...

كانت تلتقط آخر ورقة عندما هبّت نسمة اخرى تحمل عطرا تعرفه ... لكن عقلها تشتت مع محاولة حماية الاوراق من التطاير مرة اخرى فلم يعطها الاشارات الصحيحة في الوقت المناسب .

وليكتمل تشتتها عندما تمردت خصلة شعرها الامامية التي كانت تثبتها للخلف بمشط بني بسيط لتتملص منه وتندفع الخصلة العنيدة الى الامام والمشط الصغير معلق باطرافها بلا حول ولا قوة !

زفرت متأففة وهي تتمسك بالاوراق بكلتيّ يديها تأبى ان تجازف باستخدام احداهما لتمسك المشط قبل ان يقع ، شعرت بخيال يقف امامها وهي تناضل لتقف على قدميها بتماهل حتى لاينفلت المشط من تعلقه الواهن بشعرها .

"صباح الخير آنسة صفية .. هل تحتاجين مساعدة ؟"

صوت مبحوح .. ناعم وساخر ... وعطر أخاذ ..

صوت وعطر .. التفا حولها ليشكلا بشكل حتمي نتيجة واحدة لاتحتاج لكثير من الاشارات ليدركها عقلها الغبي ! رفعت رأسها بحدة تتطلع اليه فاهتزت خصلة شعرها ليتهاوى المشط المسكين مستسلما لقدره .

ردت بعنفوان وهي تتجاهل عن قصد المشط الذي تدحرج ارضا " شكرا لااحتاج لشيء "

اسبل اهدابه وضحك بخفوت قبل ان تراه ينحني برشاقة ليلتقط المشط من الارض ، بسط كفه الرجولي امامها والمشط الصغير البالي ذو الفراشتين الصغيرتين والذي اختطفته صباحا من شعر اختها فاطمة يستريح على راحته ، بدى المشط بطريقة ما مهانا ذليلا عند مقارنته بساعة الرولكس الثمينة التي تزين المعصم على بعد سنتيمرات قليلة منه ...

زمّت شفتيها وهي ترفع عينيها من كفه الى عينيه مباشرة ، شيء ما في تلك العينين لايريحها ، شيء يكاد يثير جنونها غيظا لتعرفه ، لكنها لن تلعب معه هذه اللعبة ..

شمخت بذقنها قليلا واتسعت عيناها دون ان تتعمد ذلك لترتسم ابتسامة مغيظة على شفتيها وهي تقول بتصنع مرح " أرمه سيد ماهر من فضلك فلم يعد له قيمة عندي ..."

وبإباء تحركت ساقاها لتتجاوزه عندما شعرت به خلفها مباشرة يهمس وكأنه سيلامس اذنها قائلا " ساحتفظ به فيوما ما ستعودين لاجله ..."

غلبها غيظها لتلتفت نحوه وقبل ان تنطق بشيء كان هو يوليها ظهره مبتعدا ببساطة ليستقل سيارته الفارهة المركونة على جانب الطريق ..

رحل دون ان يلقي اليها نظرة بينما تقف هي في مكانها تضم الاوراق لصدرها وعطره ما زال يلفها رغما عنها وهمسه يؤرقها في معانيه !

يد على المقود ويد تمسك المشط الصغير المضحك بفراشتيه ! ابهامه يلامس الفراشتين بشرود رقيق .... خادع !

عيناه تلتمعان بالشغف رغم هدوء تعابير وجهه وهي يراقب الطريق امامه ..

همس بصوت أجش " سألامسك بنعومة دون ان تشعري اني ألمسك حقيقة ! ومن حيث لاتعلمين ساتسرب تحت جلدك واتغلل على مهل مستمتعا بطريقي نحو قلبك ... وعندما اصل هناك لن اكتفيَ به ! فعندما تأتي الفرصة ، وهي آتية لامحالة .. كما اريدها ان تأتي .. في الوقت الذي اطيله بمزاجي ... وعندها ..."

التفت اصابعه حول المشط يحتضنه بتملك سافر ، يشد عليه بقوة حريصا في الوقت ذاته ان لايكسره ليهمس بابتسامة متوعدة " وعندها ساعتقل روحك خلف قضبان ارادتي التي لافكاك منها ... "

الفصل الاول

رفعت سماعة الهاتف باحدى يديها لتضعها على اذنها بينما يدها الاخرى اخذت تلاعب السلك الملتوي بقلق ظاهر ! ترى مع من تتكلم ؟! لم يرها هكذا سابقا ..

ما زال يحاول اعتياد النظر اليها وقلبه ينتفض في صدره من شدة الألم ! لكنه لن يكون ماهر الغازي ان ضعف امام ألمه هذا ، الألم دافع اقوى ليهاجم بضراوة ، لكن ليست اي ضراوة ، ضراوة متأنية مدروسة ...

كل شيء يحتاج الى وقت .. فقط بعض الوقت ..

رآها الان وقد اتسعت عيناها و علا صدرها وكأنها تحبس النفس ! لترتسم بعدها ابتسامة مرتعشة على شفتيها وتلتمع تلك العينان المغويتان بدموع رقيقة فبدت فجأة كأنها طفلة !

شعر بموجة حر !

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يسبل اهدابه ويحاول التركيز مع مساعده في العمل بينما عيناه ما زالتا تتابعان خفية تحركاتها عن بعد ، اغلقت الهاتف بابتهاج وسارعت لتخطو عبر اروقة المكاتب قاصدة المصعد ، تأوه في سره متسائلا ترى هل ستقصد والده ؟!

يدها ترتعش تأثرا وهي ترفعها لتنقر على باب مكتبه ، كانت سعيدة جدا منذ ان اخبرتها زميلتها في المعهد المسائي انها نجحت وحازت اخيرا على شهادة السكرتارية .

صوته المهيب الدافئ جاءها عبر الباب " ادخل "،

سارعت لتدخل وابتسامة تتلألأ فخرا على شفتيها لتنظر اليه مباشرة وهو يجلس خلف مكتبه .

ابتسم بحنو ما ان رآها ليقول " مرحبا يا صغيرة .."

غمرتها طفولية لم تشعر بها سابقا ! لم تشعر يوما انها طفلة محببة الا امامه ... هو ... شاهر الغازي ...

بل لم تشعر يوما انها تحتاج ان تكون طفلة الا معه ! شعور فقدته مبكرا وافتقدته للغاية .. دوما كانت القوية الجريئة التي تصارع اولاد الحي الشعبي الذي تقطنه ، ويوم ان قررت مساعدة والدها في اعالة الاسرة بعد احالته على المعاش كموظف بسيط تحولت بين ليلة وضحاها من مجرد فتاة مدرسة لمكافحة اصابتها فجأة حالة نضوج مبكر ! تنحت الصخر لاجل لقمة العيش وتقاتل بشراسة لتحافظ على نفسها من اطماع ضعاف النفوس فيها ...

أجلت صوتها لكنه خرج متعثرا من فرط الفرح " آسفة .. اسفة سيد شاهر .. لم استطع انتظار عودة مديرة مكتبك لاستأذنها الدخول "

اتسعت ابتسامة شاهر الغازي بينما اجفلتها نحنحة ساخرة لخيال اخر في جانب الغرفة المتسعة المهيبة التي تمثل كيان شاهر الغازي احد اهم اقطاب مجموعة الغازي الكبرى ..

التفتت ببعض الحدة لترَ القطب الآخر ...الأخ الاكبر .. آسر الغازي ... يجلس باسترخاء على الاريكة الجلدية السوداء يضع ساقا فوق ساق ويتطلع نحوها بتسلية وكأنها مجرد دمية !

تبخر الفرح وتلاشى احساسها بالطفولية لتستعيد عيناها نظرات كبرياء لايقهر وثقة شرسة لاتضعف ..

اما آسر الغازي فقد رفع حاجبا واحدا وهو يميل برأسه جانبا وقد ازداد الاستمتاع في نظراته .

رفعت ذقنها قليلا وهي تقول بصلابة " مرحبا سيد آسر اعتذر ، لم اكن اعرف بوجودك !"

ضحك آسر بخفة وهو يقول ساخرا بنعومة " يبدو انك كنت منهمكة بفرحتك الطفولية التي لم نعرف اسبابها حتى الآن .."

تنحنح شاهر هذه المرة ليتدخل بعد ان رمق اخاه بنظرة محذرة وقد رآه في مزاج مشاكس !

قال شاهر برقة " تعالي يا صغيرة واخبريني ما سبب هذه الفرحة التي تطل من عينيك "

التفتت صفية نحو شاهر لتقول بنبرة افتقدت الحماس الذي دخلت به قبل دقائق " احببت ان اخبرك بأني نجحت وحصلت على شهادة السكرتارية "

وقف شاهر على قدميه ليلتف حول مكتبه مقتربا منها وهو يقول ببشاشة " مبارك يا ابنتي ، سعيد وفخور بك ، وانا عند وعدي .. عندما تكملين تدريبك هنا ايضا ساجعلك سكرتيرة لاحد المدراء التنفيذيين "

ابتسمت صفية بامتنان بينما اذناها تلتقطان ضحكة خافتة من خلفها ، همست في سرها (اهدأي صفية .. انه آسر الغازي .. كوني حذرة في برود ... لاتستلمي لطبعك الناري فتفقدي كل شيء..)

لم تبدي انتباها لآسر الغازي فقالت للسيد شاهر بنبرة هادئة " شكرا سيد شاهر ، دوما سأكون ممتنة لكل مساعدة ودعم حظيت بها منك "

رد شاهر بأبوية " انت فتاة رائعة يا صغيرة وتستحقين كل الخير.."

ابتسمت صفية مرة اخرى واستأذنت لتغادر ، كانت تتعمد السير بخطوات هادئة متمهلة فلن تمنح ذلك الرجل الجالس باسترخاء ماكر متعة استفزازها..

لكن ضحكته الرجولية لاحقتها وهي تغلق الباب بعد خروجها وصوته الساخر يقول بمرح " فتاة قوية ! لااعلم كيف تناديها يا صغيرة !"

كزّت على اسنانها غيظا وهي تبتعد وتتمتم " مستفز كأبن اخيه !" ..

رد شاهر على اخيه وهو يعاود الجلوس على كرسيه " لاتكن مغيظا آسر ، انها فتاة مسكينة .."

قهقه آسر ضاحكا ليقول بعدها بنفس لهجته الساخرة المرحة " صاحبة هاتين العينين الشرستين ابعد ما تكون عن لقب(مسكينة) ، مهما حاولت ادعاء البرود وتمالك الغضب فتلك النظرات تخفي الكثير من اللهب .."

مازحه شاهر محذرا اياه " توقف والا جعلت نادية تشاركنا في ابداء الرأي عن عينيّ صفية !"

التمعت عينا آسر والابتسامة تتعلق بشفتيه ليقول " لن تفلح باثارة غيرتها مهما فعلت ، انها تدرك سلطانها عليّ ولاتخش شيئا .."

ضحك شاهر ليقول " وهذا يثير غيظك اليس كذلك ؟! فأنت في داخلك غيور اكثر مما تبدي ! وكونك تخطيت الستين باعوام لم تغير من عنفوانك "

رد آسر وهو يسبل اهدابه " الامر لايتعلق بالعمر اخي ، نادية امرأة لااشعر معها بالعمر كيف يجري ! اما شعوري بالغيظ فهذا جزء من تأثير سحرها علي ، استمتع به كما استمتع بكل شيء يخصها .. والغيرة انا لااخفيها عنها ولكني اعترف انها لاتعدو الا مشاكسة من مشاكساتي معها "

ضحك شاهر بخفة وهو يهز رأسه ثم رفع يده ينظر لساعته ليقول بنبرة عملية هادئة " لقد تأخر بلال ، هل تعتقد ان العميل سيغير رأيه في اخر لحظة ؟!"

رد آسر وهو يبتسم غامزا " لاتقلق ، انا اثق ان صهرنا سيتمم الصفقة بطريقته .."

" اين كنتِ ؟!"

رفعت صفية حاجبيها قليلا وهي تنظر لنزار بهيئته الحانقة وقد وقف امامها مباشرة يكاد يسد عليها طريق الخروج من المصعد ..

ابعدت نظراتها عنه لتخرج من المصعد بخطوات هادئة ثم تجاوزته لتتركه خلفها يرغي ويزبد ..

لاحقها قائلا بغيظ شديد " صفية انا اكلمك .."

امسك بمرفقها وقاطع طريقها عندما لم تستجب له فتوقفت خطواتها وقالت بهدوء دون ان تنظر اليه " اترك ذراعي نزار .."

سحق اسنانه قبل ان يفلت ذراعها ثم زفر بقوة قبل ان يقول باحباط " ألم تغفري لي ؟!"

التفتت نحوه اخيرا تطلعت في وجهه للحظات طوال ثم امالت رأسها جانبا بطريقة مسرحية ساخرة لتقول " حسنا عليّ ان افكر اولا بما يجب ان اغفره لك ! هل اغفر خذلانك لي عندما تراجعت عن وعدك امامي باعادة التحاقك بالدراسة في المعهد ام اغفر لك تراجعك عن عقد القران رغم اني اخبرتك باهميته لوضعي الحالي "

ضيّقت عينيها قليلا ولم ترحم شعور الذنب الذي لون محياه الوسيم لتضيف " ام اغفر لك شكك المتواصل بي ؟!!"

هتف بانفعال " لا صفية لاتتهميني بهذا الان ! انا لم اشكك فيك سابقا ولن افعل ابدا..."

خلع قبعة موظف الحارس الامني التي كان يرتديها ثم اخذ يمرر يده في شعره البني المتموج وقد بدى عليه الضيق والاضطراب ...

التزمت صفية بواجهة باردة بينما اكمل نزار بصوت متحشرج " انا اغار عليك فقط ... هل هذا جرم ؟! "

ردت صفية بكبرياء " هناك فرق بين الغيرة وعدم الثقة يا نزار وانا ارفض اسلوبك في التعامل معي وكأني ملكية لاروح فيها .."

عبس نزار لكنه تخطى ما قالته فلا يريد ان يفتح هذا الباب يكفيه ما يشعر به من تهديد لفقدانها ...

ابتلع ريقه ليقول بلطف " اريدك ان تسامحيني على موضوع عقد القران ، والدي .. والدي .." تعثرت كلماته لتكملها هي نيابة عنه " والدك رأى ان نتمهل بعقد القران حتى تتحسن امورك المادية "

رد وهو يشعر ببعض العجز " لاتلومي ابي يا صفية انه يحتاج الى التقاط انفاسه بعد ازمة ضياع ارضه منه ، لقد كانت فترة عصيبة وانت تعرفين اهمية الارض لعائلتي فرغم صغر مساحتها الا انها مصدر الرزق الوحيد لهم ، لذلك يخشى ان عقد القران سيجعلنا نتعجل اتمام الزواج.. "

عقدت صفية حاجبيها وهي تقول بانفعال " هل طلبت منك شيئا يا نزار ؟ هل كلفتك بشيء حتى ؟! انظر ليدي لاارتدي الا خاتم خطبة من الفضة الرخيصة الثمن لكنها تمثل لي كنزا بقيمتها العاطفية "

اوشك ان يقاطعها عندما اكملت بحدة اكبر " هل تعتقد اني اريد عقد القران لاورطك ماديا معي ؟! لم اطلب منك ذلك الا لاجل وضعي امام الناس وانت تعرف اننا نسكن في حي شعبي يراقبون كل صغيرة وكبيرة تحدث في كل بيت وشق ! انا احمي سمعتي وسمعة اخواتي وسمعة ابي رحمه اللّه ، لم اكن ساتعجل عقد القران لولا ذلك .."

قال بتحشرج " حبيبتي انا اكثر تعجلا منك لعقد القران ليس لاسبابك فقط ولكن لاني اريد ان اشعر انك لي حقا .."

هزّت رأسها وهي تقول بعجب " لاافهم معنى كلامك هذا !! ماذا تقصد ان تشعر اني لك حقا ؟!!"

تهرب من النظر اليها وهو يرد " احيانا .. احيانا اشعر .. انك تحبينني حقا واحيانا اشعر .. انك .. انك ..."

سألت بعبوس " اني ماذا ؟!"

رفع عينيه لينظر لعينيها مباشرة ثم قال " اشعر انك لم تمنحيني نفسك كاملة ، لااعرف كيف اصف الامر ولكنك تبدين احيانا متباعدة منشغلة عني بأمور عائلتك "

للحظات ظلت تنظر اليه بهدوء دون ان ترمش عيناها لتقول بعدها " يفترض ان تشعر بي اكثر من هذا يا نزار ، يفترض ان تدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقي ، عائلتي ليس لها احد غيري تشد ازرها به ، ومن غير العدل ان اتناساهم لاعيش رومانسية الحب والعشق ! لااستطيع ان افقد عقلي تماما في متاهة المشاعر لان هناك من يعتمد على تيقظ هذا العقل ، زينب المشاكسة وفاطمة الرقيقة .. طه الصغير الخجول ... امي التي تتعلق باذيالي وكأنها طفلتي الرابعة ... لاتجيد الا تدليل طه لانه الذكر بعد ثلاث اناث .. بعد كل هذا تلومني نزار ؟! لقد احببت فيك ولاءك لعائلتك وتضحيتك بدراستك حتى لاتكلف والدك المزيد ،

وانا قدرت ظروفك ووافقت على الارتباط بك لنتكاتف معاً ونسند بعضنا بعضا ، لم اطلب الا دعمك واسنادك المعنوي "

احمر نزار قليلا وهو يرد " انا آسف صفية ، احيانا اريد ان اعيش كمجرد شاب عادي يعيش حياة بسيطة ، من حقه ان يُحِب ويُحَب ، مجرد مشاعر لاتخضع للعقل والمنطق والظروف الصعبة .."

تنهدت صفية وهي تضع يدها على ذراعه هامسة بحنو " الحب موجود يا نزار ولكن هذه طبيعتي او ربما ما عودت نفسي عليه حتى لااسهو لحظة عن مسؤولياتي ، سامحني لاني لاارضي جانبا رومانسيا فيك .."

ابتسم فازداد وسامة وهو يضع يده فوق يدها ليقول بصوت أجش " انا اعشق عقلك هذا واعشق حنانك الذي تحيطين به عائلتك ، الرومانسية سنتفرغ لها يوما ما عندما يجمعنا بيت واحد "

تخضبت وجنتاها وسحبت يدها بخجل ، ضحك وهو يمد يده لجيبه ، أخرج سلسلة فضية تعلقت بها حروف اسمها بفصوص لامعة .

رفعها امام وجهها المتورد المتسائل ليقول برقة " هذه هدية نجاحك ، كنت ادخر منذ فترة لاشتريها لك .."

تألق وجهها والتمعت عيناها بالفرحة وهي تقول بتأثر " هل علمت بنجاحي ؟"

رد غامزا " نعم ، لي مصادري هناك ليخبروني النتيجة حالما تظهر .."

ضحكت برقة وهي تمد يدها لتأخذ السلسلة من يده ، ارتدتها حول رقبتها وهي تقول بامتنان " شكرا نزار ، انا سعيدة .. سعيدة جدا "

رد بصوت مفتون " مبروك حبيبتي ، فخور وسعيد بك ..."

مد يده ليلامس خدها لكنها تنبهت لحركته فابعدت رأسها بحرج قبل ان يصل اليها وهي تهمس " ماذا تفعل ؟! الجميع حولنا .. كما انني لااحب ... هذا .. قبل عقد القران .."

تنهد وهو يتمتم " سامحك الله يا أبي ، لكني سافعل المستحيل لاجعله يقتنع .."

" نزار ! ما زلت هنا ؟!! لقد قلت خمس دقائق فقط لتبارك لخطيبتك لا نصف ساعة ! هيا عد معي للعمل .."

التفت نزار بحرج ليعتذر لرئيسه المباشر الحانق ثم لحق به وهو يلوح لصفية مودعا على عجل ...

عبر شباك غرفته الخاصة المطلة على المكاتب المفتوحة لصغار الموظفين كان ماهر يحدق وحطام قلم في يده !

يحاول السيطرة على انفاسه الهادرة، عيناه متوحشتان وهو يراقب بغضب مجنون ذلك الابله يلحق بمرؤوسه اخيرا ، لكنه لن يحتمل ان رآه يحاول لمسها مرة اخرى !

لقد تشتت عقله عن عمله تماما حالما رفع رأسه صدفة ليرَهما يقفان معا قرب المصعد ، كان نزار يوليه ظهره لكن وجهها هي كان واضحا له ! بدت متوردة وسعيدة وهي تلبس قلادة ...

عيناه جمحتا بالعنف الان وهو ينظر اليها تتهادى في مشيتها عائدة لمكانها ، تمسك بتلك القلادة السخيفة بين اناملها وابتسامة راضية على شفتيها.

همس من بين اسنانه " حسنا يا صفية ، لم يمنعني عنك الا تأجيل عقد القران وتأكدي انك لاتلتقيه الا هنا تحت سمعي وبصري لكن كل هذا .... انتهى ... !"

لم ينادِها وهو يقترب من خلفها بينما هي تمسك بخرطوم الماء تسقي الزرع حولها بطريقة عشوائية تعكسها نظراتها الشاردة .

كانت عيناه تتمليان النظر فيها بتدقيق رجولي بحت فقد ولى زمن كف البصر عن ابنة عمه الصغيرة ، سلسبيل الآن زوجته شرعا وما هي إلا اشهر لتأخذ هذه الحقيقة أبعاد أكثر إرضاء له .

عيناه انسابتا بتماهل على طول قوامها الممشوق ابتسم وهو ينظر لبنطالها الجينز المهترئ الذي تقلص طوله إلى الركبتين بفعل مقص منتقم ! بلوزتها الصيفية الصفراء ضيقة وقصيرة بينما رفعت شعرها الطويل على شكل ذيل الحصان ، تبدو كمراهقة مشاكسة !

كم هي منعشة بتناقضاتها ومزاجيتها المتقلبة وغموضها الذي تحب أن تتلاعب به عليه ،

تلك الماكرة التي تهوى أن تتحداه وتثير حنقه ! لكن لا يهم .. فلتفعل ما تشاء ما دامت معه وبين ذراعيه وطوع ارادته ...

"سلسبيل.."

شهقت مجفلة وخرطوم الماء يسقط من يدها بينما كان يلف ذراعه حول خصرها النحيل من الخلف ليغمر وجهه في عنقها طابعا قبلة على بشرتها هناك ، أرادت التخلص من قيده بحنق فلف ذراعه الآخر حولها ليضمها بقوة أكبر وهو يضحك بنعومة بينما هي تزداد شراسة في مقاومته .

قالت بأنفاس متقطعة "أتركني مهدي"

رد بصوت مبحوح " اهدأي وساتركك يا شرسة"

عبست وهي تتكتف مستكينة وهو أوفى بوعده فتركها لتفلت منه وتستدير نحوه بعنف وتقول "ما الذي أتى بك ؟؟ ألست تخاصمني منذ ثلاثة أيام ؟"

غامت عيناه بالحنان وهو يلتقط علامات السهاد على وجهها ذاب قلبه فابتسم بعذوبة وهو يعاود الاقتراب "اشتقت إليك بجنون فماذا افعل بنفسي ؟!!"

ابتعدت خطوات للخلف وهي تتكتف هذه المرة برفض تعكسه ملامحها .

لم يبال فأخذ يقترب وهو يلهيها بالكلام قائلا " انا من يفترض أن يغضب بينما تكونين انت ممتنة لتسامحي معك "

نظرت اليه بغموض تجيده وهي ترفع ذقنها شامخة ثم قالت بسخرية " تسامحك متدفق دون توقف منذ خطبتنا ! أنا غارقة لامحالة !"

ضحك عاليا وهو يقف على بعد سنتيمرات فقط منها ليقول بعينين لامعتين " انت سبّاحة ماهرة وستنجين "

نظرت لعينيه مباشرة لتقول بلهجة تعني بها الكثير " لكني اوشكتُ على الغرق مرة ، هل تذكر ؟ ولولا انقاذك لي لكنت غرقت و...."

لم تكمل وهو يمد يده في لحظة خاطفة يمسك عنقها من الخلف ويسحبها اليه في نفس الوقت ...

لم يصبر اكثر وهي تجيد اثارة مشاعره هكذا ، رفضت قبلته لثوان ثم استسلمت تماما وهو يضمها لصدره ، ابتعد عنها بانفاس متقطعة كانفاسها وما زالت يده خلف عنقها تلامس نعومتها ، ابتسم وهو يراها ما زالت تغمض تلك العينين فمد يده الاخرى لتصل شعرها وتفكه من عقاله وهي تتمتم باعتراض واهن ، جمع شعرها الى جانب واحد مستريحا على كتفها الايمن .

قال بصوت مبحوح " كنت هناك عندما اوشكت على الغرق في البحر وسأكون دوما معك في أي مكان فلن تغرقي ابدا ، حتى لو سعيت اليه بنفسك فسأمنعك بالقوة .. لن تضيعي مني يا امزونية ...."

فتحت عينيها على مهل وتطلعت اليه بنظرات براقة لتهمس " هل يستحق الامر كل هذا الغضب منك ؟!!"

هزّ رأسه ايجابا وهو يداعب عنقها بانامله قائلا " لااريد ان تخرجي بدون اذني ، لازملاء جامعة ولا غيرهم تخرجين برفقتهم ، انت زوجتي الان سلسبيل ومن حقي عليك ان تطيعيني "

احتجبت خلف غموضها مرة اخرى ثم فجأة ابتسمت وهي تغمز قائلة " اذن ستخرجني بنفسك والى اي مكان ارغبه ..."

ودون ان تعطيه فرصة للرد طبعت قبلة سريعة على شفتيه وهرولت راكضة للداخل وهي تصيح بطفولية " سابدل ملابسي خلال خمس دقائق فكن مستعدا لي يا وسيم ..."

تقاوم ارهاق الجسد وهي تتسلق درجات السلم الحجري الباهت ، طابقين فقط وتصل لشقتها ، توكأت على الحائط المغبر بدلا من السياج الحديدي المزخرف او الذي كان مزخرفا في يوم من الايام ليتحول لهذه الهيئة البشعة

بعد ان تلاعبت به اهواء اطفال الحي ، لكنها رغم ذلك تحبه ! تحب ذكرياتها معه عندما كان اكثر صلابة ليتحمل ثقلها وهي صبية تتزحلق عليه مع باقي اطفال الجيران، الان شاخ كما شاخ المبنى باكمله فلم يعد مأمونا الاستناد اليه ولو بطارف اصبعك ..!

تنفست الصعداء وباب الشقة يتراءى امامها كواحة ورافة الظلال وسط صحراء قاحلة ...

اخرجت مفتاحها وبينما تدخله في مكانه تناهى لها صوت زينب عبره وهي تقول بنزق مألوف " أمي ليس ذنبي ان حذائي رديء الصنع ليتمزق بمجرد ان شاركت الفتيات الركض حول ساحة المدرسة !"

تنهدت صفية وهي تفتح الباب لتدخل الشقة وترى امامها صورة متكررة ، زينب المتذمرة وامها العاجزة عن حل اي مشكلة مهما بلغت تفاهتها وفاطمة الرقيقة تنظر بعجز ...

التفتت اليها امها لتعكس نظراتها راحة واضحة لحضورها ثم قالت بصوتها الناعم "مرحبا بنيتي "

قالت صفية بهدوء " مرحبا امي ، ماذا يجري ؟!"

هدأ صوت زينب قليلا حالما رأت اختها الكبرى وعماد هذا البيت ، لكنها فتاة قوية ، اقوى من سنيّ عمرها الاثني عشر ، فتماسكت لترد على صفية " قلت لك اختي هذا الحذاء لن يصمد اكثر من اسبوعين "

فتحت صفية فمها لتتكلم فسبقتها فاطمة قائلة برحابة صدر " خذي حذائي انا لاامانع.."

عقدت زينب حاجبيها لتقول بانفعال " كيف آخذ حذاءك يا ذكية ! وانت كيف ستذهبين للمدرسة ؟ حافية القدمين ؟ ام بخفيك المضحكين هذين ؟!!"

ردت فاطمة وعيناها الخضراوان تغمزان لها بالخفاء " زينب انا لدي حذاء آخر الا تذكرينه ؟!"

ردت زينب باستهانة " لافائدة من اخفاء الحقيقة لان المشكلة ستبقى موجودة مهما حاولت مداراتها عن صفية ، نحن الاثنتان نحتاج لحذائين جديدين ، كفي عن لعب دور الملاك هذا فرغم انه تناسبك شكلا بشعرك الاشقر الا اننا لسنا بملائكة ، نحن بشر ونحتاج لمستلزمات كي نعيش مثل غيرنا ، لكنك احيانا تصبحين بلا عقل .."

قالت صفية بحسم " زينب تأدبي ! فاطمة تحاول المساعدة فقط .."

تأففت زينب وهي تقول رافعة كفيها للاعلى " حسنا حسنا .. انا الشريرة الوحيدة هنا ، لذلك لايحق لي الاعتراض على شيء ، يجب ان اعتاد على ان اكون مدعاة لسخرية الفتيات بالمدرسة وهن يعيّرنني بملابسي البالية وحذائي المهترئ "

للحظة ساد الصمت لتقول صفية بعدها بهدوء " سارتاح قليلا وبعدها ساخرج الى مصلح الاحذية اعطيه حذاءك فيصلحه ..."

كسا الشعور بالذنب وجه زينب لتقول بانفعال " لماذا لاتسمحين لي بالعمل .. انا .."

هذه المرة ارتفع صوت صفية لتقول بحزم وعيناها تبرقان بالغضب "اذهبي لغرفة النوم ... الان .. حالا .. ولاتخرجي منها قبل العشاء "

نكست زينب رأسها لتهمس " حسنا .. اختي .. انا اسفة "

ثم جرجرت خطاها الكئيبة نحو الغرفة المشتركة بينها وبين فاطمة وصفية رغم مساحتها الضيقة ..

قالت فاطمة لصفية ببشاشة مفتعلة " انها مجنونة احيانا لكنك تعرفين كم هي طيبة القلب "

ابتسسمت صفية والوهن يفترش محياها لتقول لاختها الصغرى ذات الحادية عشرة " اعلم يا جميلة انها طيبة القلب لكن بلسان سليط ! "

تحركت صفية نحو الاريكة تتلمس مضطجعا يزيل عن جسدها ارهاقه عندما استوقفتها امها قائلة برجاء " صفية ... لااعلم ما به طه ! منذ عودته من المدرسة دخل الغرفة ورفض تناول الغداء ، حاولت ان افهم منه لكنه يأبى الرد عليّ .."

تطلعت صفية باحباط لعيني امها المتوسلتين ، عيناها كعيني فاطمة ، رقيقة في خضرتهما والمعاني التي تحملانهما.. اقسمت في سرها انها ستفعل المستحيل لتبث القوة في اختها الصغيرة فلا تريدها بنظرات تائهة كهذه النظرات التي تلوح في عيني هذه الام الطيبة ..

تحاملت صفية على نفسها فتبسمت في وجه الام لتقول " لاعليك امي سأذهب اليه الان وأرى ما به .."

اشرق وجه الام وهي تقول " رضي اللّه عنك حبيبتي ، هل احضّر لك الطعام ؟"

هزّت رأسها ايجابا وهي تقول " اجل لو سمحتِ "

ثم حملت خطاها نحو غرفة النوم الثانية في هذه الشقة ، الغرفة التي كانت لوالديها طوال عشرين عاما اصبحت الان لامها واخيها الصغير ...

فتحت باب الغرفة على مهل وهي ترسم ابتسامة بشوشة على وجهها ، عيناها التقطتا وجوده الصغير وهو يجلس على السرير ملتحف بالغطاء ذي الدوائر الملونة المتشابكة ، دوما احبّ هذا الغطاء وامها تحرص على الاعتناء به بشكل خاص لاجل ان تسعده .

طه حبيب امها المدلل الذي صبرت سنوات حتى انجبته لتقر عينها بذرية الولد، وها هو عبقري صغير نهم للقراءة ، لم يتجاوز الثامنة لكن جسده الضئيل يوحي انه اصغر سنا ،

شعر اسود ناعم وعينان واسعتان تخفيهما نظارة طبية رافقته منذ عمر الخامسة !

كان ينظر بعبوس طفيف للكتاب الذي يرفعه عاليا بين كفيه وعندما تنبه لوجودها اخفض الكتاب مغلقا اياه وقد احمر وجهه قليلا وهو يقول " مرحبا .."

لم ترد تحيته وقد علمت ان هناك ما يخفيه طالما احمر وجهه هكذا ..

ابتسمت وهو تقترب منه لترمي حقيبتها باهمال على منضدة جانبية ملاصقة للسرير ثم خلعت حذائها لتتسلق السرير تندس تحت غطائه المفضل تتشاركه معه ...

جلست محشورة به بعد ان عدلت وضعية الوسائدة لتسند ظهرها ثم نظرت للسقف وكأنها تفكر في شيء ما لتقول وهي تضيق عينيها " امممممممم ... حسنا يا صفصف لنرى، العبقري الصغير يختبأ في غرفته معتزلا ايانا نحن فتيات العائلة المشاكسات"

عبس طه وهو يقول بلهجة مدافعة " انا لم اقل ابدا انكن مشاكسات !!"

لكنها لم تهتم بمقاطعته لتكمل " ترى هل ضجر منا ؟! ام ربما يريد ان يتدلل علينا؟؟ "

زمّ شفتيه ليقول بضيق " توقفي عن الحديث المفتعل مع نفسك !"

عندها رفعت حاجبيها عاليا وهي تلتفت اليه لتقول ببراءة مصطنعة " لكنك تعلم اني لاافتعل هذه الخصلة المضحكة عندي ؟"

ازداد عبوسه وهو يرد عليها بطريقته الناضجة التي تمنحه سنينا فوق سني عمره الحقيقي " نعم .. لاتفتعلينها عندما تحدث حقيقة فتفقدين احساسك بمن حولك لتكلمي نفسك كغريبي الاطوار ؟ "

كتمت ضحكتها لتقول بعتب " طه ؟"

طأطا راسه ليقول بخجل " آسف صفصف .."

الحنان تدفق من عينيها وهي تسأله برقة " ألن تقول لصفصف غريبة الاطوار لماذا انت حزين هكذا ؟"

رأته كيف يعض شفته السفلى قبل ان يرد بخفوت " لست حزينا .."

تنهدت قليلا لتقول بعدها بلطف " طه انا من اعتنيت بك منذ ولادتك اعرفك اكثر مما تعرفك امنا فقل لي الحقيقة .."

ما زال يطأطأ رأسه يخفي وجهه منها فعادت لتسأله ببعض القلق " ماذا تخفي عني ؟؟"

رأته كيف يحاول ابعاد الكتاب الذي كان يقرأ فيه عندما دخلت عليه ، عبست قليلا وعيناها تلتقطان عنوان الكتاب (عالم الفضاء) ،لكن عينيها التقطتا ايضا ورقة تبدو من النوع المدرسي محشورة بين الصفحات وقد بان طرفها فقط .

مدت صفية يدها اليه وهي تقول بحزم " طه ..
اعطني كتابك .."

رفع نظراته اليها وقد احمر وجهه بشدة ،
اعتصرها الألم لرؤية ذلك الخوف والقلق اللذان
يطلان من تلك العينين المحببتين للقلب
ببراءتهما لكنه اصرت قائلة ببعض اللطف
لتطمئنه " اعطني الورقة التي تخفيها فيه "

بيد صغيرة مرتجفة سحب الورقة سلمها لها دون
ان ينظر اليها ليقول بصوت يخنقه البكاء "
ارجوك لاتوبخيني "

شهقت صفية رغما عنها وهي ترى الدرجة
المتدنية للامتحان ! دوما كان متفوقا ، انه
العبقري الصغير ! فلماذا ؟!!

وجدت نفسها تسأله هذا السؤال " فقط لماذا ؟"

هطلت دمعتان على خديه تعرف انهما عزيزتان
جدا لانه لم يكن يحب البكاء ، قالت وهي
تكتم تأثرها " انت لم تحصل على درجة
متدنية هكذا ابدا "

رأت انامله الصغيرة ترتفع لوجهه تمسح الدموع
من تحت نظارته ... نظارته ؟! فجأة عقلها اخذ
يمدها ببعض التفاصيل التي كانت تلاحظها
عليه بدون تركيز منها ، واهم هذه التفاصيل
عبوسه الدائم كلما كان يقرأ او يتفرج على
برنامجه المفضل في التلفاز .

سألته مباشرة " متى قمنا بفحص النظر لك اخر
مرة ؟"

تردد قبل ان يهمس " منذ ... سنتين "

خنقتها العبرة وهي تقاومها لتسأله بثبات " هل ضعف بصرك ؟"

لم يرد .. ولم ينظر اليها حتى ..

لم تحتمل لتأخذه في حضنها تضمه لصدرها وهي تسأل بتحشرج " هل هذا هو السبب ؟"

كانت تشعر بجسده الصغير يلتجأ اليها اكثر وهمساته تصلها قائلا بحرج " انا .. لم اعد استطيع .. قراءة الكلمات بشكل واضح ، الحروف تتلاشى مني ..."

حنقت فجأة ... ليس عليه وانما لاجله .. لتقول ببعض الحدة " لماذا لم تخبرني ؟"

رد بعد لحظة " الفحص والنظارات مكلفان .. "

ابعدته عنها تتطلع لوجهه لكنه لم يرفع عينيه اليها فقالت بحزم " انظر الي طه .."

رفع اليها عينيه بتردد لتقول له بنفس الحزم " لاشيء ... لاشيء على الاطلاق اهم من دراستك ومستقبلك "

هزّ رأسه بينما اضافت " غدا سنذهب سوية لطبيبك ما ان اعود من العمل "

ايضا اكتفى بهز رأسه مما جعلها تشعر بالذنب ! فربما هي تشعرهم جميعا ان الحمل عليها كبير ليحاولوا التحامل على انفسهم وكتم احتياجاتهم الضرورية .

قالت بشفتين مزمومتين " اياك ان تفعلها ثانية ولاتخبرني عن مشاكلك "

رد بنظرات تذيب الصخر " اسف اختي .."

لم تملك الا ان تبتسم له وتقول " ابتهج الان يا صغيري ، فغدا ستحصل على نظارة جديدة .."

اخيرا شعّت ابتسامته فانشرح صدرها وزحف لاطرافها الاسترخاء ، لم تشعر بنفسها الا وجسدها ينزلق ليتخذ وضعية النوم وهي تتمتم له " دعني أنم الان ، لاتجعلهم يوقظوني قبل ساعتين "

لم تسمع رده وقد غفت فعليا ......

اصوات عديدة جعلت غفوتها تتقلقل ! ما بين صوت طه الغاضب وامها تناصره ثم صوت زينب وهي تصرخ كعادتها ، تقلبت في السرير بتذمر تتوسل لغفوتها العودة بها لذلك العمق اللذيذ ..

لكن صوت آخر علا ... صوت هاتفها النقّال !

مدت يدها تتلمس طريقها بشكل عفوي لمصدر الصوت فاوقعت حقيبتها ارضا لتتبعثر اغراضها ويتعالى صوت الهاتف اكثر .

تأففت وهي تميل بجسدها الى الاسفل لتلتقط الهاتف تغلقه ، ضغطت الزر الخاطئ ليأتيها صوت رجولي بعيد " مرحبا .."

كانت في شبه ضبابية وهي تضع الهاتف على اذنها لتهمس بنعاس " من .. معي ؟"

ضحكة خافته وصوت أجش يسألها بنعومة " هل ايقظتك من النوم....؟"

فجأة دخل عليها طه يصرخ بحنق " صفصف .. اخبري زينب ان تبتعد عن كتبي ، انها لاتكف عن مشاكستي والسخرية مني !"

كانت زينب قد لحقت به فعلا وهي تنظر اليه بطريقة مغيظة وتقول باستفزاز " المدلل الصغير يأتي شاكيا لاخته الكبرى كالفتيات السخيفات ! "

عبست صفية بقوة وهي تنفض عنها النوم بصعوبة لتقول لزينب بصرامة " زينب دعي طه وشأنه ، وانت من تتصرفين بسخافة لا هو ..."

ارادت زينب الرد عندما هدر صوت صفية الغاضب " الى غرفتك .. الان يا فتاة ..."

اخرج طه لسانه لزينب فتوعدته بالمقابل ثم خرجا سوية وهما يتدافعان ...

تنهدت صفية متحسرة على الغفوة الهانئة التي كانت تتنعم بها وقد تطايرت مع الريح ، تحركت قليلا في السرير تتململ وهي تحاول اتخاذ وضعية مريحة عسى ان تعود اغفاءتها الغالية ، فتحت عينيها فجأة مدركة بغباء انها تركت هاتفها مفتوحا ولم تعرف اصلا مع من كانت تتكلم وماذا قالت اصلا !!

اخذت تبحث عن الهاتف بنزق بين طيات الغطاء

وهي تكلم نفسها مؤنبة " ايتها الغبية ! اين

اوقعته ؟! "

وجدته اخيرا فسارعت بوضعه على اذنها لتجد

الخط ما زال مفتوحا فقالت بعفوية " آسفة ... من

معي ؟؟"

رد صوت تعرفه ...

لكن لاول مرة تسمعه بهذه النبرة التي جعلت

جلدها يقشعر

" مبارك نجاحك .. صفصف !"

الفصل الثاني

رد صوت تعرفه...

لكن لاول مرة تسمعه بهذه النبرة التي جعلت جلدها يقشعر

" مبارك نجاحك .. صفصف !"

عقدت حاجبيها وشعور غريب يزحف اليها ، شعور يلفه الغضب ، التوجس ...

اطبق الصمت يلقي بظلاله عليها !

ضحك برقة اخيرا وهو يقول بصوت هامس أجش " اكاد اتخيل وجهك ! او لنقل احاول تخيله ، آثار النوم ترتحل ليحل محلها ......"

صمت قليلا قبل ان يكمل ببحة مغيظة " ترى .. ماذا حل محل النوم ؟! غضب ام .. مفاجأة ... ام ربما ....؟؟"

وترك تخمينه الثالث مقطوعا معلقا بالهواء بينما افكار صفية تزمجر في عقلها ....

شيء ما في داخلها كان متيقنا ان ماهر الغازي لن يتركها لشأنها ! احساس دائم بخطره يقترب منها دون ان تحدد اتجاهه ، يتربص بها يقرأ خطواتها حتى قبل ان تخطوها ، كان باختصار صياد ! صياد وهي ... فريسته !

دوما كانت تواجه الحقائق ، فلا وقت لديها لتضيعه بالهروب ، الحقائق تلاحقنا حتى تفرض وجودها علينا شئنا ام أبينا ...

قالت اخيرا بصوت هادئ ولهجة مباشرة لامراوغة فيها " ماذا تريد مني ؟"

انفاسه داعبت اذنها عبر الهاتف ليقول بتلك النبرة المؤثرة " عندما تكونين مستعدة ساخبرك بما اريد ... اراك غدا في الشركة .."

اغلق الخط ببساطة بينما انزلقت يد صفية التي تحمل الهاتف لتستقر في حجرها ونظراتها بدت شاردة لمن لايعرفها جيدا ، اما من يعرفونها ويقرأون طباعها سيدركون انها غارقة في ايجاد حل لمشكلة كبيرة!!

" ما زلت في بيت والدك ؟"

تذمر ظافر عبر الهاتف بينما ترد عليه حوراء بصوت بدى له غريبا " نعم .. انا آسفة .. أنا ..."

عبس قليلا وقد تراجع حنقه الطفولي وغيرته المعتادة لتتركز حواسه على تعثر كلماتها وتلك النبرة الغريبة التي تبدو كخليط بين كآبة وضيق !

قال بصوت قلق " ما بك حبيبتي ؟! لاتبدين على طبيعتك !"

تلعثمها اقلقه اكثر وهي تهمس " أنا .. بخير .. اسفة اني تأخرت .. كنت .. اقصد ان .. امي والتوأم .. ثم .. ابي ... لقد .."

قاطعها ظافر بحزم رقيق " اخبريني مباشرة بما يؤرقك "

لم تصله الا تنهيدة عميقة احرقت فؤاده ، صمت .. وهي صمتت ايضا !

قال اخيرا بصوت أجش " خمس دقائق وسأكون عندك ، نعود لبيتنا وهناك تنهدي كما تشائين وانت بين ذراعي .."

همست اسمه بعتب " ظافر !"

ضحك بنعومة وهو يهمس لها بصوت مبحوح " ألن ترتدي قميص النوم الذي اشتريته لك منذ اسبوع ؟!"

يكاد يرى وجهها المخضب بالحمرة وهي تعنفه قائلة " انك لاتخجل ! انا لن ارتدي تلك القطعة الحمراء الضئيلة التي تسميها قميص نوم ! "

كان سعيدا انه استفزها ليخرجها من ضيقها قليلا ، ضحك عاليا وهو يقول " القطعة الحمراء الضئيلة ستكون مناسبة جدا لمزاجي الليلة "

هتفت به بتمرد حانق " اذن لن اعود معك وانت بهذا المزاج ! سأبيت في بيت والدي الليلة"

جاء صوته خطيرا في تهديده الناعم " اياك مولاتي ان تقوليها مرة اخرى ولو مزاحا ، انت لن تبيتي ليلة بعيدا عني ،

لو تعلمين كيف اتحايل لارمي اي مهمة عمل تستدعي السفر على كاهل مهدي او ماهر لما قلت ما قلت الان .."

تنهيدة اخرى منها ثم قال ببساطة " انا وصلت يا حوراء القلب .. تعالي الي فنعود الى حيث يجب ان نكون فتخبريني بما يزعجك هكذا "

حملقت نادية في آسر وهي فاغرة الفم بينما تراه ببدلته السوداء التي ارتداها صباحا يفترش ارضية غرفة نومهما ناثرا حوله الكثير من الصور والاوراق ، تحولت معالم الدهشة الى عبوس وهي تكتشف ان ما ينثره حوله ليس الا صورها واوراقها الشخصية القديمة !

ثم التقطت عيناها العلبة الحديدية ذات اللون الذهبي الباهت والتي تستخدمها لحفظ تلك الصور والاوراق رأتها مرمية باهمال الى جانبه ، تلك العلبة التي يعود عمرها لاكثر من خمس وثلاثين سنة عندما اهداها اياها والدها رحمه اللّه .

تحركت من وقفتها عند باب الغرفة لتقول بحنق " ماذا تفعل آسر ؟!! كم مرة قلت لك لااحب ان تعبث باغراضي ! "

رفع نظراته نحوها وقد تقوس حاجباه بتعبير مشاكس " انت واغراضك ملك لي حبيبتي .."

كزّت على اسنانها رغم علمها انه يتعمد مشاكستها ، رمت حقبيتها على السرير واقتربت منه وهي تقول بتذمر غاضب " هل اصبحت الآن لااتمتع بأي خصوصية وتستغل تأخري بالعمل لتعبث باغراضي دون علمي ؟؟!!"

لم يرد عليها وما زال يقلب الصور بتركيز وكأنه يبحث عن شيء ما ! اغاظها اكثر بتجاهله فما كان منها الا ان انحنت لتسحب منه الصور لكنه وببساطة امسكها من معصمها ليسحبها اليه وتسقط جالسة في حجره وعيناه لاتفارقان الصورة في يده وهو يبتسم بانتصار !

كان تحاول الافلات منه وهو يحتجزها بذراعه التي التفت حول خصرها ليقول ببشاشة " اخيرا وجدتها ! "

هدأت نادية ليثير فضولها بجملته ، نظرت للصورة التي يتطلع اليها بنظرات رجولية متفحصة بينما يبتسم وهو يعض طرف شفته السفلى بأسنانه !

رفعت حاجبيها عجباً وهي تنظر لصورة لها وهي بعمر الثامنة عشرة التقطها لها والدها يوم تخرجها من الثانوية العامة ، كانت ترتدي فستانا ابيضا اصر والدها على شرائه لها كما اصر على اخذها لمطعم بسيط يطل على البحر احتفالا ، ما زالت تذكر عندما طلب منها بابتسامة حانية ان تستند لحافة السور ليأخذ لها هذه الصورة وامواج البحر تتلاطم خلفها ،

شعرها يتطاير هنا وهناك لكنه لم يخفِ عينيها الواسعتين اللتين كانتا تبرقان بالفخر والسعادة....

ابتسامة حنين زحفت لشفتيها وهي تتذكر هذا اليوم فقالت بشجن " ما الذي جعلك تبحث عن هذه الصورة ؟!!"

مال ليقبل خدها وهو يرد بخفوت " تلك الفتاة صفية ذكرتني بك .."

التفتت اليه بحدة لتسأله بحاجبين معقودين " من صفية هذه ؟!!"

تراجع رأسه للخلف وهو يضحك عاليا بينما اخذت نادية تضربه على كتفه وتقول بغضب " لافائدة منك ! انت رجل بغيض "

كانت تحاولت الافلات منه وهو ما يزال يضحك لكنه اخمد ثورتها وهو يميل بها ليحتجزها على الارض ثم همس لوجهها الغاضب " فتاة متدربة في العشرين تعمل في الشركة وشاهر يلعب معها لعبة الابوة ! قد لاتشبهك شكلا لكن روحها أبية وعنيدة مثلك .."

ضيّقت عينيها وهي تنظر اليه وتقول ببرود " ابتعد عني آسر ، اريد ان آخذ حماما وانام ، انا مرهقة .."

اكمل بصوت رائق متجاهلا ما قالته " عيناها تقدحان شررا وانا اشاكسها لكنها تكز على اسنانها لتجبر نفسها حتى تتكلم بأدب وتمالك للنفس "

زمّت شفتيها لتقول بعدها " آسر ابتعد عني الان والا .."

قاطعها وهو يقول بصوت أجش " سأظل اتحسر دوما اني لم أكن موجودا وانت تقفين هناك مستندة لذلك السور والبحر من خلفك يغار من عنفوانك ، فستانك الابيض يتطاير مع شعرك فيغريان بتطويقك وضمك ، عيناك تبثان دعوة غامضة لايفهمها احد غيري فتتجدد خلاياي استجابة لذلك النداء الساحر فيهما ... "

نظرت لعينيه اللامعتين فقالت بهمس " احبك ايها البغيض المجنون ! "

ضحك بخفة قبل ان يميل نحوها ...

متكورة في زاوية الاريكة ترفع ساقيها لتثنيهما تحتها كما تحب ان تجلس دائما ، يدها تمسك بقدح الشاي الذي اعدته لها امها بعد تناولها الطعام ، ترتشف منه بتماهل لكنها تستمتع بلسعته الحارة ، تمنت لو اضافت له ورقتي نعناع كان سيمنحها استرخاءً اكبر .

شاغلت عقلها بالتطلع لاخواتها ، زينب تمسك بمشط وهي تجلس بتذمر معتاد على كرسي خشبي يفترض انه ضمن طقم مكون من مائدة طعام وستة كراس تحولت بفعل الزمن الى مائدة بثلاثة قوائم خشبية ورابعة حديدية اما الكراسي فقد تناقصت لخمسة وقد اخذ كل كرسي شكل متفردا تبعا لجهودها الشخصية المضحكة لاصلاحه !

تبسمت بحنان وهي تنظر لفاطمة بوجهها المحمر
تقود خطاها نحو زينب وهي تشلح عن رأسها
منشفة الحمام ليظهر شعرها المبلل بلون اغمق
من حقيقته ، كانت تعتذر من زينب وهي تجلس
على الارض امامها مولية اياها ظهرها قائلة "
اسفة اختي لتأخري ، الماء انقطع لفترة
فاضطررت لانتظاره حتى يعود "

اطلقت زينب كلمات ساخطة لانقطاع الماء
المتكرر في لحظات حرجة بينما فاطمة
تضحك من قلبها .

مالت صفية برأسها للخلف تسنده للحائط الذي
ارتفع عن ظهر الاريكة بينما تستمتع بسماع
زينب وهي تسرد حكاوي شقاوتها لهذا اليوم على
مسامع فاطمة ، اما فاطمة فتضحك متحاملة
على الألم الذي تسببه لها زينب وهي تمشط
شعرها المبلول .

تنهدت زينب اخيرا وهي تقول بضيق " يجب ان
تقصي شعرك قليلا لقد اصبح مزعجا ولااعلم
كيف ستطيقينه عندما يهاجمنا حر الصيف ؟"

اخذتا تثرثران بينما عينا صفية تحركتا نحو
الاريكة الصغيرة عند الشباك المفتوح ،
هنالك مجلس امها الاثير حيث تضم لصدرها
جسد مدللها طه وكأنه طفل رضيع ! تراها
كيف تدندن له حتى يغفو فلا تبدي استعدادا
لتركه او نقله للسرير الذي تشاركه به !

انها امرأة حنون جدا لكنها للاسف لاتجيد الا العناية بالاطفال الصغار فتغمرهم بحب وحنان لاحدود له وحالما يكبرون تشعر بصغرها امامهم وهم يسألونها عن امور الحياة فلا تجد ما ترد به عليهم !

فتنكفئ على نفسها وتكتفي بلعب دور هامشي هو اقصى ما تتصور انها قادرة عليه .

لكن مع طه الامر اختلف ، وقد التصقت به اكثر بعد وفاة والدها ، وكيف لاتفعل ؟!!! انه الولد الذي رفع رأسها عاليا بانجابه !

هكذا بُنيّ تكوينها منذ الصغر ، الولد عزوة .. الولد فخر ... الولد قوة ... الولد اثبات لرجولة الاب وامتداد لسلالته ... الولد يرفع هامات الامهات عاليا وكأنهن المسؤولات عن اختياره بينما تنكس هامات امهات لم يمنحهن اللّه الا ذرية الاناث فيتراجعن متقهقرات الى الصفوف الثانوية ..

تشفق عليها ... ولاتملك لها شيئا الا ان تكون سندا ودعما ...

اخذت رشفة اخرى من قدحها وما تشاغلت عنه طلبا لبعض الاسترخاء عاد ليطرق ابواب عقلها ...

(مبارك نجاحك ... صفصف !)

(ساخبرك عندما تكونين مستعدة !)

اذن فالشاب الغني المدلل لم يتقبل الرفض كما توقعت ، والوقت لم يكن كفيلا لينسى !
لكنها تحت سطح هذه الفكرة الاساسية التي تكونها عنه توجد امور اخرى تحيرها !

فماهر الغازي لايمكن ان تعتبره تافها لكنه مغرور ولديه كبرياء موروث ومهيكل من تاريخ عائلته الطويل ، عائلة لها مكانتها الاجتماعية والاقتصادية منذ عشرات السنين وربما حتى ابعد من ذلك التاريخ ...

لااحد في البلد لايعرف من هم عائلة الغازي ، ولااحد ينكر انهم مميزون خصوصا ان لافضائح طالتهم ربما بعض الاشاعات المغرضة او حتى حوادث متفرقة لم ترتق لمستوى الفضائح التي تعلق بالاذهان ...

مع كل هذا انها لاتستطيع ان تفهم ما يريده منها بالضبط ؟ انه ذكي بل شديد الذكاء ومؤكد هو يعرف انها ليست بالفتاة التي تخر عند قدميه ...

انقبض قلبها وهو تتوجس مما سيحدث مستقبلا ، انها لاتريد ان تخوض معارك معه .. ليس الان .. ليس وفي رقبتها عائلة كاملة ، عائلة تحتمل ضعف الحال املا فيها هي وحدها ....

همست في سرها بجلد " يجب ان أكون حذرة ، اسرتي تعتمد عليّ وفرصتي كبيرة في الشركة لانال وظيفة محترمة ثابتة ولها مستقبل، يجب ان لااخسر ما جنيته وحققته بعد كل هذا التعب ، لن يدفعني ماهر الغازي لاخسر كل شيء الان ، مهما كان ما يريده مني .. لايهمني ...

لاوقت لدي له اصلا ، لكن يجب ان احكم نفسي ولاانسى ابدا انه مهما بلغ كرم السيد شاهر وتقديره لي فماهر يبقى ابنه .. لذلك يجب ان اكون حذرة ... يجب ..."

غامت عيناها وهي تتذكر نزار لتشعر بضيق اكبر وهي تفكر" اتمنى ان لااخسرك يا نزار ، احتاج لدعمك حقا ولكني لم أعد ادري هل انت قادر على تجاوز مخاوفك ؟ اشعر احيانا انك لاتفهمني .. انك لاتثق بي ... ولاتثق بنفسك! والادهى انك تراخيت ولاتريد السعي حقاً "

ارتفعت يدها لاشعوريا لتلامس القلادة الفضية ثم فجأة اجفلها صوت زينب وهي تسألها بانبهار " يا لها من قلادة جميلة ! هل اهداكِ اياها نزار ؟! لكن ما المناسبة ؟ هل ستعقدان القران ؟"

رمشت صفية بنعومة وهي تقول بابتسامة حانية " اهداها لي لاني ... نجحت في المعهد..."

بعدها انقلبت اجواء الشقة الصغيرة الى مرح عابق بالفرح والامل التي تغمر القلوب الصغيرة بينما صفية تتقبل قبلاتهم واحضانهم ولسان حالها يدعو الله ان يمنحها القوة من اجلهم ومن ... اجلها ....

اكتفى بالصمت اثناء رحلة عودتهما القصيرة لبيتهما ، يحتضن بيده كفها المغري ككل شيء فيها ، في داخله رعشة لذيذة ما زال يستوعبها على مهل ،

رعشة تؤرقه احيانا وتلقي على قلبه خوفا ازليا يزيحه بعنف ليعيش حقيقة وجودها معه ، احيانا يستيقظ ليلا فقط لينظر لوجهها !

يقاوم حاجة عقله للسبات ويرضي حاجة اخرى اكثر اهمية الاطمئنان لوجودها ....

نظر الى باب الحمام ينتظر خروجها بفارغ الصبر ، ابتسم بشغف لحيائها هذا ، فبعد ما يقارب الشهرين على زفافهما ما زالت تصر على ابدال ملابسها بعيدا عن عينيه حتى انها تتوسل اليه اطفاء الانوار كلما اقترب منها ملهوفا يحرقه شوق قديم لم يرتو ..

طقطقة قفل باب الحمام اعادته لحاضره ، أمّا وجهها المبتأس فاعاده لاسباب قلقها وضيقها .

تقدم نحوها فاحمرت كعادتها متجنبة النظر اليه وهو نصف عارٍ لايرتدي الا بنطال طويل حريري اسود ، ضحك بخفة وهو يمد كفه لوجنتها بينما يده الاخرى تلتف حول خصرها ليقربها منه وهو يهمس بصوت مفتون " ما زلت تخجلين يا حوراء ! انت زوجتي منذ شهرين وحتى هذه اللحظة لاتتقبلين بشكل جيد تقاربنا الحميمي مع بعض ! اعترف انك تنطلقين امام الاخرين فتشاكسين مشاعري وتستفزين لهفتي وشوقي وانت تبدين لهفة وشوقا يماثلانهما ،

لكن ما إن نختلي بانفسنا حتى تفقدين انطلاقك وشجاعتك وتنكمشين على نفسك ، فأتساءل .. هل انا اخيفك ؟! وهل هذا ما يؤرقك ؟!!"

رفعت وجها مرتبكا اليه فكتم انفاسه وهو يتطلع لهاتين العينين ، يده التي كانت تلامس ظهرها من الخلف ارتفعت حتى وصلت لشعرها تداعبه بينما يراقب تأثرها الانثوي برضا العاشق عن معشوقته ...

همست " انت تعلم .. أنا خجولة .. اكثر مما يجب وانت ... انت .. تريد الكثير مني .. لاتكف عن تملكي بعاطفتك .."

رد بصوت تثقله مشاعر شغوفة " ماذا تتوقعين ؟! انت قطعة مني فاقدها منذ كينونتي وها قد عادت الي .. ملكي وعاد الي ! عاد لادحر هذا النقص الذي ابتليت به منذ اكتشفت وجودك منفصلة عني "

غامت عيناها ونبض قلبها يتراقص لتستشعره يده فيتراقص قلبه هو الآخر ، أبتلع ريقه بصعوبة يمنع نفسه عنها ، عقله يلح عليه لادراك معانٍ اخرى في هاتين العينين اللتين يعشقهما ..

سأل بهمس مبحوح " اريدك ان تخبريني بما خلف كلماتك هذه ، خجلك لايهمني وانت تعرفين ، بالعكس ممتع ان احطم حصون هذا الخجل خصوصا عندما تسلمين قلاعك بنفسك في ظلمة الليل ..."

تخضبت وجنتاها بحمرة قانية وهي تسبل
اهدابها فضحك برقة وهو يقول محذرا " قولي
لي يا حوراء القلب والروح فصبري بدأ ينفد ..."

رفعت اليه نظرات مجروحة بينما تقول بهمس
مرتبك " هذا ما اخشاه ! ان ينفد صبرك .. ان
لا تصبر علي لاكون كما تريد ، البس لك
قمصان نوم فاضحة ، اناغشك كزوجة
محنكة تجيد اثارة عاطفة زوجها ..."

ضحك عاليا قبل ان يقول بصوت مستفز " لو
اثرتِ عاطفتي اكثر من ذلك فسأنفجر !"

عاتبته بحرج " توقف ظافر !"

ابهامه على خدها اخذ يتحرك بتماهل ناعم
وهو يعاود السؤال " ما زلتِ لم تقولي كل شيء !"

رآها بقلق تبتلع ريقها ! هناك شيء تخفيه ،
ولايعلم لماذا شعر بالخوف ...

قالت اخيرا وشفتاها ترتشعان " لقد مر شهران .."

عبس قليلا وهو يتساءل " تقصدين على زفافنا ؟!
نعم شهران ... وماذا في ذلك ؟!!"

تحشرج صوتها وهي تغمض عينيها قائلة " انا لم
... لم ... احمل ... بعد ..."

هدأت ملامح ظافر تماما ، الحمل .... الحمل ...
يؤرقها ... و ... يؤرقه ... !

قال بصوت لاتعبير فيه " انا لايهمني ... "

فتحت عينيها وهي تقول باستهجان " كيف تقول لايهمني ؟!! انا قلقة جدا وانت تقول لايهمني ؟!! "

رد ظافر بهدوء غريب " لااعلم لماذا تستعجلين الامور ؟! عمتي نجلاء انتظرت سنوات حتى انجبتك .."

ابتسم ابتسامة صغيرة وهو يضيف " كان هذا لحسن الحظ لتصبحي لعبتي المفضلة والوحيدة .."

تجاهلت مناغشته لتقول بتركيز " امي كانت صغيرة جدا عندما تزوجت ابي ، في الثامنة عشرة ومجرد طالبة جامعية في المرحلة الاولى لذلك قرار تأجيل الانجاب كان لمصلحتها اولا ، اما نحن .. فلا يوجد عوائق كهذه .. ونحن ... نحن اصلا لانستخدم اي... موانع للحمل ... فلماذا لايحدث ؟! الا يجب ان نستشير طبيبا ؟!"

صمت للحظات وهو يتطلع اليها بغموض بينما هي تحاول قراءة ردة فعله لمخاوفها دون نجاح يذكر !

عادت لتقول وهي تحاول التماسك " قد يكون التأخير عاديا وغير مقلق لكن يجب ان ..."

قاطعها بحزم " يجب ان تعرفي انا لايهمني الحمل الان ، انا اريدك انت .... انت فقط ..."

وبنفس الحزم جذبها اليه مقبلا اياها بعاطفة اخافتها ! ابتعد عنها فجأة ليرفعها بين ذراعيه وهي غارقة بتشتتها المعتاد لسلطته عليها .

وضعها على السرير وانضم اليها وهو يهمس بلهجة نارية " بقميص نوم فاضح او محتشم الى حد الاختناق .. زوجة محنكة او طفلة لاتجيد اللعب ... حمل او لا حمل .... كله لايهم ... كله لايحمل معنى واحدا يرضيني ... انها مجرد اشياء تحوم حولك لكن في الاساس تبقين انت محورها .. قلبها ومنبع تفردها .... وهذا هو ما اريده فقط ... انت ! .. هذا هو ما يرضيني ..."

لم يمهلها اكثر وهو يأخذها في خضم عاطفة لم يفتح لها بعد كل الابواب ! فقط لانه يخاف عليها ... ووسط عاطفته هذه لم ينسَ ان يمد يده ليطفئ الانوار ... فقط ..لاجلها ....

صباح اليوم التالي

عنّفت نجلاء ابنها وهي تضع بعض الخبز على مائدة الافطار قائلة " على مهلك يا ولد ! ما بك ؟! ما زال الوقت باكرا لقدوم الحافلة .."

لكن محمود استمر في التهام البيض في صحنه ويحشو فمه بين لقمة واخرى ببعض الخبز !

ضحك محمد الجالس امام توأمه وهو يغمز بخبث قائلا " انت لاتعرفين امي ! انه مستعجل ليلحق بحبيبة القلب .."

شرق محمود في لقمته فسارعت نجلاء لاعطائه بعض الماء وهي تتساءل بحاجبين معقودين " حبيبة القلب ؟!!"

نظرة نارية من محمود لاخيه ليصرخ محمد بعدها متوجعا " أيييي .. " ثم بادل أخاه النظرات الغاضبة وهو يقول " لماذا ركلتني ؟!!! أنها الحقيقة ... تصر على ان نسلك طريقا مطولا للشارع الرئيسي حيث تقف الحافلة فقط لانك تريد رؤيتها وهي تخرج من بيتها ، تلك الفتاة المغناج السخيفة ..."

زمجر محمود بينما ابتسمت نجلاء وهي تنحني باتجاهه هامسة بمرح " من تلك المغناج السخيفة يا حبيب القلب ؟"

احمرت اذنا محمود بشدة كعادته عندما يشعر بالخجل ثم طأطأ رأسه قائلا " لم افعل شيئا خاطئا امي ، اقسم لك ..."

ضحكت بنعومة بينما اضاف محمود بحرقة " كما انها ليست مغناج سخيفة ! محمد غيور لانها معجبة بي انا بينما لاتوليه نظرة !"

علت ضحكات نجلاء والولدان يزمجران لبعض ..

" صباح الخير .."

تقدم بلال ليدخل غرفة الطعام الملحقة بالمطبخ منهياً بتحيته الصباحية زمجرة التوأم ، اقترب اولا من محمود مقبلاً رأسه المنكس ثم لامس باصبعه اذن ابنه المحمرة بينما يتمتم محمود بخجل " صباح الخير ابي "

كتم محمد ضحكته وهو يغادر كرسيه ليتوجه نحو ابيه يلف ذراعيه حوله ملقيا عليه هو الآخر تحية الصباح .

واخيرا تحرك بلال نحو نجلاء لينحني نحوها مقبلا وجنتها وهي تتعلق برقبته .

لحظات واخذت نجلاء تحث الولدين على المغادرة وهي ترسل رسائل بكلمات مبطنة ونظرات محذرة عن وجوب سلك طريق مختصر للوصول للحافلة !

كتم بلال ضحكته بينما نجلاء تودعها عند الباب ثم عادت اليه تعد له افطاره وهي تضحك قائلة " لقد كبر الصبيان ..."

تبسم لها وهو يأخذ فنجان قهوته قائلا " اسحبي كرسيك واقتربي اكثر مني ..."

بضحكة طفولية سحبت كرسيها لتلاصق كرسيه وهي تنظر لوجهه ملئ عينيها ، تطلع لشعرها الفوضوي ووجهها المفعم بالنضارة قائلا " صغيرتي يا فاتنة العينين عندما يتكلم امامك الولدان عن الفتيات اسمعي لهما لكن علميهما معنى غض البصر عن الحرمات ، قد لايلتزمان بل والمرجح انهما لن يفعلا مع كل المغريات التي حولهما لكن الكلمات ستبقى عالقة في اذهانهما مترسخة في اعماقهما كبذرة غرست في ارض طيبة ، سيستعيدانها عند الضرورة فتنهاهما عن فعل ما هو اكبر من مجرد النظر .."

مالت لتطبع قبلة على شفتيه وهي تقول بفرح وبساطة " سافعل ... لاتقلق ..."

عاد ليبتسم لها ثم اخذ يرشف من فنجان قهوته ليقول بعدها بتأن " رياض سيأتي للعشاء عندنا الليلة "

تراجعت فرحتها وكسا ملامحها القلق وهي تقول بارتباك " الليلة ؟!! لكن ... بلال .. لقد دعونا ..."

قاطعها قائلا بلطف " اعلم ان ظافر لايوده لكن عليه اعتياد تقبله ، انه ابن عمة حوراء اولا واخيرا وظافر ذكي كفاية ليدرب نفسه على تجاوز غيرة لا معنى لها فحوراء زوجته الآن ... "

زمّت نجلاء شفتيها وهي تتطلع اليه باحباط فاضاف وهو يبتسم بحنان " لم اتعمد دعوته للعشاء لكنه كان يشعر بالوحدة واستأذنني الحضور فلم امانع "

تمتمت نجلاء بصدق " انا لاامانع ان يأتي في أي وقت ، انا احبه حقا وهو شاب رائع ، لكن ظافر يتوتر لوجوده وانت تعرف مهدي وماهر يناصران ظافر في كل شيء وسيكون الجو مشحونا متوترا بوجودهم كلهم معاً "

لامس بلال خدها بنعومة وهو يقول " سأكون موجودا فلا تقلقي ، وقد تكون فرصة جيدة لرأب الصدع بينهم جميعا ..."

لم ترد نجلاء بشيء بينما فكرها مشغول هل تخبر حوراء ام تدع الامور تسير بشكل طبيعي عفوي ؟!!

الانتظار ...ثم .. لحظة الرؤية الاولى عند الصباح دوما تعطيه نفس الاحساس المتأجج ، رجفة سادية في عضلة القلب ولهاث انفاس مزقتها اللهفة ...

عيناه تابعتا ساقيها الجميلتين وهما تتحركان عبر المكاتب الصغيرة المفتوحة على بعضها لتستقر اخيرا على كرسي امام مكتب صغير يخصها وتطوي تلك الساقين فتخفيهما تحت سطح ذلك المكتب اللعين !

ابتلع ريقه وقلبه ما زال يهدر في صدره ، عيناه استرسلتا النظر لشعرها وهي تعيد بعض الخصل خلف اذنها ، وجهها يظهر انهاكا اكثر من المعتاد فتصارع في داخله شعوران متناقضان بين اشفاق وشعور بالذنب لانه يثقل عليها وهي لاتحتاج للمزيد فيكفيها المسؤوليات الملقاة على عاتقها وبين ابتهاج اناني لانه يدرك ان مكالمته لها بالامس سببت جزءا من هذا الانهاك ..

لقد خلبت لبّه بكل ما فيها ، فتاة مثلها لم تتجاوز العشرين ولديها كل هذه القوة والعنفوان والإباء ، لديها ولاء لعائلتها يجعلها تعافر لاجلهم لكن دون المساس بكرامتها ، ولاؤها هذا يمسه في الصميم ويقدره كل التقدير ، روح كهذه لايمكن الا ان تكون له ... وستكون له ... شاءت أم أبت ...

طرقت صفية على باب مكتبه وملامحها هادئة تماما ، دخلت ما ان سمعت الاذن بالدخول ..

ما ان وجهت نظراتها نحو مكتبه حتى قابلتها نظراته المتفرسة دون ان يكلف نفسه عناء اخفائها عنها .... لقد اعلن الحرب صراحة ..!

لم يرهبها ، فرغم انه مختلف الا انه لم يرهبها ... ما زال بامكانها التصرف معه دون ان تخشاه بشكل جدي ..

تقدمت خطوتين لتثبت له انها ليست خائفة ثم رفعت حاجبيها بعفوية متعمدة لتقول بصوت حيادي " هل استدعيتني سيد ماهر ؟!"

ابتسامة جانبية ساخرة ثم قال بصوت أجش وعيناه تحدقان في عينيها " اجلسي من فضلك .."

تقدمت بنفس الهدوء لتجلس على الكرسي ثم قالت وهي تتطلع اليه " هل تحتاج الي في شيء ؟"

اسبل اهدابه وابتسامة مستفزة لاحت على شفتيه بينما تلاعبت يده ببضعة اوراق امامه وهو يقول " الحقيقة انت من تحاجين الي لا انا !"

قاومت حاجتها لاخذ نفس عميق حتى تهدأ وبدلا من ذلك فضلت الصمت حتى لاتقول له ما قد تندم عليه .

التقط احدى الاوراق ليمررها لها عبر مكتبه وهو يقول " أبي طلب مني الاهتمام شخصيا بموضوع تعيينك بشكل رسمي في الشركة "

اخذت الورقة تقرأها بتمعن بينما يكمل ماهر بصوت مشاكس " ستعملين كسكرتيرة للسيد حكمت ، رجل في الستين لطيف وسيعاملك بشكل جيد "

رفعت عينيها اليه لتهمس بتأثر لم تستطع منعه " شكرا .. انا ممتنة للسيد شاهر ، لقد منحني الكثير .."

ارتعشت رغما عنها وهي ترى كيف غامت عيناه وهو يحدق فيها ، اجفلها وهو يمد يده فجأة ليقول بصوت أجش" تفضلي ، وقعي هنا على العقد .."

عنّفت نفسها لهذه الاجفالة الخائنة بينما تحدق بيده الممدودة وقد استقر فيها قلم ذهبي انيق ، مدت يدها لتأخذ القلم فلامست باطن كفه عرضيا لاتعلم هل ارتعش ام انها تتوهم ذلك ؟!! اختارت التجاهل لكل شيء كما قررت منذ ليلة الامس لذلك اجبرت نفسها على الثبات وهي تضع توقيعها في المكان المناسب .

رفعت رأسها وهي تضع القلم جانبا وتقول " شكرا جزيلا ، متى يفترض ان التحق بالعمل عند السيد حكمت ؟"

تطلع اليها طويلا وهي ثابتة لاتتزحزح عن هدوئها الظاهري ، هذا هو سلاحها الوحيد ، ان تكون هادئة دون استفزاز له ، تتغاضى عن اي نظرة او لمحة تحمل معانٍ اخرى ، او حتى تعليق مستفز ... الا اذا تجاوز الحدود ... فعندها .....

قال فجأة بصوت غامض " هل هذا ما استقر عليه رأيك ؟! ان تتجاهلي الامر وكأنه لم يحدث !"

للحظات طويلة تأرجحت بين عدة خيارات تتخذها بالرد عليه ، تبعت حدسها وهي ترد بنظرات لامعنى فيها " انا اقدر احيانا اننا نقوم باعمال غير محسوبة ، مجرد رغبة مفاجئة نحققها وقد نندم عليها لاحقا "

ابتسم وعيناه تستقران على سلسلتها الفضية المعلقة برقبتها " هل هذا ما تعتقدينه ؟! رغبة مفاجئة غير محسوبة العواقب ؟؟ حقا انك لاتعرفيني جيدا !"

لاارداديا رفعت يدها لقبة قميصها القطني البسيط وتمنت لو استطاعت اغلاق الزر الوحيد الذي ابقته مفتوحا صباحا ، ارتفعت نظراته لعينيها فوجدها تلتهبان بالغضب !

همس بشغف حار " تلك العينان ... "

وقفت على قدميها لتقول بحدة " سيد ماهر هل تريد مني شيئا آخر ؟"

مرت عدة لحظات قبل ان يقول بصوت غامض " ألم أقل لك انك لست مستعدة بعد .."

فقدت اعصابها وهي تنحني لتستند على حافة مكتبه وتقول بشراسة " ولن أكون مستعدة ابدا ، فانسَ هذه اللعبة ..."

ناداها بنعومة مدغدغة " صفية .."

احتدت أكثر وهي ترفع جذعها لتقول " لو سمحت ... انسة صفية .."

تشابك كفاه امام فمه وهو يسند كوعيه على سطح مكتبه ليقول بثقة مغيظة " تعلمين في قرارة نفسك ان الالقاب بيننا مجرد لعبة وانا تركتك تلعبينها كما تشائين "

زمّت شفتيها تقاوم انفجار طبعها الناري لتقول من بين اسنانها " سيد ماهر ، قلتها لك سابقا ابحث عن (فاكهة) اخرى تستذوقها انا لست مطروحة لك او لغيرك ، ويبدو انك تتناسى دوما اني مخطوبة وعلى وشك الزواج "

أمال رأسه جانبا وهو يقول باستفزاز رقيق " هل تحبينه صفية ؟! انا لا ارى حبا يطل من عينيك الواسعتين هاتين ، قد ارى خجلا انثويا عندما ينظر اليك ببلاهة لكن هذا لاشيء ! انت لاتنتمين اليه بأي شكل من الاشكال ، انه اضعف من ان يتواءم مع شخصيتك حتى انه يبهت تماما امام عنفوانك ..."

رأته يقف على قدميه وهو يتحرك حول مكتبه باتجاهها فأبت ان يرهبها فقالت وهي ترفع ذقنها عاليا " سيد ماهر ، لآخر مرة .."

قاطعها وقد وصل اليها ، قريبا منها حتى كاد ليلامسها " يوما ما صفية ساجعلك تنطقين اسمي همسا والشوق يشطرك نصفين !"

اخافتها تلك النيران المشتعلة في عينيه اللتين لم تعرف لهما لونا محددا ! لكنها كانت اذكى من ان تتحداه .. التحدي لامثاله مطلبا ليزداد اصرارا على نيلها ، سكنت ملامحها لتسبل اهدابها وهي تقول بنبرة هادئة تماما " استميحك عذرا لقد تأخرت على عملي .."

ثم ابتعدت عنه خطوة لتستدير بعدها وتغادر مكتبه بخطوات هادئة لاتعكس كل الاضطرابات والمخاوف التي تتآكلها ...

" ظافر سيتضايق لاني خرجت بدون اذنه "

تطلعت سلسبيل بضجر نحو حوراء التي تجلس بجانبها في السيارة وهي تردد نفس الجملة منذ ما يقرب الثلث ساعة !

ضغطت سلسبيل على بوق سيارتها لتتنبه سائقا متهورا اوشك ان يلامس سيارتها الصغيرة المدللة بسيارته ثم التفتت نحو حوراء لتقول بحنق " حوراء ما بك ؟!! ألم تملي تكرار نفس الجملة ؟!! اننا ذاهبتان اليهما اصلا فلم كل هذا الاضطراب وكأننا سنسافر بعيدا لعدة ايام ؟!"

ردت حوراء وهي تعيد بعض خصل شعرها المنفلته من الحجاب " انت لاتفهمين ، لقد صرفت السائق وهذا سيقلقه "

تنهدت سلسبيل وهي تتجاوز برعونة احدى السيارات ثم قالت بصبر نافد " ألم تخبري السائق انك معي ؟! كما انك حاولت الاتصال به وهو لايرد "

عبست حوراء وهي ترد عليها مفسرة " عندما لايرد يكون مشغولا ويعاود الاتصال حالما يستطيع "

هزّت سلسبيل رأسها وهي تقول بتأفف " حسنا ما المشكلة الان ؟! سيعاود الاتصال وتخبرينه اننا قادمتان للشركة وهذا سيبهجه "

ردت حوراء " سلسبيل.. اخوك من النوع الذي يريد ان يعرف كل خطواتي قبل ان اخطوها "

عقدت سلسبيل حاجبيها وهي تقول بسخط " ما هذا التسلط ؟!!"

ارتبكت حوراء قليلا وهي تدافع عنه قائلة " انه يقلق فقط ..."

ألقت اليها سلسبيل نظرة جانبية لتقول بجدية " عليك ان تجعليه يغير من طبيعته هذه لانها ستتعبك بل سترهقك جدا .."

هزّت حوراء كتفيها وهي تقول " انا لاامانع ولكني احزن من اجله لانه لايتوقف عن هذا القلق .."

لوحت سلسبيل بيدها وهي تقول باستنكار " انتما الاثنان تبالغان ! هو بقلقه غير المبرر ولا المفهوم وانت بخنوعك لمتطلبات هذا القلق !"

تضايقت حوراء لتسأل سلسبيل باستهجان " هل تصفينني بالخانعة ؟!"

ابتسمت سلسبيل لتخفف عنها قائلة " انت رقيقة الطباع واخي يستغل هذا فيك ليحصل منك على ما يريد "

ردت حوراء باصرار " انه يحبني سلسبيل "

ضحكت سلسبيل وهي تحرك حاجبيها باغاظة قائلة " وكأن هناك احد لايعرف !!"

احمرت حوراء بينما اضافت سلسبيل بلهجة غامضة " هل تعلمين حوراء كنت مستعدة لفعل اي شيء حتى اجعلك تتزوجينه "

تطلعت حوراء نحوها وقد استشعرت شيئا غير مريح في كلماتها بينما اكملت سلسبيل

بابتسامة حانية " انه مجنون بك منذ الصغر لكنه كان غبيا ليقاوم عاطفته نحوك حتى اوشك ان يفقدك ... "

ثم غامت عيناه لتضيف بشجن ساخر " يبدو اننا ابتلينا بالمقاومين من آل الغازي !"

ضيّقت حوراء عينيها وهي تتطلع بتمعن لجانب وجه سلسبيل لتسأل بعدها بهدوء " كيف مهدي معك ؟!"

ردت سلسبيل بغموض دون ان تحيد بنظراتها عن الطريق امامها " انه .. جيد .."

عبست حوراء وهي تسأل " ماذا تقصدين جيد ؟!!"

ضحكت سلسبيل بطريقة غريبة وهي ترد " انا مجنونة به كجنون اخي بك ..."

لم تفت حوراء تلك الغصة التي تكتمها سلسبيل لتقول كلمة استدارك واحدة " لكنه ...؟؟؟ "

طال صمت سلسبيل وقد كسا ملامحها تعابير غير مفهومة فقالت حوراء بقلق " لاتقولي انه لايحبك كما تحبينه !"

ردت سلسبيل بهجة غلب عليها الحزن " انه لايغفر بسهولة ولاينسى شيئا "

تزايد قلق حوراء وهي تسأل بألحاح " ماذا هناك سلسبيل ؟!"

ابتسمت سلسبيل لتقول ببساطة " يوما ما سأخبرك ، اشعر اني ساحتاج ان اخبرك قريبا ..."

وقبل ان تلح عليها حوراء مرة اخرى هتفت سلسبيل بمرحها الخاص " ها قد وصلنا عرين الغوازي .... استعدي للقتال ! "

غمزت لها سكرتيرته وهي تحثها على الدخول دون استئذان لتعمل بنصيحتها وهي تفتح عليه الباب قائلة بابتسامة واسعة " مرحبا ..."

وجدته واقفا وسط مكتبه ملامحه يغلب عليها الهلع والهاتف النقّال في يده وحالما رآها رمى الهاتف وهو يتقدم نحوها بعنف هاتفا باسمها " حوراااء ...."

حمدت الله انها اغلقت باب مكتبه بعد دخولها والا كان الحرج سيقتلها اذا رأتها سكرتيرته وظافر يضمها لصدره بعنف هكذا !

همس بصوت متعثر وهو يغمر وجهه في حجابها " يا الهي .. كنت اتصل وهاتفك مغلق والسائق الغبي لايرد علي !"

ردت بتحشرج " كنت في المصعد أما السائق فقد صرفته .."

ابتعد عنها وهو يمسك كتفيها صارخا " صرفته ؟!! لماذا ؟ وكيف اتيتِ الى هنا ؟!"

مدت كفها لخده وهي تهدئه برقة " ظافر .. اهدأ .. اتيت بصحبة سلسبيل "

عبس بشدة وهو يسألها " لماذا لم تخبريني انك ستخرجين مع سلسبيل ؟"

تضايقت قليلا لكنها اخفت ضيقها وهي تقول " اتصلت بك ولم ترد "

رد بغضب متفاقم وهو يكاد يصرخ " كنت في اجتماع لم اخرج منه الا قبل دقيقة "

لم تستطع كتم ضيقها اكثر لتقول بغضب هي الاخرى " وماذا كان علي ان افعل ؟!! اقف بوسط الشارع واوقف الجميع حتى احصل على ردك ؟ "

تطلع اليها صامتاً بينما ترقرقت عيناها بدموع لم تنزل لتضيف بحنق " كنت اريد مفاجأتك بحضوري واسعادك لكنك .. لكنك .."

تغير مزاجه تماما ليميل برأسه اليها هامسا امام فمها " انا اخاف عليك .." لكنها ردت بتمرد " لست طفلة ! "

ابتسم قليلا وهو يقول بصوت أجش " ممتن انك لست طفلة لكن هذا لايساعد ! لااستطيع مقاومة شعوري بالقلق "

اراد ان يقبلها فابعدت وجهها جانباً قائلة بحياء " ظافر نحن في المكتب .."

امسك ذقنها متجاهلا اعتراضها الواهن فحلّ حجابها وهو يقول بصوت مبحوح " انا آسف أني اضيّق عليك ، لكن ارحمي ضعفي هذا مولاتي ، ليس بيدي ... اقسم لك ..."

شمخت سلسبيل وهي تدخل مكتب مهدي وترى تلك الموظفة السخيفة تقف قربه وهو يوقع الاوراق وعيناها تأكلانه أكلا !

قالت سلسبيل بمرح " مرحبا يا وسيم ..."

رفع مهدي رأسه بينما تراجعت الموظفة الشابة في أدب متأخر وهي تحني رأسها للأرض !

وقف مهدي على قدميه وهو يتحرك نحو سلسبيل بابتسامته التي تسرق انفاسها ليقول بصوت مبتهج " مرحبا حبيبتي .. "

مال ليقبل اعلى راسها فرفعت وجهها بجرأة لتطبع قبلة عاطفية على ذقنه ..

نظر اليها بدهشة ثم اتسعت ابتسامته وهو يقول للموظفة المرتبكة " شكرا لك يمكنك المغادرة وسنكمل الاوراق لاحقا.."

تنحنحت الموظفة وهي تغادر بخطوات متماهلة !

ما ان خرجت الموظفة حتى وضعت سلسبيل يديها على صدره لتقول بملامح خبيثة " الا يفترض بسكرتيرتك ان تقدم لك اية اوراق تحتاج توقيعك ؟ منذ متى تتبرع الموظفات الباقيات لاداء هذه المهمة بانفسهن ؟!"

ضحك بنعومة وهو يرفع يده يداعب شعرها قائلا " تغارين ؟!"

أمالت وجهها جانبا وهي تقول بشموخ " ليست غيرة لكني لااحب نظراتها البلهاء نحوك وتعمدها الاقتراب منك .."

تماهلت نظراتها على ملامح وجهها ليقول " لم احظَ بأية نظرة بلهاء منك لحد الآن .."

شيء ما اوجع قلبها ! فهمست بنبرة مست قلبه " فيما يخصك انا بلهاء بالكامل !"

تسارعت انفاسه فهمس " ما بك يا امزونية ؟! هل خيبت ظنك بشيء ؟!!"

قبل ان ترد علا رنين هاتفها الصاخب فتأفف مهدي بينما ابتعدت سلسبيل قليلا لتخرج الهاتف من حقيبتها وهي تقول بمرح يخفي مشاعرها " عليّ ان ارد فربما حوراء تطلب النجدة من اخي المجنون ؟"

ادرك انها تتهرب ؟ ارتكز للخلف على حافة مكتبه وهو يسحبها اليه من خصرها بينما ترد سلسبيل على المكالمة قائلة ببشاشة " مرحبا عمتي .."

كان صوت عمتهما نجلاء واضحا له وهي ترد " مرحبا حبيبتي ، اردت التأكد انكم ستحضرون جميعا الليلة "

ردت سلسبيل وهي تتلاعب بياقة قميص مهدي " مؤكد سنحضر كلنا الليلة "

تنهيدة العمة نجلاء لم تكن مريحة وهي تسألها بلهجة مميزة " هل حوراء معك الان ؟ السائق اخبرني انكما معاً "

عبست سلسبيل قليلا وهي ترد " اجل هذا صحيح حوراء معي ، مررت عليها في المعهد حال خروجي من الجامعة وقررنا المجيء للشركة ، لكنها ليست معي الان انها في مكتب ظافر وانا عند مهدي.. "

قالت نجلاء بطريقتها المتحفزة " حسنا هذا جيد ، اسمعيني سلسبيل لاحد غيرك يستطيع مساعدتي ومهدي سيعينك .."

تنهدت نجلاء مرة اخرى قبل أن تضيف بغيظ وكأنها تكلم نفسها " اتمنى ان يعينك أنت ولا يؤازر ابن عمه في جنونه .."

انتاب مهدي نفس القلق الذي يلمحه على وجه سلسبيل وهي تسأل " عمتي ماذا هناك ؟!"

ردت نجلاء " لقد حصل تغيير الليلة او لنقل اضافة في الحضور غير متوقعة ولن تكون اضافة مريحة لظافر بالذات !"

تحفز مهدي رغما عنه وشعور مؤكد ان (الاضافة) لن تكون مريحة له هو بالذات ...

شعر بتوتر جسد سلسبيل بين يديه وكأنه يناجي توتر جسده ، لكن صوتها كان مسيطرا ثابتا وهي تسأل " من سيحضر عمتي ؟"

ردت نجلاء باحباط " انه رياض !"

الفصل الثالث

ردت سلسبيل بثبات تحسد عليه " حسناً عمتي لاتقلقي " ثم نظرت لعيني مهدي مباشرة لتكمل بابتسامة " انا ومهدي سنتكفل بالامر! "

شعرت باصابعه تنغرز في خصرها بينما نظراته تشتعل ! حتى انها للحظة اوشكت على التوجع بينما تسمع عمتها نجلاء ترد عليها عبر الهاتف ببعض الارتياح " حسنا يا صغيرة اراكم الليلة "

اغلقت سلسبيل الخط واعادت وضع هاتفها في حقيبتها بهدوء شديد ، هدوء مزعزع فداخلها يتلظى بنار الغضب !

رفعت نظراتها لمهدي الصامت وهي تقول بابتسامة شقيّة " حسناً يبدو ان لدينا مهمة حفظ السلام لهذه الليلة !"

ما زال يتطلع اليها بتلك النظرات المشتعلة والملامح المتصلبة بينما اصابعه لاترحم رقة خصرها النحيل .

قال مهدي اخيرا بصوت اقشعر له جسدها " جربي ان تقتربي من ذلك البائس وسأفعل ما لم تريه مني طوال حياتك .."

احتدت نظرات سلسبيل رغم انها ما زالت تتمسك بابتسامتها تلك قائلة " ما أجمل ان ارى احدى الوجوه التي تجيد اخفاءها عن الجميع !"

هذه المرة لم تستطع كتم توجعها واصابعه تشد على خصرها أكثر بينما يقول بصوته الثابت " حذاري سلسبيل ... الامر ليس لعبة ! هذه المرة لن اكون غفورا "

همست وهي تتطلع اليه بنظرات تلتمع بالتحدي " انت لم تغفر ابدا فلا تخدعَنّ نفسك بهذا "

اطرقت وهي تضع يديها على ذراعيه لتبعدانها وهي تهمس بحشرجة " إنك تؤذيني وستترك علامات زرقاء على خصري "

خفّف من امساكه لها دون ان يفلتها ثم جذبها اليه بسلاسة غامرا اياها بين ذراعيه ، احنى رأسه حتى لامست شفتاه رقبتها ليهمس " أنا آسف لخصرك النحيل هذا الذي يثير جنوني "

امسكت تنهيدة اوشكت ان تفلت منها وهمست في سرها (ما زلت تبتعد مهدي ... ما زلت لاتريد مواجهة غضبك مني لتدحره ..)

وبدلا من أن تعبر عن افكارها هذه ضمته هي الاخرى اليها لتهمس بعذوبة تلفها الشقاوة " كم تحبني يا وسيم ؟ "

اخذ نفسا عميقا واطلقه باحتراق وهو يضمها لصدره اكثر ثم قال بصوت هامس مبحوح " سلسبيل دعينا نعجل بزواجنا ، لماذا الانتظار حتى تنتهي السنة الدراسية ؟!"

دمعة غادرة افلتت من عينها فأخفت وجهها في عنقه وهي تسأله بحشرجة " هل تخاف ان تفقدني ؟!"

شعرت بجسده يتشنج لكنه تراخى وهو يرد قائلا بوقاحة غير معتادة منه " بل اريد ان ارد على سؤالك الاول ! فأنا لااجيد الا الافعال "

ضحكت وهي تبتعد عنه لتواجهه بخدين محمرين فتناه فابتلع ريقه بصعوبة وهو يهمس " قولي ان لامانع لديك وسأقنع عمي آسر فنتزوج خلال اسبوع.."

رمقته بنظرة ساحرة من بين اهدابها المسبلة لتقول بدلال خطف انفاسه " سأفكر .."

ابعدت نفسها عن محيط ذراعيه وهو يغمرها بتلك النظرات المتعطشة اليها فلوحت له وهي تبتسم وتقول " انتظر ان تمر بي الليلة عند الساعة السابعة يا وسيم .."

كان ما يزال على وقفته المستندة الى حافة مكتبه يرمقها بنظراته عندما همس بصلابة " ارتدي شيئا جميلا و... محتشما ..."

اومأت برأسها مغادرة وهي تسبل اهدابها تخفي الكثير مما يعتمل في عقلها و.. قلبها...

ارتقى ظافر درجات السلم في بيت عمته نجلاء وضيق سخيف يجثم على صدره ، مر به التوأم يتراكضان نزولا وهما يحييانه بصوت واحد " مرحبا ظافر .." ليضيف محمود " حوراء اكملت ارتداء ملابسها .."

شد ظافر شفتيه وهو يكمل طريقه نحو غرفتها او ما كان غرفتها في يوم من الايام ...

اوشك ان يصل عندما سبقته حوراء الخروج ، رآها كيف تضع دبوسا لامعا في فمها بينما تضبط بيديها حجابها الابيض .

عيناه تتمليان النظر لفستانها السماوي الفضفاض عسى ان يجد به شيئا لايعجبه ليمنعها حضور هذه المأدبة ويأخذها لبيتهما مباشرة !

رآها تسحب الدبوس من بين شفتيها لتضعه بمهارة طبيعية في حجابها فتثبته ، انتبهت لوجوده اخيرا فتقدمت نحوه وهي تبتسم ملأ وجهها الفاتن ، تنهد بجذل ليلتقط جسدها بين ذراعيه يضمها اليه ويغرق في عطرها الناعم ..

ارادت ان تبتعد لكنه لم يسمح لها وهو يهمس بحنق طفولي " لماذا لم تبقي معي في الشركة كنا اتينا سوية الى هنا ؟"

ابعدت رأسها قليلا لتنظر لوجهه وهي تقول برقة محببة " لقد سبق واخبرتك اني اردت مساعدة امي ، فهي تدعي السيطرة على الامور لكنها تحمل نفسها فوق طاقتها "

تمتم بكلمات متبرمة وهو يسبل اهدابه فرفعت كفيها لتحتضنا وجهه ثم قالت بعينين لامعتين بالرجاء " عدني انك لن تفتعل مشكلة مع رياض "

زفر بغيظ وهو يحول نظراته بعيدا فرفعت نفسها قليلا لتقبل جانب فمه ثم همست " عدني يا معشوق القلب .. فأمي قلقة ولااحب ان اراها هكذا ! عدني انك ستتنسى انه في يوم ما أنه.."

قاطعها بحدة ليكمل ما ارادت ان تقول " ارادك زوجة ؟!"

منحته ابتسامة عاطفية واتسعت عيناها في فتنة طاغية جعلته يلهث ! اقتربت بشدة لتهمس امام فمه " لكني اخترتك انت وفي داخلي لم أكن اتخيل نفسي يوما الا لك "

ابتلع ريقه وهو يتطلع اليها قائلا " كم اتمنى ان تتعلمي السعي الي هكذا عندما نكون بمفردنا حقا دون ان يقيدني ظهور مفاجيء لعمي بلال او اي شخص آخر "

احمرت وهي تسبل اهدابها خفرا بينما اضاف ظافر بصوت أجش " فقط لو تثقين بي ! ألم اثبت لك مرارا اني قادر على معاملتك بكل رقة .."

همست بتردد " الامر ليس هكذا .."

نظر اليها بشغف ليقول " انت حتى لاتثقين بنفسك معي ! لاتدركين الى اي حد انا متيم بكل جزء فيك ، انك امرأة عاطفية حوراء تثير جنون اي رجل ، ولااقصد العلاقة الزوجية فقط وانما عاطفتك صادقة ونقية وشديدة التدفق كنبع صافٍ من الجنة.. "

تنهد بحسرة وهو يكمل " انا اتحمل جزءا من الذنب لشعورك هذا ، كان يجب ان اسعى اليك منذ تفتحت انوثتك مبكرا ... لكني خفت ... خفت من قوة ما اشعر به نحوك خصوصا وانت بدأت بالتباعد عني "

ردت بصوت خجول " أنا .. أنا .. منذ الصغر وكنت ابحث عنك دوماً ، لااعرف لماذا بالضبط لكن مجرد وجودك كان يشعرني بفرحة واطمئنان "

ثم رفعت عينيها اليه وتخضبت وجنتاها وهي تقول " في عمر الثالثة عشرة كان قلبي يرتجف في صدري كلما نظرت اليك .. فخجلت من نفسي وارهقتني مشاعري .. بعدها ... بعدها "

عضت شفتها السفلى بينما شجعها ظافر قائلا بهمس " بعدها ماذا مولاتي ؟ لاتتوقفي الان .."

ردت بغصة " بعدها اصبحت تصاحب الكثير من الفتيات وهذا ... جرحني ... عذبني .. واحسست ان اللّه يعاقبني لمشاعري نحوك .. فاحكمت الطوق على تلك المشاعر وخنقتها بيدي قبل ان تكبر اكثر .."

تنهد وهو يمد يده لوجنتها يداعبها ثم مال ليقبل وجنتها الاخرى قائلا بهمس قرب فمها " انا ادفع الثمن الآن ! ادفعه غاليا مولاتي ...."

ثم رفع وجهه لينظر اليها مبتسما بحرارة ثم قال " لكني معك انت بالذات صبور جدا ... لدي عمري باكمله لانتظر قلبك الصغير الجميل هذا يحكم عليك أن تمنحيني بثقة كل شيء فيك .. دون قيود .. دون خجل .... دون تردد .."

ابتسمت له باشراق ثم قالت بنعومة " حسنا عدني انك ستتصرف بلباقة ولطف في سهرة الليلة وانا اعدك اني سأبذل قصارى جهدي .."

ضحك عاليا وهو يضمها لصدره ثم همس من بين طيات حجابها " أمرك مولاتي ..."

اوشكت صفية ان تصفع وجه طبيب العيون الذي كرهته من اول نظرة ! لم تحتمل نظرته المتعالية لها ولاخيها طه ، كان يفحص عينيه بجهاز الفحص الخاص وهو يتعامل معه وكأنه طفل معوق لايفقه ابسط الجمل او التوجيهات !

اقسمت اغلظ الايمان انها لن تعود اليه مرة اخرى حتى وأن امتلك افضل الشهادات العلمية على مستوى العالم ، هذا الكريه البغيض يتعامل معهما بفوقية بمجرد ان القى النظر إليهما صعودا ونزولا وكأنه ينأى بنفسه عن التعامل مع الطبقة الاجتماعية الفقيرة التي يمثلانها ، قد تكون ملابسهما مستهلكة بوضوح لكنها نظيفة ومحترمة .

ومن هو ليفرض نوعية محددة من المرضى ؟!!
ألم تدفع رسم الدخول المبالغ فيه ليفحص عيني اخيها ؟! حالها كحال تلك المرأة المترفة بحليها ونظراتها المزدرية ! كم تكره هذه النوعية من البشر ... يظنون ان ما يملكونه يجعلهم افضل واعلى مرتبة من غيرهم لكنه بطريقة ما يمتص منهم حسن الخلق وصفاء النفس ...

قال الطبيب بتعجرف " مساعدتي ستعطيكِ ورقة ببعض الفحوص التي اريدها من احدى المراكز التخصصية وهم ايضا من سيقوم بتحديد درجة البصر "

صمت قليلا وعيناه توحيان بالتضجر وكأنه يخشى ان يحتاج لاعادة الكلام لتفهمه !

رفعت صفية ذقنها لتقول ببرود شديد " حسناً سآخذ أخي الليلة لذلك المختبر ونجري ما هو مطلوب من فحوصات اضافية اذا كانت ضرورية حقاً "

عبس وجه الطبيب فبانت تجاعيد مبكرة لسنه الذي لم يطأ الخمسين ثم قال بازدراء واضح " وهل تحسبيني اضيع وقتا معك لاطلب فحصا غير ضروري ؟!!"

في قرارة نفسها كان لديها شك كبير انه لايحتاج لهذه الفحوصات وتحول شكها يقيناً عندما استدار متجاهلا اياها ليقول " اريد الفحوصات من هذا المركز بالذات ولن اقبل بغيره فلا تعودي الي لتقولي ان اسعارهم مرتفعة!

كل شيء بثمنه ومن يريد ان يتعالج عند طبيب مثلي عليه ان يدرك ان التكاليف تتضاعف "

لم تتعب نفسها بالرد عليه خصوصا وقد استشعرت ان طه يعاني من المشاعر السلبية التي يثيرها فيه هذا الطبيب المتعجرف .

غادرت العيادة وهمومها تثقل قلبها بينما يد طه الصغيرة تمسك يدها بقوة وكأنه يشد أزرها !

نظرت اليه فوجدته ينظر اليها بابتسامة واسعة لكن تلك العينين الحبيبتين تفصحان عن الكثير .

ابتسمت في وجهه وقالت بلهجة طفولية " جيد انك كنت معي فاحيانا احتاج لرجل يجمح غضبي !"

ضحك طه من قلبه بينما تبادله صفية ضحكاته وعقلها يدور بدوامات اخرى ، من أين لها بمزيد من المال لتكمل فحوص اخيها وتشتري له نظارات جديدة ؟!!

اوشكت سلسبيل على الاختناق لكثرة ما كانت تحبس انفاسها توترا بينما تدعي الابتسام بوجه الجميع دون ان تفقد حرصها بعدم القاء نظرة نحو الجهة التي يجلس فيها رياض والى جانبه العم بلال ، بينما فاجأها ظافر بحديثه المنطلق مع رياض بالذات دون ان تفارق ذراعه خصر حوراء ، ولكن خلف هذا الانطلاق كانت تستشعر الجهد الذي يبذله اخوها ليتكلم مع رياض هكذا ،

ولديها شعور مؤكد ان هذا الجهد ليس لاجل حوراء او العم بلال والعمة نجلاء فقط بل لاجل مهدي ايضا ! مهدي الذي التزم بصمت شامخ كشموخ الجبال جعلها تشعر بالارهاق من كثرة الضغط على اعصابها ...

وما زاد الطين بلّة صمت ماهر ! كان يبدو شاردا ظاهريا لكنه في الحقيقة كان يراقب كل شيء حوله ! اشفقت على العم بلال وواضح انه مدرك لتوتر الاجواء ويعالجها بلطفه ودماثته المميزين .

كم تمنت وجود امها او العم شاهر فهما كانا سيساعدانه ، انهما يجيدان اضفاء جو من الاستقرار والتآلف ..

تنهدت في سرها لتفكر بوالدها ، لتداعبه امنية انانية بأن تهرب منهم جميعا لتلتجئ لاحضانه فتشعر ان كل الامور ستكون بخير ...

تنفست الصعداء عندما طلبت العمة نجلاء اللحاق بها الى المطبخ لمساعدتها في ترتيب فوضى المطبخ وبادرت لالقاء مزحة حول يأسها من مساعدة حوراء وظافر يعتقلها كاسيرة هكذا !

التفتت سلسبيل نحو مهدي الذي يجلس بجانبها دون ان يلمسها فقالت له بابتسامة بشوشة " ساحضر لك قطعة اخرى من قالب الحلوى الذي تحبه عندما انهي عملي مع العمة نجلاء "

ظل يتطلع اليها للحظات طوال دون ان تفهم تعابيره ثم انحدرت نظراته لشفتيها قائلا بصوت منخفض " سأكون بانتظارك .."

غادرت سلسبيل غرفة الضيوف الانيقة لاحقة بالعمة نجلاء وهي تدعو الله ان تنتهي هذه السهرة الثقيلة على خير !

العشاء كان كارثيا ! لاتعلم كيف اصبح رياض على مائدة الطعام جالساً مقابلا لها تماما مما جعلها تحني راسها طوال الوقت نحو الاسفل لتتجنب اي التقاء بالنظرات قد يسبب ازعاجا لمهدي الذي كان يراقب بهدوئه المستفز !

الحمد لله الامور انتهت على خير لحد الان ستساعد العمة نجلاء وتحاول دفع مهدي للمغادرة بعدها مباشرة .

قالت نجلاء وهي تجفف يديها " اذهبي حبيبتي انا ساحضر المزيد من الحلوى للجميع .."

تبسمت سلسبيل وهي تغادر المطبخ تاركة العمة نجلاء توجه الخادمة لبعض المهام ..

" مرحبا .."

خفق قلبها توجساً وهي تقابل رياض وجها لوجه ...

كان يقف امامها مباشرة في الصالة الوسطية بينما على بعد امتار عديدة تقع غرفة الضيوف .

شدّت هامتها لتنظر اليه بثبات وهي تقول بشبه رسمية " مرحبا ..."

ثم تحركت نصف خطوة لتتخطاه عندما تحرك هو الآخر ليميل نحوها قائلا على عجل

" كيف هي دراستك ؟"

كتمت نفسا اوشك ان يخرج من صدرها معبراً عن ضيقها ! كانت تعرف ببداهة انه يحاول اطالة الوقوف معها وهذا وترها اكثر ..

اتخذت قناعاً هادئاً وهي ترد ببرود " بخير الحمد للّه .. شكرا لسؤالك .."

تحركت هذه المرة بخطوة واسعة لتمر جنبه عندما اوقفها مرة اخرى بصوت أجش " وكيف .. هي حياة الخطبة ..."

تجمدت قدماها والتفتت برأسها اليه دون ان ترد عليه ، عيناه كانتا تلتمعان وهو يدقق النظر لوجهها باعجاب رجولي واضح ليسأل بصوت ثابت سؤالا لامراوغة فيه "هل انت سعيدة معه؟"

صوت غاضب اجفلهما معاً من جانب الممر المؤدي لغرفة الضيوف

"أوَ تجرؤ على سؤالها هذا السؤال ؟!"

همست سلبيل كتحصيل حاصل لرؤيتها تلك الهيئة الضخمة التي تعرفها " ماهر!"

اقترب ماهر اكثر وهو يخص رياض بنظرات مرعبة ثم قال بهدوء مقلق

" اذهبي لزوجك سلسبيل فعيناه ترقبان عودتك .."

تحركت خطوة متجاوزة رياض لكنها رمت لماهر نظرة محذرة فرد لها ماهر نظرتها باشارة حادة من رأسه يخبرها بها ان تذهب في الحال ..

رفع رياض ذقنه وهو يتطلع بهدوء لكتلة الغضب امامه لكنه لم يقل شيئاً منتظرا من ماهر البدء في الهجوم !

تقدم ماهر ليقف على بعد بضع سنتيمرات من رياض ينظر اليه بطريقة تعبر عن شخصه القاسي عندما يستدعي الامر ...

قال ماهر من بين اسنانه "شيء واحد .. واحد فقط يقف بيني وبينك الآن .. عمي بلال .. هذا الرجل الذي اكن له كل الاحترام .. "

للحظة التمع الشعور بالذنب في عيني رياض لكنه تماسك سريعا ليقول بهدوء "انت تسيء فهم الموضوع "

اقترب ماهر برأسه منه وهو يرفع قبضته في وجهه قائلا بتهديد واضح "عائلتي خط احمر رياض ، اياك والاقتراب منها والا اقسم لك سأحطمك دون لحظة تردد او ندم.."

قال كلماته وهو يضغط باصابعه على باطن كفه حتى اصدرت صوتاً مميزاً ..

ضيّق رياض عينيه ليقول ببعض الحدة " تكلم باحترام ماهر.. انت تجعل الامر يبدو قذرا جدا! "

لكن ماهر لم يبال ليضيف بنفس النبرة المهددة " اياك والعبث مرة اخرى مع سلسبيل .."

عقد رياض حاجبيه ليقول بغضب " عبث ؟! هذه اهانة سافرة وانت تعلم من أكون .."

تراجع ماهر بكبرياء للخلف ثم قال قبل ان يستدير " هذا تحذير لمرة واحدة فقط فتذكر ذلك جيدا يا رياض .."

عندما عادت سلسبيل لغرفة الضيوف كان التوتر قد بلغ اوجه في داخلها وشعرت انها ستنفجر ان بقيت على هذه الحالة اكثر من ذلك !

لاقتها عينا مهدي اولا وشيء ما صقيعي التمع فيهما اشعرها برعشة على طول جسدها ! ادارت وجهها لتتنفس قليلا ففاجأتها نظرات اخيها ظافر ! كان ينظر اليها بتدقيق وعيناه فيهما تساؤلات لم تفهمها .. لكنها تعبت ! تعبت وارهقت وكرهت هذه السهرة بكل ما فيها ...

وجدت نفسها تقول لمهدي " انا مرهقة جدا ! هل يمكننا المغادرة حالا ؟ اشعر بالحاجة لان انام عشر ساعات على الاقل ..."

رأته كيف يشد على فكيه ثم وقف على قدميه بسلاسة بينما العم بلال يقف هو الآخر ثم تبعاه ظافر وحوراء ...

لاح في عيني بلال بعض الاستغراب وهو يتطلع لمهدي ! ولم تكن هذه المرة الاولى التي تشعر بنظراته نحو خطيبها العتيد خلال هذه الليلة !

قال بلال بلطف " حسنا يا صغيرة وجهك يبدو شاحباً قليلا على غير طبيعته .."

ابتسمت سلسبيل دون ان تقول شيئا وتركت الامور تسير بانسيابية وهي تودع الجميع لتغادر بيت عمتها اخيرا وهي تحمد الله انها لم تضطر لتوديع رياض الذي اختفى عن الانظار !

في السيارة كان عليها ان تعاني من نوع اخر من انواع الصمت الذي حاوط مهدي من كل جانب ، كان يمسك بعجلة القيادة وعيناه تنظران للطريق امامه لكن كل الذبذبات تشير لغضب هادر يموج في داخله ..

لم يعد لديها خزينا من حسن التصرف والتفكير لتتعامل به معه ، لقد فاض بها ولم تعد قادرة على بذل المزيد ...

اوقف السيارة في المدخل الرئيسي لبيت والدها لكنه لم يلتفت نحوها لتغرق في ظلمة الليل وظلمة افكاره التي يكبت انفجارها !

شعرت بالغيظ الشديد ولا تعلم ايّ شيطان وسوس في اذنها ليجعلها تتراجع عن قرار مغادرة السيارة بهدوء مكتفية بجملة (تصبح على خير) وتتخذ قرارا متهورا بالهجوم !

قال بشراسة " هل انتهيت من هذا الدور الصامت المتعالي الذي تلعبه معي ؟! "

التفت نحوها بعنف وما رأته في عينيه جعلها رغما عنها ترتعش ! امسكها من ساعدها ليسحبها نحوه وهو يقول بشراسة تفوق شراستها " تجعلينني افقد كل ما كنت اعتقده في نفسي من صبر وحُلم ! بل وتجعلينني اكره عشقي لك احيانا لانه يشعرني بالضعف والسلبية ! لقد حذرتك من الاقتراب منه الليلة .. واذا بي اراك تقفين معه حتى ولو كان ماهر معكما ما كان يفترض ان تقتربي منه في الاساس "

شمخت وهي تقاوم دموعا حارقة تهدد بأن تفيض بغزارة من عينيها لتقول بغضب " وهل انا من اقترب ؟! طوال تلك السهرة الكريهة لم انظر نحوه حتى أكراما لمشاعرك ، فعلت ما لم افعله طوال حياتي ... فعلت ما أنا لست مقتنعة به ! "

اتسعت عينا مهدي في غضب مجنون بينما اكملت سلسبيل بإباء " اجل مهدي ... لو كنت مخيرة لكنت تصرفت بشكل طبيعي في حضوره لا أن اهرب حتى من مجرد النظر ! "

تحشرج صوتها رغماً عنها وهي تقول بغضب متفاقم " أنا اخطأت فيما فعلت سابقا واعترفت بذلك ولست جبانة لاهرب من اخطائي ، انا صريحة مع نفسي واحاول دوما أن اتعلم من اخطائي مهما كبرت او صغرت ..."

اختنقت بغصة من القلب وهي تكمل بألم " انت من يحتاج ليكون صريحاً مع نفسه ، انت من يحتاج ان يواجه خياراته ويتحمل نتائجها ... لقد اخترتني فتحمل هذا الاختيار او اطلق سراحي .."

ما أن قالت هذه الجملة حتى افلتت ذراعها بالقوة منه وخرجت راكضة من السيارة تاركة اياه ينظر اليها بجمود وهو يهمس " لثاني مرة تقولينها يا سلسبيل !"

ثم احتدت نظراته بعنف رهيب ليشغل سيارته وينطلق بها وهو يقول بنبرة شديدة القساوة " سأجعلك ايها الخسيس تعلم ان لاتقترب مما يعود ألي !"

كان رياض يخرج مفتاح شقته من جيبه وهو يتنهد بضيق شديد عندما سمع من خلفه صوتاً يغلفه غضب سافر يقول " اخيراً عدت ! لدي حساب قديم معك وآن اوان تسديده !"

ما أن التفت ورآى امامه وجه مهدي بتعابيره التي لم يره يحملها سابقاً حتى ادرك ان هذه الليلة ستكون ليلة مضنية !

قالت حوراء بعد ان دخلت غرفة النوم وهي تخلع حجابها " ظافر .. هل يخيل الي ام ان هناك امرا غير طبيعي يجري بين رياض ومهدي ؟!"

كانت قد التزمت الصمت في رحلة العودة تفكر بكل الاشارات المتوترة التي ظللت سهرتهم العائلية لهذه الليلة ، حتى ظافر بدى ساهماً وقلقاً في السيارة !

رد ظافر وهو يفك ازرار قميصه " مؤكد هناك امر ما ! لقد وترني مهدي الليلة ! في البداية تصورت انه متوتر لاجلي لوجود رياض في السهرة حتى اني تصرفت بلباقة مبالغة لاجل ان اجعله يسترخي لكنني تفاجأت انه غير متنبه لي حتى!"

اخرجت حوراء منامتها من الخزانة وهي تتساءل بحيرة " ماذا حصل بينهما ؟!" ثم عقدت حاجبيها بتفكير لتضم منامتها لصدرها وهي تقول " حتى سلسبيل بدت على غير طبيعتها وماهر كان كصقر متربص !"

التفتت بنظراتها نحو ظافر لتراه خلع قميصه فاضافت بضيق " انا لاافهم ! اعلم ان وجود رياض يضايقك لكن هل يستدعي كل هذه العدوانية منهم ؟!"

نظر اليها وعيناه شاردتان بتفكير عميق ليقول بهدوء " لا حوراء ... الامر لايتعلق بنا .. هناك امر حدث وانا وانت لانعرفه .."

ثم صمت قليلا ليعقد حاجبيه قليلا ثم قال همسا " لكن ربما .... هل يعقل ؟!!"

اقتربت حوراء منه لتسأله بقلق ظاهر " ماذا ؟!"

اخفى ظافر تعابيره ليبتسم في وجهها قائلا " لاتقلقي ، سأفهم ما يحدث ، لي كلام مع ماهر فمهدي يرهقني عندما يريد اخفاء شيء "

مد يده ليداعب وجنتها ثم قال بابتسامة عابثة وهو ينظر لمنامتها القطنية " دعي عنك ارتدائها ودعيني اكتشف بنفسي ماذا يوجد تحت هذا الفستان الفضفاض بينما تخبريني مجدداً كيف ستبذلين قصارى جهدك لاغرائي ! "

كانت تعترض بوجه محمر وهو يسحب منها المنامة ليرميها بعيدا ضاحكا من مقاومتها المثيرة ...

صباح اليوم التالي

تلكأت خطاها ذهابا وايابا قريبا من مكتبها الصغير وعيناها تنظران لجهة المصعد بتردد واضح ! لم يمض على حضورها للشركة الا عشر دقائق وقد قررت الذهاب للسيد شاهر منتصف النهار لكنها لاتطيق صبراً ...

عادت ذكرى عينيّ طه تؤرقانها بنظرتهما المرتبكة والتي تناقض تلك الابتسامة المحببة التي يرسمها على شفتيه ..

اخذت نفساً عميقا ثم عاودت النظر لساعتها الجلدية السوداء وبحاجبين معقودين اتخذت قرارها ...

تحركت ساقاها نحو المصعد دون ان تتنبه لتلك العينين المراقبتين لها منذ وقت طويل !

ابتسمت صفية لمساعدة السيد شاهر ذات الملامح التي تفتقد لأي تعبير محدد بينما تنتظر الاذن منها بالدخول ، واخيرا اومأت لها المرأة الاربعينية لتتنفس صفية الصعداء

وتتحرك نحو باب المكتب فتطرقه بأدب وتنتظر سماع اذنه بالدخول .

دخلت صفية وهي تعاني من شعور مريع بالخجل جعلها لاول مرة تشعر بالضيق لتواجدها مع هذا الرجل الرائع .

جاءت تحيتها خافتة وهي تحاول الابتسام في وجهه " صباح الخير سيد شاهر ، آسفة اذا كنت سآخذ من وقتك "

شعرت بنفسها سخيفة وهي تحاول الابتسام هكذا بينما السيد شاهر يرد تحيتها وهو يبتسم ابتسامة صادقة ووجهه الوسيم مشرق بالترحاب .

عيناه التقطتا حالتها كما يبدو لانه سألها بلطفه المعهود " ما بك يا صغيرة ؟ لاتبدين على طبيعتك ؟"

ردت بصوت متحشرج من شدة الاحراج " أنا اسفة سيد شاهر ، لااعرف الى من التجئ ، انا خجلة لاني قد ابدو مستغلة لكرمك معي ... أنا .."

صمتت وجزء منها ينتفض ! جزء شامخ حيوي يأبى التذلل حتى لشخص شاهر الغازي الذي تعتبره كأب لها ..

لم تشعر يوما برغبة في البكاء او حتى ان تلتمس بضع دمعات تراضي بها نفسها ، لكن الان وهي بهذا الموقف شعرت انها توشك على الاجهاش بالبكاء !

قال السيد شاهر برقة وكأنه يدرك بطريقة ما ما تعاني " لاتخجلي من طلب شيء مني ، اي شيء يخطر في بالك "

ثم منحها اجمل ابتساماته وهو يكمل بحنان " احببت دوما ان احظى بأبنة ادللها فاشفقي عليّ وحققي لي هذا الحلم .."

ابتسمت بارتجاف وعيناها تنطقان بالامتنان ، قالت اخيرا " اخي طه يحتاج لفحوصات بصرية وعلى اساسها يجب تغيير النظارة الطبية التي يستخدمها " منحها الوقت لتكمل بحرج واضح " اعلم اني ما زلت متدربة ولن الحق بالعمل الرسمي قبل عشرة ايام لكني .. بحاجة ..." ابتلعت ريقها واطرقت وهي تعتصر نفسها عصرا لتقول " بحاجة ان التحق الآن وأن .. ان .. آخذ .. جزء .."

لم تستطع قول المزيد وشعور رهيب بالخزي يتملكها ويشدد من خناقه حولها !

صوت الباب خلفها ورائحة عطر تعرفها.. لم تكن بحاجة السيد شاهر ليُعرّفها القادم وهو يقول بلطف " مرحبا بنيّ جئت في وقتك ..."

شتمت صفية في سرها بينما تضغط على نفسها لترفع رأسها عاليا دون ان تلفت نحو ... ماهر الغازي ...

بحة صوته وصلت مسامعها وهو يقول بهدوء " هل استطيع المساعدة بشيء ؟"

رد شاهر " نعم ... صفية يفترض ان تعمل مع ..."

تلكأ شاهر قليلا ليكمل له ماهر " مع الاستاذ حكمت ... الاسبوع القادم ستلتحق بالعمل عنده والراتب كما أمرت سيكون "

تقبضت يدا صفية بينما قال شاهر ببشاشة " جيد جدا ... حسنا ... هناك امر اريده منك.. الحقيقة هما امران ، الاول ان تجعل صفية تلتحق اليوم بالاستاذ حكمت ولتكمل معه تدريبها وهو رجل رائع ولطيف المعشر احسنت باختياره لتكون هذه الفتاة الجميلة سكرتيرته "

شعرت صفية بوجهها يحمر بينما وبطريقة ما لاتفهمها شعرت بعيني ماهر تخترقان ظهرها !

جاء صوت ماهر مبحوحا اكثر من طبيعته وهو يقول " وماذا عن الأمر الثاني ؟"

رد شاهر " صفية قدمت على سلفة وانا وافقت وستخصم من راتبها او اذا شاءت تقسّم على عدة رواتب ، اترك لها الخيار .."

تمتمت صفية وهي تجبر نفسها على استعادة قوتها " شكرا لك سيد شاهر لكني افضل ان تخصم بالكامل من اول راتب لي ، لااحب ان اظل مدينة بشيء "

تبسّم شاهر وهو يقول " حسنا كما تشائين "

ثم التفت نحو ماهر ليقول " اجعل احدهم يأخذها للاستاذ حكمت ويعرفها عليه ولاتنسَ موضوع السلفة ، اريده ان يتحقق خلال اقل من ساعة "

توقفت للحظة عن التنفس بينما صوت ماهر جاء عذباً وهو يقول من خلفها " سآخذها بنفسي .."

قاومت حتى لاتقول له (لاداعي) عندما صدمتها رؤية نظرة السيد شاهر الى ولده وقد تراوحت بين الدهشة والغموض !

سمح لها بالدخول قبله للمصعد فدخلت دون ان تنظر اليه لتستند بظهرها الى احدى جوانبه بينما استند هو الى الجانب المقابل لها وضغط على زر الطابق المناسب ، ما ان انغلقت ابواب المصعد حتى سألها بصوت ناعم " لماذا تحتاجين للمال ؟"

ردت بهدوء بارد دون ان تتطلع اليه مباشرة "
اعذرني سيد ماهر انه أمر شخصي "

ضحكة خافتة مستفزة ثم ببساطة مد يده
ليضغط على زر آخر في لوحة الازرار المعدنية
اللامعة فتوقف المصعد بسلاسة ....

رفعت صفية عينيها للسقف ذات الانارة
المتوهجة ثم اخذت تكلم نفسها قائلة " شيء
يدعو للاسف والتحسر أني لم احظَ بترف
استخدام المصاعد منذ الصغر لادرك متعة
ايقافها !"
ضحك ماهر بتسلية بينما لم تمنحه صفية
حتى نظرة واحدة !

بضع لحظات مرت وهو يتطلع اليها بتدقيق
مستمتع فتنهدت بضجر وتحركت بثقة وسلاسة
وهي تمد يدها ناحية لوحة الازرار ففاجأها
بهدوئه ثم تحركه السريع في آخر لحظة
ليحول بينها وبين مبتغاها ، يدها بدلا من ان
تلامس اللوحة المعدنية لامست صدره ..

لحظة خاطفة جعلتها تشعر بارتعادة جسده
بينما ارتدت يدها للخلف بعنف وتوترت ملامحها
، زفر ماهر نفسا حارا وهو يكاد يطبق جفنيه
ليبتسم بعدها بحرارة هامسا بصوت مبحوح ساخر
" تحاشيّ لمسي مستقبلا ! لمصلحتك انت ..."

تأجج طبعها الناري لتقول بتهور " سأفعل اكثر
من لمسك بكثير اذا لم تُعِد حالا تشغيل
المصعد بنفسك !"

اطلق ضحكة صافية ثم قال بتلك النبرة المؤثرة التي يجيد استخدامها " وعود مثيرة !"

نفثت من بين شفتيها نفسا لاهباً ثم اغلقت عينيها ويداها مشدودتان الى جانبيها بينما اخذت تعد همسا حتى رقم خمسة !

ما إن شعرت بالاستعداد لمواجهته ببرود حتى قال بصوت غامض " اولى خطوات الاستعداد ان تخلعي هذا الخاتم الذي لاتنتمين اليه "

فتحت عينيها فوجدته يتطلع ليدها اليمنى ثم ارتفعت نظراته حتى رقبتها ليقول بهمس حار " اما القلادة فساتكفل بها بنفسي !"

سحقت اسنانها لتقول بغضب مكبوت " انك مغرور الى درجة لاتطاق ! بأي حق تفرض علي حوارا كهذا ؟! من تحسب نفسك لتكلمني بهذه الأريحية والألفة ، انك تتجاوز كل الحدود المتعارف عليها !"

أمال رأسه جانبا ليقول بمرح ساخر " احب مقولة تقول ... الحدود ... وُجِدت لتكسر !"

كانت تعرف انها لن تصل معه لشيء اذا كلمته حول الاخلاقيات لانه لايعترف بأي منها اذا تعارضت مع ما يبتغيه ..

رفعت رأسها تخفي قلقاً لايستهان به لتقول بقناع من البرود " هل استطيع ان اعرف لماذا تحتجزني هنا ؟!"

هزّ كتفيه بخفة وهو يقول بصراحة شديدة " اردت التكلم معك وانت تتسربين كالرمال من بين اصابعي كلما اقتربت منك فلم يكن امامي الا خيارين لاثالث لهما ، اما ان احتجزك بمكان مغلق أو ..." صمت متعمدا للحظات وعيناه تبرقان بالعبث ليكمل " أو ... لنقل لن يعجبك الخيار الثاني .. "

بهره تماسكها وهي تنظر اليه بهذا التحدي بل واغراه بالتمادي فقال بجرأة مقنعة بالبراءة المستفزة " عواقب لمسك غير مضمونة بالنسبة لي ! "

عض شفته السفلى وهو يبتسم مضيفا بنفس النبرة " هل رأيتِ كم أنا مراعٍ لك مع أني اكاد افقد سيطرتي لافعلها ..."

زمجرت بهمس متوعد " افعلها واقسم لك سأتسبب لك بعاهة مستديمة !"

ضحك عاليا بينما عيناه تحدقان في عينيها باعجاب شغوف ثم قال بنبرة مدغدغة " احب فيك هذه الشعلة المتوقدة دوما فتبدين كمحاربة من العصور القديمة لاتهاب المعارك حتى لو خاضتها بمفردها تقارع جيشاً بأكمله ، احب نظراتك المتألقة بالطفولة وانت تكلمين أبي بينما الغيرة تتآكلني منه ، احب كل ما تفعلين في حياتك وكأن رأسك الجميل هذا لايتوقف عن التفكير لتحققي ما تصبين اليه لك ولعائلتك ، احب صوتك بكل نبراته ،

عندما تغضبين مني وأنا اكسر تلك الحدود العزيزة على قلبك وعندما تسخرين لتعبري بطريقة اخرى عن حنقك وعندما تكلميني بهدوء بارد لامبالٍ لتجعلي اهتمامي بك يهفت وكم انت واهمة في هذا !"

تلك النظرات في عينيها كم يعشقها ، انها تنظر اليه لاتخفي غضبها لكنها تدرسه .. تدرس كلماته .. والمثير بالنسبة له انها لاتدرسه اهتماما به كرجل بل لتعرف كيف تتعامل معه ! قد يؤلمه الى حد التمزق لكن يثيره في الوقت ذاته ...

اكمل بصوت ناعم " واحببت تلك النبرة التي سمعتها منك مرة واحدة فقط وانت تكلمين اخوتك ..... حزم رقيق وحنان مسؤول ... "

وضع يديه في جيبيه وهو يقول اخيرا بابتسامة مشرقة " مبهرة وساحرة في كل تفاصيلك ..."

ثم انسابت نظراته عليها هامسا " سواء ما تراه العين أو ما تستشعره الروح ...."

ما زالت تلتزم الصمت وتنظر اليه بعنفوان فمد يده ليعيد تشغيل المصعد وهو يقول بغموض " فكري جيدا صفية ، الامر لاعلاقة له بي وما اريده منك لكن نزار لاينفعك وستدركين هذا عاجلا ام آجلا فلا تكابري ..."

انفتحت ابواب المصعد فالتقيا وجها لوجه مع ... آسر الغازي !

رفع آسر حاجبيه بدهشة مصطنعة ليقول بجدية مبطنة بمشاكسة ساخرة " المصاعد تعلق هذه الايام بأوقات عجيبة !"

تحركت صفية اولا وهي ترفع ذقنها وتبتسم تلك الابتسامة المستفزة التي تبتسمها لماهر عادة ثم قالت وهي تتجاوز آسر " صباح الخير سيد آسر ، نهار جميل أليس كذلك ؟!"

ابتسم لها بابتهاج وهو يرفع حاجبيه بإغاظه بينما مر به ماهر وهو يقول " صباح الخير عمي .."

مال آسر نحو ابن اخيه ليهمس باستفزاز " انها مقاتلة لاتعرف الاستسلام !"

رد ماهر بصوت مبحوح وعيناه تتابعان خطى صفية بشغف " بل غازية لاتعرف الرحمة !"

تعالت قهقهات آسر ليدخل المصعد بينما عيناه الذكيتان تتابعان ماهر وهو يلاحق طيف تلك الشرسة في لهفة مكبوتة ...

تعترف صفية انها تفاجأت من تصرف ماهر فيما بعد ، لقد عاملها وكأنه شخص آخر ! ليس نفس الشخص الذي احتجزها في المصعد وقال لها كل ذلك الكلام ...

هذا الشاب لغز محيّر و .... مخيف ... !

كلامه رغم فجاجة صراحته الا انه غير واضح في نفس الوقت ...

ان كانت ستسلم انه معجب بها حسنا ... وماذا بعد؟! انها لاتريد اعجابه هذا لاسباب لاتعد ولاتحصى ...

ففيما يخصه لاتشعر انه جديّ والامر بالنسبة له يوحي انها مجرد مغامرة مشوقة بالنسبة له ، اما فيما يخصها فهي لاتريد التشابك معه في اي صدامات ، وحتى لو افترضت جدلا انه جدّي فماذا يعني هذا ؟! انه من بيئة مختلفة تماما لاتنتمي اليها بأي شكل ولاتريد ان تدخلها لينظر اليها انها ادنى مستوى او كمتسلقة تبحث عمّن يعيلها هي واسرتها ...

في كلا الحالتين ومهما كانت مقاصده هي لاتريده ، عبست بشدة وهي تتذكر متأخرا ... نزار !!!

اين هو من حسبتها الطويلة العريضة ؟! اغمضت عينيها وهي تستند بجبينها على حافة مكتبها الجديد الذي استلمته قبل ساعة من الزمن وسط حفاوة الاستاذ حكمت ذو الابتسامة الودودة التي لاتفارق وجهه المستدير ، رجل قصير القامة ببعض الامتلاء ، شعره اشيب وعيناه الصغيرتان ضاحكتان خلف نظارات طبية شفافة .

باختصار انه رجل مريح ورغما عنها هي ممتنة لماهر الغازي لانه اختاره لتعمل تحت إمرته كسكرتيرة .

رفعت رأسها وهي تعبس مرة اخرى ! فها هي يضيع منها وجه نزار فيضيع منها التفكير فيه !

تمتمت بضيق " ماذا يحصل لي ؟! هل أثر بي كلام ماهر ؟! أم ربما كلامه ما كان الا صدى لما يجيش في نفسي منذ فترة نحو نزار ؟؟"

اجفلت وصوت نزار يأتيها فجأة وهو يقول من عند الباب " مبارك الوظيفة الجديدة حبيبتي .."

ابتسمت له ورغم انه كان يقترب منها وهو يبتسم الا انها استشعرت ذبذبات غير مريحة منه !

وقفت على قدميها لتنظر اليه وتقول " شكرا لك ، الحمد لله اني حظيت بالسيد حكمت انه رجل رائع "

رد نزار ببعض التشتت " نعم .. رجل طيب دوما يلقي علينا السلام ببشاشة مفرحة عندما يدخل عبر بوابة الشركة "

وكأن عدوى التشتت اصابتها وهي تنظر لملامح وجه نزار ، ضيّقت عينيها لتتملى بتركيز من ملامحه ، لاول مرة تشعر بالغربة معه ! وكأنها تراه بشكل مختلف ! انه شاب طيب ويحبها ، جميل الروح وحلو المعشر وهي في المقابل ترتاح اليه وتشعر انها تحبه بطريقة خاصة ، قد لايكون عشقا ولكنها ليست من هذه النوعية من الفتيات اللواتي يتنهدن بانتظار العشق المجنون ،

انها تريد حياة جميلة نظيفة بمستقبل مقبول تسعى فيه لتطور نفسها لاجل عائلتها ولاجل ابنائها عندما يحين الوقت لانجابهم ..

احمرت رغما عنها وهي تفكر ان هذا الشاب الوسيم امامها سيكون يوما ما زوجها ، ستشاركه الحياة بحلوها ومرها وسينجبان الاطفال ليسعيا معا في بناء مستقبل افضل لهم ...

كتمت تنهيدة وتفاصيل هذا الحلم البسيط اخذت تتعثر منها بطريقة كرهتها !

عاودت النظر لنزار فوجدته سارحا هو الآخر بعيدا عنها ...

نحت كل افكارها الغريبة جانبا لتضع يدها على ساعده قائلة " ما بك نزار ؟ لاتبدو بخير !"

حاول الابتسام لكنه لم يستطع ! فقال اخيرا وملامحه تنبئ عن ضيقه الذي حاول أن يخفيه " هناك حركة غريبة لاعادة توزيع الحرس الامني للشركة بين فرعيها الرئيسي والثانوي "

قلبها خفق استجابة لاشارات غامضة ينبض بها عقلها وربما هو طبعها المتشكك او توجسها من اي تغيير غير مخطط له ، قالت بتساؤل " هل تعني ان هناك احتمال لنقلك ؟"

فاجأها وهو يحدق فيها بطريقة غريبة ثم قال بكآبة وشيء ما يلوح في كلماته " مرجح جدا لاني اجدد الحراس الامنيين ، كما أن فكرة سخيفة تسيطر علي بأني المقصود !"

الاشارات تزداد حدة بوميضها المشع في عقلها لكنها قاومت بعناد لتقول بثبات " ما هذه الافكار السخيفة ؟! ولماذا تخطر لك اصلا فحتى لو نقلت للفرع الثانوي هذا ليس سيئا لانه لايبعد عن هنا بأكثر من نصف ساعة ، أما الراتب... "

قاطعها ليقول ببعض الحدة " لكني لن أكون معك ! ولأنك ترفضين حضوري لبيتكم الا ما ندر فهذا يعني اني لن اراك يوميا "

للحظة لم تعرف بمَ ترد عليه وقد ارهقتها الافكار التي تتنازعها ...

صمتت تحدق فيه ليضيف نزار بلهجة غريبة غير مريحة " سمعت من زميل لي ان السيد ماهر من أمر بإجراء هذه التغييرات !"

الفصل الرابع

اللحظة الفاصلة عندما تتحول تلك الومضات المزعجة المبهمة في العقل لوهج متدفق من نور الحقيقة هي بالتأكيد ... لحظة خانقة !

فجأة يضيق الصدر بإحساس العجز المؤقت ثم يتبعه الغيظ الشديد الذي يطرق بقوة على ابواب الغضب لتتضارب الافكار بتناقضها والغضب يفتح الباب ليخرج طليقا ثم يحمحم كمارد خبيث يتحين الفرص ليفقد صاحبه تعقله !

اطبقت صفية فكيّها بشدة وهي تنظر لوجه نزار المبتأس وقد امتزجت ملامح البؤس مع ملامح الغضب و... شيء آخر تفهمه لكن لاتريد ان تبادر لسؤاله عنه !

نزار لمّح لها مرارا واحيانا بكلمات واضحة عن ماهر لكنها بحدسها ادركت ان تبادلت معه الكلام عن هذا الموضوع سيصور له عقله المتشكك اهتماما من جانبها بماهر الغازي ....

اخذت نفسا ومارد الغضب ما زال يتحداها التماسك امامه ثم قالت بصوت مخنوق " اسمعني نزار ، اننا يجب ان نتأكد اولا واذا حصل ما نخشاه سنقدم التماسا رسميا لمكتب شؤون الموظفين "

ابتسم نزار ابتسامة غير مريحة تنضح بالسخرية المريرة ثم تساءل ببعض الوقاحة " مكتب شؤون الموظفين ؟؟!! الذي يقع تحت اشراف السيد ماهر العظيم مباشرة ؟؟ حقا انت متفائلة !"

زمّت صفية شفتيها وهي تحاول تمالك نفسها بينما امتعاضها يتزايد نحو نزار هذه المرة وهو يتكلم بهذه السلبية ، قالت بهدوء كلفها جهدا كبيرا " نزار نحن نحاول جهدنا لنحصل على ما تريده "

رد بانفعال واضح " ما اريده ؟!! الا تريدينه انت ايضا ؟!!!"

تطلعت اليه والغضب الذي تحاول اقصاءه بعيدا يناورها بخبث مزدوج ! يوشك على دفعها لتتهور مع نزار الان ..

قبل ان ترد عليه اضاف نزار باستهزاء يخفي خلفه الكثير من الضيق " الا استحق منك زيارة خاصة للسيد شاهر عسى ان يكف أذى ابنه المدلل عنّا ؟!"

اتسعت عينا صفية ذهولا بينما انفتح باب المكتب الخاص بالسيد حكمت ليطل بوجهه البشوش ، التقط وجود نزار فاتسعت ابتسامته وهو يرحب به قائلا " مرحبا ايها الشاب ، هل جئت لتبارك لخطيبتك وظيفتها الجديدة أم جئت لتوصيني بها خيرا ؟"

غمغم نزار بالشكر واعتذر منسحبا بينما الاستاذ حكمت يتطلع اليه ببعض الدهشة !

سأل الاستاذ حكمت صفية بلطف " هل خطيبك بخير ؟ يبدو متضايقا ام اني اتوهم الامر ؟"

ردت صفية وقد بدأت تشعر بالصداع لكثرة ضغطها على اعصابها " بعض المشاكل الصغيرة تؤرقه لكن لاتقلق سيدي سيكون كل شيء على ما يرام "

عادت ابتسامته المحببة لتنير وجهه ثم قال " حسنا يا صغيرة .. اذا احتجتما لشيء اخبراني "

هزّت رأسها قبولا ليضيف بلهجة عملية وهو يقدم لها الورقة التي كان يحملها في يده عند خروجه من مكتبه " خذي هذه الورقة للسيد ماهر انها تخص اعتمادك عزيزتي ، انا ذاهب للسيد آسر لانه استدعاني لأمر مهم "

كان لذكره (آسر الغازي) مفعولا سلبيا مستفزا فلم تتوانَ عن اخذ الورقة من يد الاستاذ حكمت لتتخذ طريقها نحو هدفها بعينين تلمعان ببركان متأجج بالغضب ...

المارد كسب المعركة !

لم تطرق الباب حتى وهي تفتحه لتدخل مكتب ماهر الغازي ! رأته يجلس بمفرده على حافة مكتبه يتطلع بتركيز لاوراق في يده ،

التفت نحوها وحاجباه ارتفعا بدهشة مغيظة بينما نظراته تلامس عينيها الغاضبتين في شراسة ثم انحدرت لصدرها الذي يختنق بأتون مستعرة كما بدى واضحا جليا !

قال بابتسامة اكثر اغاظة " عجبا عجبا .. لااصدق انك تقتحمين مكتبي بدون استئذان هكذا للتعبير عن شكرك وامتنانك خصوصا وأنت بهذه الملامح الشرسة الغاضبة ! "

ثم أمال رأسه جانبا ليضيف برقة مشاكسة " أم انه غضب متأخر لانك لم تستمتعي كما يجب بلعبة توقف المصاعد ؟!"

وكأنها كانت تحتاج للمزيد !! تحركت نحوه بتهور وطاقات الغضب تنطلق من مسام جلدها بينما تحفز هو ليقف على قدميه بابتسامة تشرق انتعاشا !

وقفت امامه مباشرة وطول قامته يجبرها على رفع رأسها اليه لتقول بشراسة من بين اسنانها " لااصدق انك ابن السيد شاهر ! لااصدق انك قد تلجأ لتصرف كريه معيب كهذا وانت تتلاعب بارزاق الناس ؟! "

الانتعاش تسرب منه دون ان تتنبه وهي غارقة في امواج الغضب ! نظراته احتدت بشدة بينما القسوة رسمت ملامح وجهه ...

اضافت بتهور اكبر وعيناها تبرقان " الا تخجل ان تستخدم حيل رخيصة لابعاد نزار من هنا لمجرد ان يخلو لك الجو حتى تلعب لعبتك معي ؟! "

غضب رهيب فاض من نظراته لكنه قال ببرود صقيعي " آنسة صفية يفترض ان تكوني اكثر حذرا في تعاملك مع اصحاب الشركة التي تعملين فيها ، قد اتجاوز عن دخولك مكتبي دون استئذان لكن ان تتصرفي بوقاحة هكذا فهذا قد تدفعين ثمنه غاليا خصوصا وانت لاتفسرين اسباب هذا الغضب "

لم تبالي بلهجته المهددة لتضيف بتحدٍ ساخر " انت تدّعي البراءة وتجيد تمثيلها بامتياز ! "

لهجته كانت قاطعة وهو يقول " امامك خياران إمّا ان توضحي شكواك باسلوب محترم ولائق أو اني ساحولك بنفسي للتحقيق في تصرفاتك هذه "

ضحكت بخفة ضحكة لاروح فيها ثم قالت دون ان يرّف لها جفن " انت تجيد هذه اللعبة سيد ماهر ، وتشعر بالتفوق حقا ! "

تطلع اليها بنفس البرود ثم تحرك مبتعدا ليلتف نحو مكتبه ملتقطا سماعة الهاتف وهو يقول ببساطة " امامك خمس ثوانٍ فقط لتقولي وباحترام سبب غضبك أو اني ساضطر لتحويلك "

لم يرهبها فقالت باتهام صريح مباشر " لقد سعيت في حركة تغيير الحراس الامنيين في الشركة وهدفك أن تنقل نزار الى الفرع الثانوي لمجرد ان تبعده عن التواجد معي ليخلو لك الجو !"

ايّا كان ما توقعه لها عقلها كردة فعل من ماهر الغازي لم يكن من ضمنها ان ينفجر في الضحك هكذا !

اعاد سماعة الهاتف لمكانها ليجلس على كرسيه وهو غارق في موجة ضحك جعلتها في حالة صدمة !

رفع عينيه العابثتين نحوها ليقول بنعومة " كالعادة... أنت لاتعرفيني يا صفية! ولااعلم متى ستفتحين ابواب عقلك ليستوعبني بشكل صحيح "

كان مستمتعا لانه اربكها ، مستمتعا ان يرى تخبطها بين الغضب والحيرة والشك والتساؤل .

فتحت فمها الجميل لتتكلم لكنها سبقها قائلا بصوت أجش " هل تتصورين حقا اني سأسعى لابعاد نزار حتى استطيع التأثير فيك ؟!! انه حتى ليس غريما لي غزالتي ! لانه ببساطة لايملك قلبك .."

في البداية اربكها اكثر كلامه ثم اشعل فتيل غضبها ثانية مناداته لها ب(غزالتي) !

هدرت قائلة " لاأسمح لك ومهمن كنت ان تناديني بأي اسم سخيف تختاره في لعبتك الممجوجة معي !"

تطلع اليها بشغف ليقول بنفس النبرة الساحرة " لافائدة من التهرب من القادم ، واجهيه بشجاعتك المعهودة كما اواجهه انا مستسلما برضا لغزوك ... "

رمشت بعينيها للحظة بينما اضاف بهدوء وهو يسبل اهدابه " لايوجد اي حركة تغيير في الحراس الامنيين ولااعرف من اين لك هذا الكلام ! كل ما اعرفه ان احد الحراس طلب استبدال موقعه بالفرع الثانوي لانه الاقرب لمحل سكناه ، هذا طلب وصلني منذ الامس ووقعته بالموافقة "

مد يده وهو يقول جملته الاخيرة ليلتقط ورقة من ملف ويضعها امامها !

عيناها قرأتا ما كتب في الورقة لتدرك انه صادق فعلا فيما قاله !

احساس رهيب بالخزي تملكها فلم تجرؤ على التطلع نحوه لتطرق ارضا تستعيد كل السخافات التي فعلتها وقالتها !!

ورغم كل ذلك ما زال الغضب يسكنها ، غضب نحوه لانه السبب بكل ما تشعر به من تخبط !

همست في سرها " يا الهي ! من اين ظهر لي ماهر الغازي ليفرض وجوده المرهق العابث في حياتي "

قال ماهر برقة مدغدغة " هذه الورقة التي اقتحمت عليّ مكتبي وانت تحملينها في يدك كسلاح مشرع في وجهي هل هي تخصني ام لا ؟!"

لم تنظر اليه ايضا وهي تمد يدها بالورقة لتقول بصوت هادئ " انها ورقة اعتمادي طلب مني الاستاذ حكمت ان احضرها لك لتوقعها "

ثم فجأة رفعت رأسها بعنفوان لتبهره كالعادة بصلابتها وهي تقول بتحدٍ " هل يجب ان امزقها الآن ؟!"

ابتسامة جانبية خفيفة لامست شفتيه ثم مد يده عبر مكتبه ليأخذ الورقة منها ، التقط قلمه المذهب ووقع بأسمه ثم مرّر الورقة ليضعها

قريبا منها وهو يقول بصوت مستفز " اهلا بك موظفة دائمة في شركة الغازي ..."

اخذت الورقة واستدارت مغادرة وشعور بالارهاق الشديد يخنقها اكثر دون ان تتجاهل تلك النبضة الغريبة التي انتابت قلبها عندما ناداها (غزالتي) !

تطلع رياض لوجهه في مرآة الحمام فتنهد وهو يهز رأسه مينيا وشمالا ! كدمتين واضحتين اجبرتاه على اخذ اجازة من عمله لبضعة ايام ..

فتح صنبور الماء ليغسل وجهه وبعد ان انتهى مد يده جانبا نحو المنشفة الصغيرة المعلقة ليلتقطها ويرفعها لوجهه يجففه على مهل حتى لايتوجع !

اعاد المنشفة لمكانها واخذته خطواته نحو مطبخه الصغير ، اعدّ فنجان قهوة واخذ يرتشفه وهو يحدق امامه شاردا .

لم يتصور يوما ان شخصا هادئا رزينا كمهدي قد يتصرف بعنف هكذا ! لم يمهله بالامس ليقول كلمة واحدة عندما عاجله بلكمتين اوقعته الثانية ارضا ثم جره مهدي من ياقة قميصه ليوقفه وهو يهدر امام وجهه " اذا رأيتك تكلم سلسبيل مرة اخرى ساقتلك .."

اغمض رياض عينيه وهو يشعر بضيق مضاعف ! ليس بسبب سكوته لما فعله معه مهدي ليلة الامس بل العكس سكوته كان اعترافاً ضمنياً بخطأ فادح ارتكبه في لحظة ضعف !

لم يستطع ان يقاوم سؤالها ! لم يستطع ان يقاومها !! فانحدر باخلاقه الى هذا المستوى وهو يسألها بصفاقة (ان كانت سعيدة معه) ! تحت سقف بيت عائلة تربطهما معاً به صلة قرابة شديدة تفرض احتراما وحفظا لحرمته.

وماذا كان ينتظر من سؤاله الاحمق المتهور بل ماذا كان يترجّى ؟!! ان تقول بشقاء (لا .. لست سعيدة !!) ... كم هو غبي ! لقد شعر انه ضئيل وماهر الغازي يهدده ، وكم استحق ما قاله ..

لماذا ضعف هكذا ؟ لماذا يصر على التمسك بالوهم او ... الامل !

انها تحب مهدي بل تعشقه ، قد تتصرف بغموض وشقاوة لتداري لهفتها اليه لكن ليلة الامس استطاع استشعار عشقها لابن عمها ، من نظراتها المتعطشة اليه والتي ترميها به خفية عن الجميع ، من محاولاتها المتدارية لارضائه والاستئثار باهتمامه بأنانية العاشقة الغيور ، يا الهي كم بدت فاتنة بعشقها هذا الذي يلفه الغموض فلا يمكن ادراك عمقه ..

وضع فنجانه جانبا ليرفع يده لجبينه يمسده عسى ان يخفف من حدة صداعه .

رن هاتفه فتنهد باحباط ليتوجه نحوه وما ان رآى اسم خاله بلال حتى ضاق بشعور الخزي والندم !

ابتلع ريقه وهو يفتح الخط ليقول بنبرة هادئة " السلام عليكم خالي .."

رد عليه بلال بهدوء ايضا " وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته ، كيف حالك ؟ هل أنت بخير ؟ تفاجأت عندما اتصلت بمكان عملك ليخبروني انك اخذت اجازة لبضعة ايام !"

للحظة تلكأ ثم قال محاولا ادعاء المرح " انا بخير خالي لكني شعرت بحاجة للتغيير لذلك قررت مشاركة اصدقائي في رحلة تخييم لبضعة ايام ..."

صمت بلال للحظات ثم سأله بشكل مباشر " ماذا يحدث رياض ؟! ليلة الامس لم تكن طبيعيا وقد ساد توتر غريب في الاجواء "

ابتلع رياض ريقه ليقول " لاتقلق خالي ، انت تعرف ظافر وطبعه ، هو لن ينسَ بسهولة اني تقدمت لخطبة حوراء "

لكن بلال فاجأه بالقول " الموضوع لايتعلق بظافر وحوراء ، هناك امر غير مريح يجري بينك وبين مهدي وماهر وقد اتمادى بخيالي ان قلت سلسبيل ايضا !"

ارتبك رياض ولم يعرف بمَ يرد ! فاضاف بلال بلهجة حذرة " اخبرني بنيّ ماذا يحدث بينك وبينهم ؟! "

اغمض رياض عينيه وضغط على كل مشاعره ليقول بنبرة تحمل بعض الثقة " لاشيء خالي ، لاتقلق ... انت تعرف انهم يؤازرون ظافر دوما وربما كانوا متوترين لتواجدي ، الحقيقة لم يكن يفترض ان احضر سهرة الامس "

قال بلال " انت مخطئ ، اولا هذا بيت خالك وبيتك ، ثانيا عليكم الاعتياد جميعا على الوضع وعدم التهرب من مواجهة مشاعركم نحو بعض بل معالجتها بحكمة ، انتم في النهاية اقارب ولا يجوز بقاء اي ضغائن بينكم "

انقذه رنين هاتفه الارضي ليقول على عجالى " آسف خالي يبدو ان احد اصدقائي يرن علي ، عذرا منك فهم ينتظروني .."

رد بلال بعد لحظات صمت " حسنا رياض ، اتمنى لك سفرة سعيدة ومبهجة .."

سلّم على خاله واغلق الخط ثم توجه نحو الهاتف الارضي الذي ما زال يرن ، رفع السماعة قبل ان يضيع الاتصال وما ان انطلق صوته حتى جاءه صوت امه قائلا بكلمات حانقة متدفقة دون توقف " لماذا لاترد علي يا رياض ؟! قلقت جدا عليك ! اتصلت لاطمئن عليك في المكتب فاخبروني انك في اجازة وهاتفك النقال مشغول ! ماذا يحصل ؟ ولماذا اخذت اجازة ؟ هل انت مريض ؟!!"

تنهد للمرة العاشرة وهو يدعو في سره " أعن يا رب ! ما هذا الصباح الطويل ؟! "

تتلاعب بهاتفها النقّال تقاوم شوقا حارقا لسماع صوته ، لكنها لن تستسلم لضعفها نحوه ، يجب ان يفكر مليا بعيدا عنها ليدرك الى اي طريق تنحدر علاقتهما !

انفتح باب مكتب والدها فأطل الاستاذ حكمت ليقول بابتسامة واسعة " مرحبا آنسة سلسبيل ، آسف ان كنت أخرتك عن مقابلة والدك "

ابتسمت سلسبيل في وجهه لتقول بمرح يخفي مشاعرها التي تجيد كتمانها عن الجميع " لاعليك يا بهي السمات ، ولكن لاتبتسم هكذا لي فقلبي لايتحمل "

ضحك الاستاذ حكمت من قلبه حتى احمر وجهه بينما تحركت سلسبيل بخطوات رشيقة وهي تغمز لمساعدة ابيها التي تشارك الاستاذ حكمت في ضحكه ..

اخذت سلسبيل نفسا عميقا قبل ان تدخل لوالدها ، انها تحتاج اليه بشدة وقد جازفت اليوم بالحضور لمقر الشركة فهي لم تكن تريد الالتقاء بمهدي رغم شوقها اليه ولهفتها الدائمة لتكون قربه ..

وجدت والدها يجلس على كرسيه الجلدي الفخم مرخيا راسه على ظهر مقعده ويتلاعب بقلم فضي في يده ..

قال له بابتسامة مشرقة " مرحبا بمحتالتي "

اتسعت ابتسامتها وهي تتقدم نحوه تخفي دمعة تأثر لاحتياجها اليه ، لم تره ليلة الامس ولاصباح اليوم فشعرت انها ستنهار ! وهذا ما دفعها للمجازفة والمجيء الى هنا ..

التمعت عينا آسر وهي ينظر لخطوات ابنته نحوه ونظراتها اللامعة وابتسامتها المرحة التي ينقصها ... الصدق !

غريزيا حرك كرسيه الدوار ومد ذراعيه نحوها وهي دون تردد التجأت اليه لتجلس على ركبتيه وتغرق وجهها في صدره تنعم برائحته ذات التأثير العجيب عليها منذ الصغر بينما تكتمل راحتها

وذراعيه تضمانها فتشعر بكل ضيق يتسرب منها متخاذلا عن دحر دفء والدها الحبيب ..

همست " اشتقت اليك آسري .."

قال لها برقة مداعبة " لااصدق ان صغيرتي فضلتني على الوسيم فتأتيني بدلا من التسكع حوله "

اعترضت وهي تضرب بقبضتها على صدره " انا لااتسكع حول احد !"

ضحك آسر وهو يشدد من احتضانها ليقول بنعومة " بل انت تفعلين منذ صغرك وتستفزينه لينظر اليك وما أن تحققي هدفك حتى تهملينه ببراءة مصطنعة تجعله يلف حول نفسه !"

اخفت وجهها اكثر في صدر والدها تؤنبه بخجل " أبي .. توقف ..."

عاد ليضحك ليعم الصمت للحظات ثم قال آسر بعدها " حسنا .. بما ان الوسيم يغلق هاتفه بعد ان ابلغ سكرتيرته انه مشغول اليوم بأمر شخصي ! وبما انك الآن في احضاني تتلمسين بعض القوة مني .. فهذا يقودني الى نتيجة واحدة ... ان سهرة الامس انتهت بخصام المحبين ..."

شعر بتشنجها وهي تلتزم الصمت ! اخفى ضيقه ببراعة ليسألها " مابك صغيرتي ؟! قولي لآسرك ..."

تلكأت قليلا قبل ان تقول " احيانا لاافهم طباع مهدي ! انه هادئ صبور لكنه ... لكنه ..."

اكمل لها آسر " لكنه صعب عند الغضب أليس كذلك ؟"

اكتفت بهزٍّ رأسها ليقول آسر بعدها " قد ترينه يشبه عمك شاهر وهو يشبهه الى حد كبير لكن هو نسخة مصغرة من جدكما رحمه الله ، نفس الهدوء الذي يخفي خلفه الكثير ، شاهر اكثر مرونة وسلاسة ، حتى في غضبه .. بينما ابي كان عند الغضب يتحول للنقيض من طباعه الظاهرة .."

تنهيدتها الناعمة ضايقته وحركت نوازعه ابوية اكثر فأكثر لينتقم من مهدي !

سألها آسر بغموض " بماذا اغضبتِ شبيه جده ؟"

لايعلم لم تشنجها هذه المرة جعله يشعر بالتوجس ! فاضاف بحنان " قولي لي حبيبتي ، أنا استطيع المساعدة دوما .."

ردت بغصة اعتصرت قلبه " فقط لاتسألني عن التفاصيل ... لكن اعترف أني اخطأت بفعل شيء ... منذ .. فترة .. قبل خطبتنا .. أنا .. اعتذرت واعترفت بخطأي لكنه ... لايغفر ! انا تعبت ابي ... تعبت وانا احاول ارضاءه ..."

قست ملامح آسر ليقول بحزم " اذن يفترض ان تتوقفي عن المحاولة غير المجدية .."

رفعت رأسها اليه فتأثر اكثر من نظراتها القلقة الحزينة وهي تقول بضعف لم يعتده منها " لكن أبي ، انا اريد ان اكون سعيدة معه .."

ابتسم ابتسامة صغيرة لاتعكس تأثره ثم رفع يده يداعب خصلة من شعرها وهو يقول بتأنٍ ماكر " مهدي الغازي يفترض ان يشعر بمعنى ان لايحصل على الغفران ممن يحب ..."

عبست سلسبيل وهي تسأل " ماذا تعني ؟! ما الذي ستفعله ؟"

أغمض اجفانه للنصف بينما ابتسامة شرسة داعبت ثغره وهو يقول " خذي اجازة مرضية من الجامعة لبقية الاسبوع ودعي الباقي عليّ !! "

ينشد وصالها قرب البحر الذي تعشقه ، تطلع مهدي لتلك الامواج الثائرة وكأنها سياط تجلده ثأرا لها ، تعذبه اكثر وهو لايحتاج لمزيد من العذاب ..

همس وهو يغمض اجفانه " سلسبيل .. يا روحا تهدر داخلي وتلتحم بخلاياي ..."

استنشق رائحة البحر بتلذذ العاشق الذي يتشمم محبوبته .. اجل ... فهذه رائحتها هي ، حبيبته وصغيرته التي كان يلاحقها هنا وهناك خشية عليها من تهورها الدائم وجرأتها المقلقة ... ترتكب الحماقات وتعرض نفسها للخطر فيسارع لانقاذها وهي تتدلل عليه بابتسامة غامضة سحرية تسرق انفاسه وتطيح بعقله فينسى كل ما فعلت ويعاود الملاحقة دون ملل او كلل ...

لكنه الان غاضب ... غاضب كغضب هذا البحر عليه ... غاضب لان الصغيرة هذه المرة فعلت ما لم يستطع غفرانه !

اجل .. انه لم يغفر ! ليس لانه لايريد .. فاللّه يشهد انه حاول مرارا وأد هذا الغضب المجنون المستعر في احشائه ، لايعلم هل هي خيبة امل لجرأتها التي حادت بها لتفعل ما فعلت ؟ ام هي الغيرة التي تمزقه كلما تخيلها تبتسم لذلك البائس او تنظر اليه بنظراتها الشقيّة تحاول التلاعب بمشاعره !

تقبضت يده واخذ يضرب بقوة على فخذه وهو يهمس بانفاس ملتهبة " كيف استطعتِ فعلها يا سلسبيل ؟! كيف ملكتِ القوة لتشاغلي رجلا غيري ، كيف خرجتِ من حكاوي الامزونيات التي نسجتها حولك عبر السنين وانا انتظرك على الشاطئ لتكوني لي وحدي ؟! كيف ساحتمل الآن غيرتي المتوحشة هذه ؟! كيف ... كيف ...؟؟؟"

ارتقت صفية درجات السلم بشرود ، تشعر بثقل كبير كلما استعادت ما حصل لهذا اليوم ! لقد كان يوما غريبا بالفعل ومرهق لها لابعد حد ..

تنهدت وهي تنظر للشق الكبير في الجدار المتهالك بينما تكمل طريقها للطابق الاول .

(لااعلم لماذا تدافعين عنه هكذا ؟!!)

تلك الجملة التي تتقافز لذهنها طوال الوقت منذ خروجها من الشركة لتأخذ طريقها الطويل بين الحافلات حتى تصل لبيتها اخيرا ...

لم يقل نزار تلك الجملة بغضب فقط وانما نبرته شابتها تلميحات جعلتها تكره نزار في تلك اللحظة !

كل هذا لانها اخبرته ان ما سمعه من حركة في تغيير الحراس الامنيين ليس صحيحا وانما هي مجرد اشاعة والسيد ماهر لم يأمر بشيء .

لاتزال نظراته اليها تثير فيها عواصف من الغضب ، كيف يرمقها بهذه النظرات المتشككة ؟!

وماذا سيفعل لو اخبرته بما يفعله ماهر معها ؟!!

انها تحاول جاهدة مقاومة كل شيء لتصلب عودها ، تتجاهل الكثير لتكمل مشوارها من اجل عائلتها وها هو نزار يتحول يوما بعد يوم لعبء جديد !

لقد ارادت افراحه وطمأنته فإذا به يثور ويتشكك في اسبابها ! وكأنه كان يتمنى ان يكون ماهر الغازي قد أمر بهذا خصيصا لاجل ابعاده ! وكأنه يريد ان يمسك عليه دليل !

لاتعلم لماذا نزار مصر على النظر للامور من جهة ماهر وينساها هي ! لماذا لايتقرب منها هي ويدعمها بدلا من الاهتمام بما يفكر به ماهر الغازي او يفعله ؟!!

" تعال يا رجل ! لاتخرج الان .. ستغيب الشمس قريبا ً"

ابتسمت صفية بارهاق وهي تتوقف في منتصف طريقها للطابق الثاني بينما تسمع صوت الخالة سليمة وهي تنادي على زوجها العم مصطفى .

عجوزان يقيمان بمفردهما بعد هجرة الابناء من غير هجرة ! انها هجرة العقول والمشاعر عندما تلهيها اعباء الحياة والسعي اللاهث للحاق بالركب ...

سمعت صوت باب شقتهما ينفتح بصرير مزعج ألفته الاذن والعم مصطفى ذو السبع والسبعين عاما يناضل لتخليص ذراعه من التشبث العنيد المتسلط لزوجته التي تصغره ببضع سنوات فقط ..

كان يقول بنزق " ابتعدي عني يا امرأة ! هل انا طفل لتمنعيني الخروج ؟! ام ربما مجرد مراهق !!"

فترد عليه الخالة سليمة وهي تعقد حاجبيها بصرامة " قلت لك لن تخرج يعني لن تخرج ! الا يكفي ما حصل في السوق ذلك النهار وسقوطك ارضا مغمى عليك ؟! جرح رأسك ما زال لم يبرأ لحد الآن!"

لكن العم مصطفى ظل على عناده وهو يجرجر ذراعه منها قائلا " انتِ قلتها .. (ذلك النهار) ! كان نهارا والشمس أثرت عليّ وهي تضرب راسي بلا رحمة ، الان الشمس مغادرة فلا خوف منها ..."

اصرت الزوجة لتقول بحنق " لاتكن طفلا ، انت رجل على وشك بلوغ الثمانين ولايجدر بك الخروج بمفردك وانت تعاني من حالات اغماء "

زمجر العم مصطفى لترد له زوجته بزمجرة اقوى فلم تملك صفية الا ان تضحك !

التفت العجوزان نحوها ليكتشفت وقفتها المستمتعة في منتصف الدرج فعبست الخالة سليمة لتعاتبها قائلة " تضحكين عليّ يا فتاة ؟ بدلا من ذلك تعالي وساعديني لندخل هذا العجوز لبيته !"

جاء دور العم مصطفى للعبوس وهو يلتفت نحو زوجته ويقول بغضب " الا تخجلين من قولها امام الناس ايضا ؟! اقسم باللّه العظيم سأخرج الان ولن يمنعني الا الموت !"

ابعد العم مصطفى يد زوجته بقوة كان يتجنب استخدامها معها بينما نزلت صفية الدرجات التي قطعتها لتقترب منهما وهي تقول بحنو " يا عم لاتغضب .. انا بمقام ابنتك والخالة سليمة تخشى عليك ان تعرضت لسوء لاسمح اللّه ان لاينجدك احد "

رد العجوز متذمرا كالاطفال " انها تخنقني بقوانينها الصارمة ! هل يجب ان لا اغادر البيت لا ليلا ولا نهارا لارضيها ؟! احتاج الى التنفس ولقاء بعض الناس "

تحركت الخالة سليمة ووضعت يدها برفق على ساعده وهي تتطلع اليه كما تتطلع الام لصغيرها تحاول استرضاءه وهي تقول " انا اخاف عليك مصطفى ، سامحني اذا كنت اتمادى احيانا معك "

عاندت تعابير الامتعاض والحنق لتلتصق بملامح وجهه المتغضن المنهك ، اعاد ترتيب قميصه المخطط بزريه المقطوعين وهو يقول بشموخ مضحك " حسنا سامحتك ، اتركيني لاحضر لنا بعض الكعك بينما تحضرين لنا الشاي "

هزّت الخالة سليمة رأسها موافقة وهي تبتسم بحبور بينما زوجها يتحرك منفوش الريش وهو يلقي تحية المساء على صفية وينبه زوجته بحزم لتعدل وشاح رأسها لان بعضا من شعرها ظاهر للعيان !

اوشكت ان تنفجر صفية بالضحك خصوصا وهي ترى الخالة سليمة تعاود هزّ راسها وعيناها تلتمعان بالفرح ! لكنها قاومت الضحك حتى لاتجرح مشاعرهما والقت تحية للخالة ثم عاودت تسلق درجات السلم ووجهتها الطابق الثالث حيث شقتها ...

في قلبها شيء ما يخزها ! انها لاتريد علاقة اكثر من العلاقة التي تجمع العم مصطفى والخالة سليمة ، ربما لهذا وجدت في نزار شريكا مثاليا لها ، لكنها باتت لاتشعر انه كذلك فعلا ! هناك شيء ما ناقص .. ليس الثقة فحسب ولكن شيء ما لاتستطيع رؤيته بوضوح وبالتالي عاجزة عن تحديده !

فتحت باب الشقة وهي تفكر هل تنام اولا ام تأخذ حماما ؟!! ليستقر رأيها ... النوم اولا ...

دخل ماهر غرفة اخيه ليجده ممددا على سريره مفتوح العينين وقد تعلقت نظراته بالسقف !

تقدم اليه وهو يهز رأسه بعدم رضا ليجلس الى جانبه وهو يقول بغيظ " اذا كنت مبتئسا لهذه الدرجة فلماذا لاتذهب اليها وتصالحها ؟!"

تنهد مهدي ولم يرد بشيء ! قال ماهر بلا مبالاة " حسناً لاترد ... لكن خلال نصف ساعة ظافر يريدنا في بيته "

تنهد مهدي مرة اخرى ثم التفت لاخيه قائلا بضيق " لااستطيع الذهاب ، لااشعر برغبة في هذا !"

رد ماهر بضجر " كما تشاء لكن ليكن في معلومك حوراء ستستاء لانها ستعد لك خصيصا الطعام الذي تحبه وامي من جانبها تتحرك في الاسفل ذهابا وايابا تنتظر مني ردا مقنعا يفسر

حالتك التي تقلقها ! واذا لم تخرج معي لبيت حوراء فامي لن تعتقك وانت تعرفها .."

تأفف مهدي ليقول بضيق " حسنا ... ساذهب معك لكن لن نطيل البقاء اتوسل اليكم احتاج فقط لبعض الوحدة مع النفس !"

وقف ماهر على قدميه ليتحرك موليا اخاه ظهره وهو يبتسم ابتسامة خبيثة !

غمز ماهر لظافر خفية من مهدي وهو يحرك رأسه باستفهام ليرد ظافر بوجه عبوس ان (لاشيء) !

لم يفهم ماهر معنى (لاشيء) هذه ! لكنها لم تعجبه ، انتحى بظافر جانبا وهو يسأله بخفوت " ماذا حصل ؟! ألم ترضَ سلسبيل الحضور ؟"

رد ظافر بخفوت ايضا " انها لاترد على اتصالاتي اصلا ولا حتى على اتصالات حوراء ! لاافهم ما يحصل ولكني كنت قد قررت الاتصال بالبيت عندما وصلتما انت ومهدي .."

رد ماهر مشجعا " حسنا اذهب واتصل ..."

تطلع ظافر لوجه ماهر مطولا قبل ان يقول " اريد اولا ان تخبرني بما حصل ، لقد وعدتني ماهر "

تهرب ماهر قائلا " لاوقت الان ، المهم ان نصالحهما ..."

للحظة شك ماهر ان ظافر سيركبه العناد ويصر على معرفة تفاصيل الخصام لكنه تنفس الصعداء عندما قال ظافر بهدوء " حسنا ماهر ، لكنك لن تخدعني لاني سأعرف عاجلا ام آجلا .."

رفع ظافر سماعة الهاتف من احدى جوانب البيت واتصل على بيت والده بينما شعر بماهر يلحق به ويحوم خلفه ..

قال ظافر ما ان سمع صوت ابيه " مرحبا ابي .."

رد آسر بهدوء غامض " مرحبا بنيّ ..."

للحظة صمت ظافر مستشعرا هذا الغموض الذي يعرفه جيدا ! قال اخيرا "اين سلسبيل ؟!"

سأل آسر بنفس النبرة مع لمحة ساخرة " وماذا تريد منها ؟"

عبس ظافر وهو يتساءل مستهجناً " ماهذا السؤال ابي ؟! انها اختي هل احتاج لسبب لاكلمها ؟!"

رد آسر بلهجة مغيظة " لا .. لكن غيرك يحتاج لاذن شخصي مني كي يكلمها "

اخذ ظافر ينقر باصبعه على سطح المنضدة امامه ثم قال بتأنٍ بينما يشعر بماهر يقف جنبه مباشرة " لاافهمك ابي .. ماذا تقصد بالضبط ؟"

صوت مهدي اجفل الاثنين قبل ان يسمع ظافر رد ابيه ..

" ماذا يحصل هنا ؟! لماذا تتركاني لوحدي في غرفة الجلوس ؟!"

صوت ضحكات آسر علت عبر الهاتف ليقول بعدها بلهجة خبيثة " هذا مهدي اليس كذلك ؟! واكاد اجزم بوجود ماهر معكما في هذه اللحظة .."

تطلع ظافر لوجه مهدي الحانق بينما يقول لابيه " هل لهذا لاترد عليّ سلسبيل ؟"

رد آسر بثقة " انا اخبرتها ان لاترد ..."

سأل ظافر بحنق " ابي ... ماذا يحصل ؟"

ضحك آسر بخفة ثم قال بلهجة لاتقبل النقاش " افتح مكبر الصوت بنيّ ، اريد ان يسمعني مهدي بوضوح "

تردد ظافر وعيناه تنتقلان بين ماهر المتوجس ومهدي القلق ..

حاول لآخر مرة قائلا " ابي دعني احاول فعل شيء "

احتدت نبرة آسر قليلا وهو يقول " لااحد على الاطلاق سيتدخل في هذا الموضوع ، انه يخصني بمفردي انا ، لا انت ولا ماهر ولا عمتك التي تخطط معك لاجتماعات المصالحة في بيتك ولا نهى التي تحث الجميع للتدخل ولا حتى امك التي تحدجني الآن بنظرات مستعرة بالغضب !"

مرت بضع لحظات ليتخذ ظافر قراره ويفتح مكبر الصوت ويضع السماعة جانبا ثم قال بهدوء شديد " مكبر الصوت مفتوح الآن .. وانا وماهر ومهدي موجودون .."

قال آسر بسلاسة مغيظة " جيد ... حسنا يا أبن اخي وهنا اقصد مهدي ... ممنوع عليك بأمر مني شخصياً الاقتراب من سلسبيل او التواصل معها بأي طريقة وهذا يشمل عدم حضورك لبيتي وعدم ملاقاتها خارجه وعدم التحدث معها بالهاتف ، واذا رأيتها صدفة بالشارع ادر وجهك واتخذ طريقاً آخر ! اريد انقطاعاً تاماً وشاملاً والى اشعار آخر ... مفهوم ؟! "

عمّ الصمت ..... لتأتيهم ضحكة آسر الخافتة ثم قال " سأعتبر السكوت علامة الرضا و ... الفهم ! " ثم اضاف بنبرة شديدة الحزم " وامنع اي محاولة للعب دور حمامة السلام ومن اي شخص مهما كان ... الآن الموضوع يتعلق بي مباشرةً "

صمت لحظة ليضيف بلهجة مستفزة " اتمنى لكم عشاءً طيباً وتصبحون على خير "

ثم ببساطة اغلق الخط !

ضغط ظافر على زر الاغلاق ثم التفت بهدوء يتطلع لابنيّ عمه ، ما بين ماهر الذي ارتدى قناع الغموض ومهدي الذي اطرق وهو يشد قبضتيه بعنف الى جانبيه !

قال ظافر اخيرا وهو يكتف ذراعيه امام صدره " هل سيخبرني احدكم ماذا يحصل ؟؟"

نظرة سريعة من ماهر لمهدي ثم تطوع باجابة لاتحمل الرد المطلوب " لاشيء ظافر .. لقد تشاجرا بالامس "

ضيّق ظافر عينيه ليسأل دون مواربة " هل لرياض علاقة بسبب شجارهما ؟"

صمت ماهر وعيناه على اخيه فاضاف ظافر بمنتهى الهدوء " اجبني انت مهدي عن سؤال آخر متعلق به ، هل للامر صلة برحلة الدراجات الهوائية ؟"

رفع مهدي وجهه بقوة ليقول بصوت مشدود النبرات " ماذا تقصد ؟"

رد ظافر بسؤال جديد " هل اثارت غيرتك لانها خططت لالهاء رياض عني وعن حوراء ؟"

اتسعت عينا مهدي ذهولا ليقول بحشرجة مخنوقة " اذن فانت تعرف ! تعرف ورضيت ... كيف ترضى ؟؟ كيف ؟؟"

همس ماهر باسم اخيه محذرا " مهدي !"

لكن ظافر كان قد استعاد تركيزه بعد صدمة اتهام مهدي له ليسأل بنظرات قاسية " ارضى بماذا مهدي ؟! انك تصور الامر بطريقة لاتعجبني .. حتى اكاد اشم رائحة قذرة بكلامك ! كل ما فهمته بوقتها او تصورته انكم اتفقتم لالهاء رياض عن حوراء فأخذتموه بعيدا في رحلة الدراجات ورجحت ان سلسبيل صاحبة المخطط كعادتها الشقية ! لكن ما حصل بالامس في بيت العم بلال اثار الشك لدي انها قد تكون تصرفت من نفسها فقط وربما هذا اثار تحفظك وضيقك وقد اعذرك لهذا لكني استشعر ان الامر اكبر من ذلك بكثير ..."

شتم مهدي وهو يضرب قبضة بباطن الاخرى مما اثار ظافر اكثر لانه لم يرَ مهدي بهذه الحالة من قبل ! حوّل نظراته نحو ماهر ليسأله بحدة " ماذا يحصل ماهر ؟!"

ثم عاد لمهدي وهو يسبل ذراعيه ويتقدم نحوه قائلا " اخبرني مهدي ... هل تمادت سلسبيل ؟ اعرف انها احيانا تتصرف بجرأة فهل فعلت المزيد وانا لااعرف ؟"

رفع مهدي نظرات مبهمة لظافر وهو يحاول السيطرة على ما يحدث حوله دون نجاح يذكر فارتفع صوت ماهر قائلا " انا ساخبرك .."

نظر مهدي بقوة لماهر وهو ينهاه بحركة من رأسه قائلا " ماهر ! انت لاتعرف شيئا .."

لكن ماهر قال بهدوء وهو ينظر لعيني ظافر مباشرة " سلسبيل ذهبت لشركة رياض قبل ان تقرر حوراء اختيارك انت ... "

هدرت انفاس مهدي بينما ردد ظافر بدهشة " ذهبت اليه ؟!"

هزّ ماهر رأسه موافقا ليضيف بعدها " اجل .. ذهبت لتقنعه ان حوراء تحبك انت "

التفت ظافر لمهدي يسأله بحدة " هل هذا صحيح مهدي ؟"

اطرق مهدي وهو يشعر انه سينفجر ! كله بسببها !! ماذا يقول الآن ؟! كيف يحميها هذه الحمقاء ؟!

اخذ ظافر يقول بغضب " كيف تفعل هذا ؟! كيف تذهب اليه ؟ "

رد ماهر بنفس الهدوء والثقة " ارادت المساعدة لا غير ... وقد رآها مهدي صدفة وهذا اغضبه جدا .."

ثم نظر ماهر نحو اخيه ليضيف " مهدي غيور جدا ولم يتقبل ان تذهب سلسبيل بمفردها لرياض حتى وان كانت لتقنعه بأمر يخصك ، وانت تعرف سلسبيل احيانا تثير الغيظ عندما تعاند لتثبت انها لم تفعل شيئا خاطئا .."

ساد الصمت بين الثلاثة ولم يقطعه الا صوت حوراء المبتهج وهي آتية من جهة المطبخ قائلة

" العشاء اصبح جاهزا ، ننتظر قدوم سلسبيل اليس كذلك ؟"

وضع آسر يديه في جيبيه ونظر بلا مبالاة لوجه نادية الحانق !

سألته بغضب واضح " لماذا تفعل هذا ؟! ليست طريقة صحيحة لمعالجة الامور بينهما "

رد بابتسامة مستفزة متجاهلا كلامها تماما " انا سآخذ ابنتي لنسهر معاً في مطعم فاخر " ثم أمال رأسه وقال بتفكه مستفز وهو يدّعي الجدية " وقد نذهب للرقص سويا في مكان ما ، سيكون الامر ممتعا !"

زمّت نادية شفتيها بينما يتحرك آسر بتمهل اكثر استفزازا نحو السلم ليقول بتحذير مبطن " يمكنك الذهاب الان للاتصال بنون النسوة واخبارهن بآخر المستجدات لكن حذاري ان تقودي ثورة من اي نوع وتأخذينهن في سهرة مريبة خارج البيت لمجرد ان تنتقمي مني !"

كزّت نادية على اسنانها بينما تتوعده بغيظ " سترى يا آسر ! الموضوع لم ينتهِ هكذا .."

قهقه عاليا وهو يرتقي درجات السلم ...

مر العشاء ثقيلا متشحا بمشاعر سلبية خانقة وما ان انتهى حتى انسحب مهدي وماهر وحوراء تنظر اليهم جميعا بضيق شديد !

عند المرآب وبينما يفتح ماهر باب سيارته اوقفه مهدي قائلا " كيف عرفت ان سلسبيل ذهبت لرياض ؟! هي من اخبرتك ..."

رد ماهر وهو يرتكز على الباب " بل سمعتكما صدفة وانتما تتحدثان في الحديقة ليلة عقد قران ظافر وحوراء .."

خجل مهدي قليلا وهو يتذكر ما حصل بينه وبين سلسبيل في تلك الليلة فاطرق برأسه بينما ماهر ينظر اليه بابتسامة صغيرة مستمتعة !

همس مهدي متنهدا " اذن فأنت تعرف كل شيء .."

وضع ماهر يده على كتف اخيه ليقول " مهدي ... سلسبيل فتاة مختلفة وانت اعرف الناس بها ، علّمها الصحيح اذا اخطأت وحاسبها بقسوة كما تشاء لكن لاتنسَ ابدا انها سلسبيل التي تحبك وتعشقك .."

مرر مهدي يده في شعره بينما قال ماهر بلهجة متسلية " اريد ان اقول لك شيئا ..."

رفع مهدي نظراته لاخيه فاكمل ماهر بعينين لامعتين " سلسبيل فعلت هذا لتثير غيرتك ايضا! "

ارتفع حاجبا مهدي بينما هزّ ماهر راسه وهو يقول بمرح " اجل مهدي ... كنت اراها كيف تنظر اليك بغيظ وانت لاتحرك ساكنا نحوها .."

برّر مهدي بلهجة حائرة " لقد كنت اراها صغيرة .. فكيف كان يفترض ان افعل ؟! انها ابنة عمي .."

تنهد ماهر وهو يصعد لسيارته قائلا " اعتقد انك اكتشفت انّ ابنة عمك الصغيرة لم تكن حقاً صغيرة !"

ثم شغل محرك السيارة ليقول بغموض دون ان يتطلع لمهدي " احيانا نرتكب اخطاءً لاتغتفر! تأخذنا اهمية الاسباب فنندفع بتهور فنؤذي غيرنا دون ان نقصد اذيته فعلا ! وعندما يحصل هذا لانملك الا ان نطلب الغفران ونحن نعض اصابع الندم ... "

اغلق ماهر الباب وانطلق بسيارته وهو يلوح لمهدي الذي غرق في تفكير عميق ...

دخل ظافر غرفة نومه ليجد حوراء ممدة على السرير بملابسها التي كانت ترتديها على العشاء حتى حجابها لم تخلعه ! نادى اسمها بهلع وهو يتحرك نحوها " حورااء ... مابك ؟!"

تطلعت اليه بنظرات مرهقة لكنها ابتسمت تطمئنه وهي تقول " لاتخف ... اعتقد اني مصابة ببعض الرشح "

جلس على ركبتيه بجانب السرير وانفاسه تضطرب ثم مد يده لجبينها يتلمسه فقال بقلق " انك محمومة ..."

اربكها بهذا القلق غير المبرر ! فقالت بلطف تحاول تهدأته " ظافر قلت لك اشعر ببعض التوعك ، طبيعي ان اكون محمومة قليلا !"

رد وهو يبتلع ريقه وقد بدى غريب الاطوار " اجل لكن انت لاتحتملين الحرارة المرتفعة ! لازلت اذكر عندما كنت صغيرة وكنتم في بيتنا وارتفعت حرارتك جدا فاخذك ابي راكضا للمستشفى بعد بدأت تنتفضين بطريقة مؤلمة وقد عجز جسدك عن الاستجابة للدواء الخافض حتى انهم وضعوك هناك في حوض الثلج !"

نظرت اليه حوراء بعجب ثم قالت وهي تمد يدها تلامس خده " كنت في الخامسة ظافر ! كيف ما زلت تذكر ؟! انا الان كبيرة وصحتي ممتازة والحمد لله "

اغمض عينيه يحاول استعادة رباطة جأشه ليهمس وهو يمرغ فمه في باطن كفها " لا .. انت ضعيفة ! وتمرضين بسرعة ولهذا اقلق عليك باستمرار ، جسدك لايحتمل ... "

كانت ما تزال تنظر اليه بعجب ولاتعلم كيف يفترض أن تطمئنه ؟!

في زاوية من زوايا ذلك المقهى الفاخر في احدث الفنادق واكثرهم ترفاً جلس ماهر ينشد بعض الوحدة ، مفضلا اياها على سهرة مبهجة مع اصدقائه في احدى قاعات الرقص .

اخذ نفسا عميقا من سيجارته وهو ما زال يبتسم ، ما حصل الليلة كان ممتعا !

عمه آسر قرر ان يلاعب مهدي على طريقته فيحرمه من سلسبيل ، رفع حاجبا واحدا وهو يضحك بخفوت بينما يمد يده ليسحق سيجارته في المطفأة الكريستالية امامه ..

" مرحباً .. هل تسمح لي مشاركتك الجلوس ؟"

لم يرفع رأسه وهو يتوقع تلك الحسناء التي كانت تشاغله بنظراتها منذ جلوسه على هذه المائدة .

قال بصوت متسلٍ وهو يلتقط هاتفه النقّال " لا .. لااسمح ؟"

لم يعر احراجها اهتماما وهي تقف امامه بلا حراك وكأنها تنتظر معجزة كأن يقول لها (آسف كنت امزح معك) ؟!

فتح هاتفه واخذ ابهامه يتحرك على قائمة الاسماء لديه حتى وصل الى .. (صفصف) ؟

ابتسم بتسلية شغوفة وهو يتطلع لاسم (صفصف) متخيلا ردة فعلها لو رأته بنفسها ؟

حسبت المرأة ان الابتسامة الساحرة هذه لها فمدت يدها بثقة لتسحب كرسياً عندما قال لها بفضاضة وهو يرفع نظراته النارية لها " اعيدي الكرسي لمكانه وغادري ؟"

شمخت المرأة وابتعدت بخطواتها وهي تمتم بكلمات تعبر عن استهجانها لتصرفه غير اللائق ؟

عض ماهر شفته السفلى بإثارة وهو يتطلع لاسم الدلال المستفز هذا ؟ ثم ببساطة ضغط على زر اتصال ... رنة ... رنتين ... ثلاثة .... وتفاجئ بانفتاح الخط ؟

كان شبه واثق انها لن ترد ، وانما فعلها لمجرد ان يناغشها ويتلاعب بافكارها كما تتلاعب هي به ... لكن الصوت الذي جاءه كان شديد النعومة ويعود لفتاة صغيرة ، قال بمرح " مرحبا ، هل استطيع ان أكلم صفية ؟ "

ردت الفتاة بارتباك " مرحبا ... اسفة فتحته بالخطأ ، اختي تأخذ حما.... اقصد انها مشغولة الآن !"

كتم تنهيدة طويلة بينما جاءه صوت يعرفه لكن بنبرة مختلفة !

سمعها تقول مغيظة اختها بشقاوة محببة " فاطمة ياصغيرة مع من تتكلمين خلسة هكذا وانت تستغلين وجودي بالحمام ؟؟"

ضحك ماهر بينما يسمع فاطمة الناعمة تقول بارتباك " اسفة اختي ، كان هاتفك يرن وفتحته بالخطأ ! هناك رجل يريدك "

لحظات مرت وهو يحبس انفاسه وكل خلاياه تحفزت ....

اخيرا وبعد دمدمة خافتة بين الاختين جاءه صوت صفية وهي تقول بغضب مكبوت " لماذا تتصل ؟!"

رد بصوت مبحوح مشاغب " الليل طويل وانا بانتظار انبلاجه ! الا تعرفين للشروق سبيلا اقصر ؟! "

الفصل الخامس

راهن بحياته انها ستغلق الخط في وجهه ! فسارع ليقول باستفزاز رقيق وهو يدعي الجدية " اتصور ان توتة الصغيرة كانت تعبث بهاتفك!! لااعتقد انها فتحته بالخطأ ..."

ردت صفية بحنق شديد وهي تتميز غيظاً " اختي لاتفعل هذا ! انها فعلا لاتجيد استخدام التعامل مع الهاتف النقّال ، ثم من سمح لك بمناداتها ب(توتة) ؟!! "

الابتسامة اخذت تتسع على شفتيه بينما يرد بنبرة براءة مصطنعة " الا تدللونها ب(توتة) ؟؟ تصورت بما انك صفصف ففاطمة مؤكد ستكون توتة !"

كان ينتظر منها انفجارا اكبر لكنها بعثرت مشاعره وهي تتنهد تنهيدة طويلة من اعماقها !

همس بصوت مبحوح " هل ارهقك ؟! "

لم ترد ... فاضاف بعذوبة " انت ترهقينني اضعاف فهل يرضيكِ هذا ؟!"

قالت باختناق " لماذا لاتتركني في حالي ؟! لماذا لاتجد لك فتاة اخرى ؟! فقط دعني وشأني !"

رد بنبرة جدية رغم الرقة والمرح اللتان تلونانها " ليتني استطيع فعل ذلك ! الامر ليس بيدي يا غزالة "

قالت بهمس مشوش " ماذا تريد مني ؟!"

اقشعر بدنها وهو يرد بمنتهى النعومة " فقط اخلعي خاتمك اولا وستعرفين ! رغم اني لااعترف بجدية ارتباطك بنزار الا اني لااملك الا ان ارى خيال رجل متعلق بخاتم في بنصرك الايمن ! لذلك ... لن افصح عن شيء حتى تصبحي حرة فعلا ..."

عقدت حاجبيها بينما يضيف بجدية شديدة " قرار انفصالك عن نزار من عدمه اريده ان يصدر منك فقط ، من اقتناعك الكامل ... من عقلك الراجح هذا الذي يسبق سنك ..."

ما زالت تتخذ الصمت واحة تلتجئ اليها عند الشعور بالحاجة للابتعاد ! كل ما تريده الان التقوقع في سريرها واحتضان فاطمة كما تفعل يوميا ثم الغرق في نوم عميق لااحلام فيه !

قال ببشاشة تناقض جديته السابقة " تصبحين على خير ..."

اغلق هاتفه دون ان ينتظر ردها وبملامح هادئة مد يده لجيب سترته الداخلي اخرج منه مشط شعر صغير فابتسم بحنو وهو يلامس الفراشتين ويهمس " آسف يا غازية .. لااستطيع التخلي عنك "

تطلع آسر لوجه ابنته عبر المائدة الانيقة التي تفصلهما بينما تلتهم حلوى الكريم كراميل المفضلة لديها ، تبسم وهو يراقبها تأكل بتلذذ طفولي ، انها فتاة ممتعة وستضيف رونقا جذابا على حياة مهدي .

ما ان اكملت صحنها ليأتي النادل ويرفعه حتى قال لها " ألن تخبريني يا صغيرة بتفاصيل ما حدث بينك وبين الوسيم ؟!"

راقبها كيف اسبلت اهدابها تخفي اسرارها عنه واصابعها تلامس الشرشف الحريري للطاولة وكانها تتلمس طريقا للهروب !

قال بمرح " ثقي بي ، انا اجيد الاستماع للفتيات الصغيرات ، نجلاء كانت تخبرني بما تتحرج قوله للجميع "

ثم اضاف بهمس ماكر وهو يقرب رأسه نحوها " انا اعرف كل افعالها المشينة ! "

ضحكت بخفوت دون ان ترفع نظراتها اليه بينما اناملها لم تتوقف عن ملامسة الشرشف !

قالت اخيرا " هل تعتقد اني اشبه عمتي بتهورها ؟!"

ابتسم وهو يعود بظهره للخلف ثم قال مجاريا محاولتها للتهرب " لك روحها المجازفة التي لاتعرف الاستسلام لكنك اكثر استقلالية ووعياً"

رفعت عينيها اليه وبعض الدهشة تعكسها حاجبيها المرتفعين ليكمل آسر وهو يميل برأسه جانبا " كانت طفولية لكن بذكاء حاد وحدس مرهف قوي جدا "

تطلعت سلسبيل لوالدها للحظات قبل ان تقول بشجاعة " انا جرحت مهدي يا ابي ! جرحته بعمق ... اعلم هذا ... لكن ليس بيدي شيء لاغير ما حصل ، لااستطيع اعادة عقارب الساعة للخلف وامحو ما فعلت !"

سكنت ملامح آسر وهو ينظر اليها بعينين تلتمعان ذكاءً وهي واجهت هذا التفحص بشجاعة ليقول في النهاية " حسنا يا صغيرة والدك ، ملامحك تقول انك لن تخبريني المزيد ! اذن دعينا ننتظر ونرى هل ستدركان اولويات علاقتكما ؟ "

عادت سلسبيل واسبلت اهدابها تخفي عن والدها شوقاً مضنيا لحبيبها الاوحد الذي تمنته ان يكون لها دوما ...

دخل شاهر جناحه مرهقا ليرى نهى بانتظاره ، ابتسم لرؤية جمالها المتألق بقميص نوم لؤلؤي ، لاتبدو بوجهها المشع هذا انها قد تخطت الاربعين ، منذ ان اندمجت في عملها وهي تزداد تألقا وكأنها زهرة عطرة تتفتح من جديد .

دوما سيكون ممتناً لنادية على ما فعلته معها .. ومعه هو ايضا ....

عكر صفو جمالها ملامح الحنق والقلق ودون ان تلقي عليه تحية المساء قالت بعتب " لماذا تأخرت كل هذا يا شاهر ؟! ألم تقل انك ستعود عند العاشرة ؟ وها هي تجاوزت منتصف الليل !"

خلع سترته بهدوء وتوجه نحو الخزانة ليعلقها وهو يقول " للاسف المباحثات مع العميل اخذت وقتاً اطول وبعد مغادرته اخذنا الكلام انا وبلال عن موضوع الاندماج "

تحرك نحو منضدة الزينة ليخلع ساعته بينما اقتربت منه نهى لتسأل ببعض الفضول وقد جذبها الموضوع " هل سيندمج بلال مع مجموعة الغازي ؟ "

التفت نحوها وهو يفتح الزرين الذهبيين لكميه قائلا بابتسامة ناعمة " لا .. سنجعلها شراكة دائمة ، انه يريد لاسم الناجي ان يبقى "

رفعت نهى حاجبيها قليلا وهي تقول " تصورته سيرحب بالاندماج اكثر ! كما فعل اسر قبل سنوات طويلة ..."

مد شاهر يده ليلامس خصلات شعرها العسلي وهو يقول " حتى آسر وضع شروطا لاندماج شركته رسميا مع المجموعة وابي رحمه الله وافق على ذلك ، فآسر بنى له اسما في السوق بكده وتعبه ، وكان من حقه ان يحصل على ما يريد "

عبست نهى قائلة بتساؤل " لكنه قويَ بالاندماج اليس كذلك ؟!"

رد شاهر ويده ترتفع لخدها قائلا بنعومة " ونحن في المقابل قوينا به اكثر .. آسر الغازي أسم لايستهان به في السوق "

رمشت نهى ببعض الحيرة ثم سألت " اذن لماذا لايفعل بلال المثل ؟!"

أمال شاهر راسه ليطبع قبلة على خدها وهو يقول " لاتنسي ان آسر يحمل أسم الغازي بينما بلال يحمل اسم عائلة الناجي، انه يريد شيئا يخلد اسم عائلته ويكون لابنائه في المستقبل ونحن لن نستطيع تغيير اسم المجموعة "

سحبها من يدها وهو يقول برقة " حسنا .. انت لم تقولي لحد الان ما يضايقك !"

شهقت وهي تتذكر ما سهت عنه بينما يجلسها بجانبه على السرير لتقول " لقد نسيت فعلا ! "

ابتسم بينما عقدت حاجبيها لتقول بضيق " هل علمت بما فعله آسر مع مهدي ؟!"

رد بمرح " اعرف مافعله معي الليلة عندما تخلف عن الحضور ليجعلني بمواجهة عميل متعنت الرأي وصهر نريده بشدة لينضم لمجموعتنا !"

ردت نهى بحنق " تخلف عن الحضور لانه خرج برفقة مدللته الصغيرة !"

رفع شاهر حاجبيه باستمتاع بينما اضاف نهى بغيظ " لاتظهر هذه الملامح ! انا اكاد اختنق من شدة غيظي من اخيك ، حتى نادية غاضبة من تصرفاته ... يعاقب مهدي ويخرج ليستمتع بصحبة سلسبيل !"

ابتسم شاهر ليسألها بصبر " ماذا حدث بالضبط ؟!"

قالت نهى وهي تتنهد " انت تعرف اني استشعرت بوجود شيء خاطئ بين مهدي وسلسبيل ، منذ البداية وانا اشعر بذلك ، انهما يرفضان الافصاح لكن يبدو ان الموضوع تفاقم بعد السهرة في بيت بلال ، نجلاء تقول ان مهدي وسلسبيل كانا متوترين كلا على طريقته وحتى ماهر كان متحفزا !"

قال شاهر بعد لحظة تفكير " ربما بسبب رياض وكونه تقدم سابقا لخطبة حوراء ، انت تعرفين ان ظافر لايمكن السيطرة على ردود افعاله احيانا "

هزّت نهى رأسها نفيا وهي تقول " لا شاهر .. ظافر وحوراء كانا طبيعيين في الامسية ! لانعرف ما يحصل بين البقية بالضبط ، ثم يبدو ان الامسية انتهت بمشاحنة كبيرة بين مهدي وسلسبيل "

عبست نهى بشدة وهي تكمل " ثم جاء دور آسر التسلطي ليفرض على مهدي حصارا ! تخيل لقد منعه من رؤية سلسبيل الى اشعار آخر !

حتى انه منعه من الذهاب لبيت عمه !!! هل تتصور اجحافا كهذا ؟! وها هو ولدي يتقلب في سريره على الجنبين بينما آسر يستمتع بوقته مع سلسبيل !"

لم يتمالك شاهر نفسه ليضحك من قلبه فوقفت نهى على قدميها وهي تتخصر غضبا وغيظا وتقول " ما الذي يضحكك الآن ؟!! يفترض ان تغضب لا ان ترى الامر مضحكا لهذه الدرجة !"

رد شاهر من بين ضحكاته " اقدم اي شيء لارى وجه آسر وهو يخبر مهدي بذلك !"

رفعت نهى ذراعيها لتتكتف وهي تقول " لن تصدق ! لقد بلغه عبر مكبر الصوت ولم يكن وحده ! كان مهدي وماهر في بيت ظافر الليلة وقد اصدر آسر فرماناته امامهم وعبر المكبر ، محذرا في الوقت نفسه من اي تدخل للمصالحة !"

لم يتوقف شاهر عن الضحك بل في الواقع زاد ! مما دفع نهى لتؤنبه قائلة " الن تتوقف عن هذا الضحك وتفكر في حل ! انت تعرف ان آسر عنيد وصعب عندما يريد .."

هدأت ضحكات شاهر ليتطلع لنهى بنظرات كلها استمتاع قائلا " يا الهي لم اضحك هكذا منذ فترة طويلة جدا ... "

تنهدت نهى في احباط فمد شاهر كفيه ليحاوط خصرها مقربا اياها منه وهو يقول بلطف " اسمعيني يا قارورة العسل ، انا اثق بآسر ورغم اني لااحبذ التدخل في حياة مهدي وسلسبيل لكني اثق بحكمة تصرف اخي ، سيجيد الانسحاب في الوقت المناسب ليتركهما يحلان المشكلة بنفسيهما ، لاتقلقي اكثر من اللزوم وثقي انه اذا اقتضت الضرورة تدخلا مني فلن اتردد "

نظرت نهى للاسفل نحو وجه شاهر وعلامات عدم الاقتناع ترفل على محياها ، ابتسم مطمئناً وهو يقول " اذا لم تكوني تثقين بآسر فثقي بي حبيبتي "

هدأت مخاوف نهى قليلا واوشكت ان تقول شيئا عندما سحبها شاهر اليه ..

العرق يتصبب من كامل جسده المتقلص في ألم مبرح ! كان شبه يتلوى في نومه ويبدو لمن يراه انه يعاني سكرات الموت !

كان يحاول النطق والعبرات تخنقه ثم ارتفعت ذراعه عاليا وكفه تناشد في الفراغ شيئا لايراه سواه ، دموعه انسابت مدرارا ثم فجأة هبّ مستيقظا من نومه وهو يبحث عن نفحة هواء يستنشقها ...

انفاسه ترعد في صدره ولثوانٍ كان لايدرك ما حوله فقط هذا الشعور الرهيب بالألم يمزقه !

حرّك رأسه يمينا ويسارا وعيناه غائمتان بالدموع وشعور بضياع الواقع منه يسيطر على حواسه ، كل ما كان يفعله يبحث بجزع حوله !

تلاشى بعض الضياع مع سكون محيطه ليجذب اذنيه همسُ انفاسها ...

اطلق نفسا محترقا وهو يميل نحوها ورؤية وجهها الحبيب تعيده لواقع يريده بشدة ويخشى فقدانه بطريقة هو غير قادر على تفسير اسبابها !

وضع وجهه المبلل بالعرق والدموع على وسادتها قرب راسها ، يمنع نفسه بقوة جبارة من ايقاظها .

رفع يدا مرتجفة لتلامس بخفة جبينها فاطلق تنهيدة اخرى تعبر عن راحة اكبر وهو يطمئن انها لاتعاني من اي حمى ...

ظل ينظر اليها هكذا ودموعه تنساب دون ارادة منه وذكرى ذلك الكابوس وهو يفقدها فيه تنشب مخالبها في صدره ...

همس " حورائي .. لاتتركيني ابدا ... "

اغمض عينيه ليضيف بدعاء متهدج " اتوسل اليك يا الهي لاتحرمني منها ابدا ، قد لااستحق نقاءها هذا ولكني لااستطيع العيش بدونها "

ابتلع ريقه وهو يفتح عينيه بينما يشعر ببعض التململ منها ، اراد احتضانها قليلا لكنه فضل ان يأخذ حماما اولا فجسده مبلل بالعرق بعد كل ما عاناه في منامه ..

بعد عشر دقائق تسلل عائدا الى السرير ، اضطجع ثم لف احدى ذراعيه حولها بين دس ذراعه الاخر بحذر شديد تحتها ليسحبها اليه على مهل حتى لايوقظها ، تنفس الصعداء وهو يسترخي بالتصاقها به ورأسها يتوسد صدره ...

سلسبيل ....

الليل يطول بشكل غريب ! وتصبح الدقائق كالساعات .. بينما اللحظة تتلكأ على صوت بندول الساعة الخشبية القديمة ...

تك تك تك .... هل يا ترى يا حبيب القلب ومهجة الروح هل يجافيك النوم مثلي ؟!

مهدي ....

في ظلال الظلمة تتطاير خصلات شعرك فأشعرها وكأنها تلامس وجهي! اغمض عيني واراك قرب البحر تغمزين لي بمشاغبتك المعتادة ، تناديني لاقترب فالهث نحوك وما ان اصل حتى تختفين ولا يبقى الا صدى ضحكاتك الشقية....

صباح اليوم التالي

بحث عنها حتى وجدها في المطبخ ، ابتسم وهو يتطلع لبنطالها الجينز وقميصها الابيض الفضفاض ، شعرها ترفعه بطريقة فوضوية اعلى رأسها وتثبته بقلم !

انها لاتتغير ...!

اقترب منها من الخلف وعيناه تسترقان النظر من فوق كتفها لما تأكله ، جبنة بيضاء وبعض النعناع والزيتون الاسود ... افطارها المفضل ...

في لحظة مفاجأة لامس خصرها من جانب وطبع قبلة على خدها من الجانب الآخر ، اجفلت لكنها امتنعت عن ابداء كلمة نحوه او رد تحيته للصباح " صباح الخير .."

يعلم ان نبرته كانت مستفزة في خبثها وهو يدعي البراءة لكنه لايقاوم طباعه !

نظر لجانب وجهها وهو غير مطمئن الان لتجاهلها له بينما تعاود التقاط قطع الجبن وتضعه في فمها ببطئ مغر !

مدّ يده ليأخذ قطعة فما كان منها الا ضربته على يده ، هتف بها مدعيا العتب " نادية ! لن آخذ الا قطعة واحدة .."

ايضا تجاهلته ....

كتم ضحكته وللحظة خدعها بأنه سيبتعد عندما مد يده بحركة مفاجأة غافلتها ليأخذ قطعة جبن ويضعها في فمه فورا ، التفتت نحوه وقالت ببرود مستفز لحواسه يعشقه منها " الا تخجل من حركات الاطفال هذه ؟!"

رد وهو يحرك حاجبيه صعودا ونزولا " لا ! ولم يجب ان اخجل ...؟! "

عادت لتدير رأسها وتتجاهله ، قال بصوت متسلٍ وهو يضع يديه في جيبيه " عندما عدت ليلة الامس وجدتك تديرين ظهرك لي مدعية النوم العميق ولعلمك فقط انت لاتتنامين عادة بهذه الطريقة!

فانا من ينام بجانبك منذ ثمان وعشرين عاما ، فلا تحاولي تمثيل النوم مرة اخرى "

القت اليه نظرة جانبية لامبالية ثم عاودت اهماله وهي تلتقط حبة زيتون ، اكمل بابتسامة مغيظة " هل تعاقبيني لاني لم ادعُك للعشاء معنا ؟"

ببساطة نفضت يدها ثم حملت الصحنين وغطتهما جيدا قبل ان تعيدهما للبراد ، كل هذا وهي تستمر في تجاهله حتى توجهت نحو باب المطبخ لتقول " سأغيب اليوم بطوله فلا تحاول الاتصال بي لاني ساغلق الهاتف "

عبس وهو يسألها " الى اين ستذهبين ؟! وماذا عن عملك ؟!"

التفتت اليه لتبتسم ابتسامة مغيظة وهي تقول " اخذت اجازة من نفسي وسأهيم في الشوارع افرغ شحناتي السلبية حتى اجيد التصرف عندما تسوء الامور !"

ازداد عبوسه بينما ادارت له ظهرها لتقول باستفزاز " وقد اذهب للسباحة في البحر ..."

تحركت بخطوات واثقة وهي تسمع زمجرته وخطواته التي تلحق بها ، ابتسمت وهي تفكر ان الامر ما زال يزعجه !

لم تتفاجئ بيده التي امسكت بساعدها بينما يديرها نحوه قائلا بحنق " اياك والذهاب للبحر يا نادية !"

رفعت حاجبيها وهي تتطلع اليه قائلة " ولماذا ؟!"

زمّ شفتيه وهو يقول من بين اسنانه " مضت فترة طويلة لم تسبحي فيه وهذه الايام حركة البحر غير مؤتمنة "

ظلت تتطلع اليه باستخفاف مقصود بينما اضاف وهو يقرب وجهه منها محذرا بجدية " اياك نادية ! لن اسامحك اذا فعلتها من ورائي ، جدي طريقة اخرى تعاقبيني بها دون ان تثيري هلعي عليك "

ابتسامة صغيرة ثم همست " واثير غيرتك ايضا يا آسري ...."

ثم طبعت قبلة على خده وقالت وهي تخلص ذراعها منه " لاتخشَ عليّ اردت مضايقتك فحسب كما ضايقتني بالامس لكني فعلا احتاج لخلوة مع نفسي "

التفتت بينما آسر يسألها بغموض " خلوة من اجل سلسبيل ؟!"

ردت وهي ترتقي درجات السلم " سلسبيل وظافر ايضا ... هناك امر يزعجني ولكني سأصبر عليه فقد يتنبه هو له دون حاجة لتدخلي "

قال آسر " لاتقلقي ... انه يحتاج لبعض الوقت فقط ..."

ردت وهي في منتصف الدرج " آآمل ذلك .."

داعبها بالقول " بنطالك هذا اغراء متحرك على ساقين !"

ضحكت وهي تكمل طريقها بميوعة متعمدة فاخذ آسر يقهقه عاليا ...

بعينين شاردتين وخطوات مرهقة تحركت نحو البوابة الرئيسية لمبنى الشركة ، تمنت امنية ان لاترى نزار الآن ! اجل ليس الآن وهي بكل هذه الحيرة !!

ماذا تفعل ؟ حقا لاتعرف ما يجب ان تفعل ! تشعر ان عقلها لايسعفها لاتخاذ القرار ، في داخلها ما زالت تأمل ! ما زالت تتمنى ان يكون نزار كما تخيلته ، لكن ...

" صباح الخير حبيبتي .."

رعشة انتابتها وهي تلتفت جانبا لتنظر لوجه نزار المبتسم .

للحظة استغربت هيئته دون ان تعرف تحديدا السبب !

ردت عليه ببعض شرودها الذي يرافقها منذ البارحة كظل ثانٍ لها " صباح الخير"

يبدو أنه فسر شرودها على انه برود يعبر عن استيائها منه لما حصل بينهما بالأمس .

ابتسامته اضمحلت شيئا فشيئا ثم اقترب منها قائلا بوجه يطلب التفهم والصفح " سامحيني لما قلته بالأمس حقاً كنت في حالة نفسية سيئة ، كنت اشعر اني مهدد وفي عدة جبهات !"

لم تعرف بم ترد عليه ! فجأة عيناها اتسعتا بالمعرفة لتقول بدهشة ونظراتها تتعلق بقميصه الرمادي " لماذا لا ترتدي زي حارس الامن ؟!! "

ابتسم ابتسامة حلوة ثم قال بمرح " ليلة الأمس فكرت كثيرا ووصلت إلى نتيجة واحدة لاغنى لنا عنها ، وهي أننا فعلا يجب أن نتزوج ، ليس عقد قران فحسب بل زواج كامل ولذلك قررت الذهاب لبلدتنا لاتكلم مع والدي وجهاً لوجه "

ردت وهي تشعر أنها لا تستوعب ما يقوله بوضوح " تكلمه عن أي شئ ؟ "

لمعة غامضة مرت في عينيه البنيتين

وربما ليست غامضة تماما بل هي من تريدها أن تبقى مجهولة التفسير !

قال بصوت هادئ النبرات " أكلمه أن يوافق على زواجنا واقنعه اننا سنتدبر أمورنا "

صمتت ... فصمت!

مرت لحظات طويلة غريبة بمشاعر متنافرة بينهما ، كان نزار اول الهاربين منها !

تنحنح وهو يطرق برأسه قليلا ثم قال بصوت مخنوق " مررت الآن لأقدم إجازة عاجلة ليومين ولاسلم عليك بالطبع "

قالت بتشتت " نزار يجب أن نتكلم!"

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر إليها ثم فاجأها أن ابتسم ببعض الارتجاف وهو يتراجع للخلف ويقول على عجالى " سنتكلم عندما أعود الآن علي اللحاق بالحافلة قبل ان تنطلق .."

نادته بجزع " نزار.... لحظة "

لكنه أخذ يلوح لها مبتعدا وهو يقول " أراك قريبا حبيبتي.. "

كان يبتعد بخطواته وعيناه تتحاشيان وداعها ... تتحاشيان النظر اليها فقد يقرأ ما لايريد معرفته، احيانا المعرفة قد تقتل وعندها طوبى للجهل !

شيّعته صفية بنظراتها وهي تشعر بالكآبة تلفها بخيوط حريرية .... قاتمة !

دخلت مكتبها وهي تعلم أن الأستاذ حكمت غير موجود فما زال الوقت باكرا لحضوره .

جلست على كرسيها بوهن ثم استندت بكوعيها على مكتبها المتواضع لتغمر وجهها بين كفيها .

صوت مبحوح فيه لمسة تساؤل و ... لمسة .... قسوة!

" لماذا أخذ إجازة عاجلة "

مباشر كالعادة في وقاحته واستملاكه لحقوق ليست له !

رفعت صفية وجهها نحو هيئته الأنيقة المستفزة المستندة على إطار الباب ، لم تجد لديها رغبة حتى بالرد !

قست نظراته هذه المرة وتقدم نحو مكتبها قائلا " ماذا كان يقول لك عند البوابة؟ "

بهدوء عجيب سألته بسخرية مريرة " هل تراقبني ؟ "

رفع ذقنه ثم قال دون مواربة " تهربي من الإجابة على أسئلتي وناوري كما تشائين لكن في داخلك هناك أسئلة اهم وأجوبتها أوضح من أن تستطيعي التهرب منها "

ثم ... استدار ببساطة ليتركها ويخطو بعيدا !

أما صفية فاسندت ذقنها على كفيها المتشابكين وملامحها تغرق في تفكير عميق تحاول تنظيم افكارها وخياراتها ...

دخل اسر عبر مكتب مساعدته ملقيا تحية الصباح فوجد مهدي بانتظاره ... كما توقع بالضبط !

ابتسم ابتسامة مرحة وهو يرفع حاجبا واحدا ويقول بابتهاج مستفز " كيف حالك يا ابن اخي ؟ هل كانت سهرتكم ليلة الامس ممتعة ؟!"

اسبل مهدي اهدابه بينما يقول بهدوء " اود التحدث معك عمي ..."

اشار له آسر برأسه وهو يقول ببشاشة " تعال .. مزاجي اليوم رائق جدا .."

تبع مهدي عمه لمكتبه الخاص وانتظره ليجلس على كرسيه قبل ان يجلس قبالته على احد الكرسيين الجلديين .

تطلع آسر لمهدي بابتسامة صغيرة لاتحمل معنى محددا وانتظره بصبر عجيب ان ينظر اليه ويقول ما جاء من اجله .

اخذ مهدي نفسا عميقا ليقول وهو ينظر لعيني عمه مباشرة " انا لاستطيع الاستغناء عن سلسبيل ، لاستطيع ان لاارها كل يوم من حياتي "

اسبل آسر اهدابه واخذ يتلاعب بالقلم في يده ثم قال بعدها بنبرة غامضة " لكنك لاتستطيع مسامحتها !"

رد مهدي بقلق شديد " هل .. اخبرتك ... ؟!"

رفع آسر نظراته بقوة نحو مهدي يقرأ تلك التعابير القلقة المضطربة ويدرسها بعناية ..

قال آسر بتركيز " كل ما قالته انها جرحتك بعمق لكن دون قصد ..."

اختلجت ملامح مهدي بألم لم يستطع اخفاءه فاشاح وجهه بعيدا بينما اضاف آسر بنبرة قوية " وانها اعتذرت وطلبت السماح اكثر من مرة وانت .. لاتغفر !"

همس مهدي بصوت مثخن بالمشاعر " امنحنا فرصة لنعالج الامر فيما بيننا عمي "

جاء صوت آسر حادا في هدوء " لم أكن يوما ممن يؤيدون تدخل الاهل في قرارات ابنائهم ، لكن عندما ارى ابنتي الوحيدة تعيسة مشتتة على غير طبيعتها المرحة المنفتحة يجب ان اتدخل ، عندما اراها تعاني ولاتعرف كيف تصل لحل يرضي من تحب فعندها ... يجب ان اتدخل .."

حدق مهدي في وجه عمه بثبات بينما قال آسر بلمحة حنان ابوي " وعندما ارى ابن اخي يتخبط في خياراته المصيرية يجب ان اتدخل ! "

قال مهدي وهو يخفي قلقه المتزايد " هل تلمح اني لااستحقها ؟!"

رد آسر بثقة " لايوجد من يستحقها اكثر منك يا ابن الغازي ... لكن ..."

ترك آسر كلمة (لكن) معلقة بينما يتأرجح مهدي بين الاطمئنان والهلع !

استند آسر بكفيه على سطح مكتبه ليقترب باتجاه مهدي وهو يقول بذكاء متوقد " ما يحدث بينكما يحتاج وقفة ، وقفة ... مصارحة مع النفس .. رؤية شاملة ثم ... شجاعة لتقدير معنى الغفران ثم الحظو بسعادة الشراكة مع من نحب .."

استكانت ملامح مهدي وعيناه لاترمشان !

تراجع آسر لكرسيه وهو يسبل اهدابه قائلا بغموض " الابتعاد يمنحكما انتما الاثنين ما تحتاجانه من تقدير للقرب "

ثم رفع نظراته لمهدي مضيفا بابتسامة جانبية "لذلك ... حظر اللقاء والاتصال ما زال سارياً يا .... وسيم !"

نظر محمود لاخيه باستغراب وبعض الغيظ ، لم يستطع الا ان يهمس في اذنه " ايها الغبي ! تلك الفتاة معجبة بك فلماذا تغمض عينيك مدعياً النوم !"

فتح محمد عينيه بهدوء ليقول بملل لمحمود " انا لايهمني اعجاب الفتيات بي ! لااحب هذه التصرفات كما انه لايجوز النظر الى ما حرم اللّه "

تنهد محمود وهو يرخي رأسها للخلف ليستند على ظهر مقعده المجاور لمقعد اخيه ثم قال بضيق " لاتفتأ تذكرني بما قالته لنا امي ! "

تطلع محمد اليه وهو يقول " انت لاتريد التذكر لانك تريد فعل ما تشاء دون قيود .."

مطّ محمود شفتيه وهو يغمض عينيه ثم قال " انا لاافعل الذنوب ، انما احب النظر لجمال الفتيات حولي وهنّ يجدنني جذاباً "

ثم فتح عينيه فجأة ليضيف غامزا بمشاكسة " ويجدنك انت ايضا جذاباً بغموضك وتعففك عن النظر اليهن ! ترى هل تتعمد فعل هذا لاثارة فضولهن نحوك ؟"

ضحك محمد وهو يرد " لافائدة منك ! كل افكارك اصبحت تتمحور حول الفتيات ! "

ثم مد يده وهو يطرق بسبابته على رأس محمود قائلا " لاتجعل وجوه الفتيات الجميلة تسيطر على عقلك اخي ، فهناك الكثير في الحياة لتملأ به هذا الفراغ .."

ضحك محمود وهو يحرك حاجبيه بمشاكسة مرحة " عقلي يستوعب الكثير لاتخشَ علي !"

ثم اخذ التوأم يتضاحكان بينما حافلتهما تقف حيث يجب ان ينزلا ...

ترجلت صفية من الحافلة بشعور غريب من العزلة رغم كل الزحام والتدافع المألوف ، اليوم كان طويلا بشكل غير اعتيادي .. طويلا ومملا ، رغم انه يفترض ان يكون مميزا ومحفزاً!

فهذا اليوم الاول لها كسكرتيرة حقيقية ..

اخذتها خطواتها عبر ازقة الحي الضيقة وهي تسترجع احداث هذا اليوم ، فبعد زيارة ماهر التطفلية اغرقت نفسها في استيعاب مهام عملها الجديد كسكرتيرة للاستاذ حكمت .

الرجل صبور ومبتسم على الدوام وكان رقيق التعامل معها وهو يرشدها الى اسلوب العمل كسكرتيرة والى طريقته الخاصة في تنظيم اعماله .

قضت النهار تدرس ترتيب الملفات وتطبيق ما تعلمته من استخدام الحاسوب لتنظيم العمل وادائه ..

كل هذا لم يستطع اشغال فكرها بالكامل ! فوجدت نفسها في غفلة منها تكتب اسم نزار على احدى الاوراق وجنبه علامات استفهام يمتلئ بها عقلها ...

اصوات سكان الحي بدت كضجيج بعيد وهي تحيطها من كل جانب ، امرأة تنادي على طفلها ليترك لعب كرة القدم ويأتي ليتناول عشاءه ، واخرى تشتكي لجارتها من زوجها السكير ! ثم السمكري الذي يقف شامخاً بغرور مضحك امام رجل بسيط مغتاظ يتشرط عليه في اجرته ليرضى مرافقته لشقته ويصلح له انابيب الحمام المتهالكة !

تنهدت وسط كل هذا وهي تفكر انها قريبا جدا ستحتاج لنفس الوقفة امام نفس المغرور لتدعي الثبات بينما هي تتوسله عمليا ان يأتي ويصلح ما اكل عليه الدهر وشرب من انابيب حمام شقتهم ..

عادت ومضات الازعاج تدق كمطارق لاترحم في رأسها ، حمدت الله انها على الاقل اكملت دراستها في المعهد ولم تعد بحاجة للهرولة هنا وهناك وهي تتجاهل الارهاق الذي يتغذى على طاقتها ...

صوت صرخات متمازجة النبرات أتتها وهي على وشك الوصول للمبنى حيث محل سكناها ..

عيناها التقطتا ما ميزته اذناها ايضا ! ها هي زينب تشتبك مع احد الفتيان المراهقين في عراك اقل ما يقال عنه .. شرس !

تسارعت خطوات صفية تسبقها خطوات العم جلال صاحب القهوة ليصل قبلها ويفك الشباك بين اختها وذلك الصبي ، بينما تقف فاطمة مرتعبة الى الجانب وملتصقة باحد الجدران !

ما ان رأت فاطمة اختها الكبرى مقتربة حتى ركضت نحوها لترمي نفسها عليها وتلف ذراعيها حولها وهي تهمس بخوف " اسفة اختي ، كله بسببي !"

ربتت صفية على رأس اختها بينما تتحرك معها لتصل الى حيث العم جلال وهو يفض النزاع القائم بين زينب والفتى ..

سمعت زينب تهدر بعنف " هذا السخيف يتحرش باختي في ذهابها وايابها ! هذا التافه يعتقد نفسه شابا وهو لايتجاوز الخامسة عشرة "

احمر وجه الفتى فبانت خرابيش اظافر زينب على خده اكثر بينما يقول بقسوة " فتاة كريهة ووحشية ! ولولا انك فتاة لكنت لقنتك درسا "

فما كان من زينب الا ان اخذت ترتب شعرها وهي تضحك بسخرية قائلة " ارجوك لاتضحكني ! تبدو في حالة مزرية لتدعي القوة لمجابهتي !"

زمجر الشاب بينما العم جلال يقف في وجهه يهدئه " تمهل يا فتى ... اهدأ قليلا واذهب لبيتك اغتسل وعالج هذه ال ..."

صمت العم جلال حتى لايحرج الفتى بينما لم ترحمه زينب وهي تقول بتشفٍ " هل تحتاج لمطهر جروح يا صغير ؟!"

صوت صفية علا من خلفها وهي تقول بحزم " توقفي عن الصراخ يا فتاة وعودي امامي وفورا للبيت "

التفتت زينب نحو اختها ببعض الارتباك لكنها تمالكت نفسها فلم تظهر ضعفا بينما رفعت ذقنها وهي تتحرك بكبرياء عائدة لذلك المبنى الرمادي حيث شقتهم في الطابق الثالث ...

شكرت صفية العم جلال بينما هو ينصحها بصوت خافت ان تحاول كبح جماح اختها قليلا فربما سيؤذيها احدهم في المرة المقبلة !

هزّت صفية رأسها وهي تشكره مرة اخرى وتنسحب مع فاطمة التي ما زالت تتمسك بجذعها تتلمس منها القوة ...

اخذت صفية تلامس شعر اختها الذهبي وهي تداعبها عن جمالها المتفتح بينما فاطمة تطرق بخجل ، اخذتا ترتقيان درجات السلم سوية ومرتا امام شقة العم مصطفى لتهمس لها فاطمة قائلة " هل علمتِ ؟ العم مصطفى المسكين وقع مغشيا عليه في السوق واعاده بعض الناس محمولا لبيته ، مسكينة الخالة سليمة اخذت تبكي وتولول ساعة وتلومه بغضب تارة اخرى !"

شابت نظرات صفية بعض الشجن وهي تتطلع لباب شقة العجوزين وتدعو لهما بالصحة والستر ، عليها ان ترتاح قليلا ثم تعودهما لتطمئن على صحة العجوز المسكين ...

دخلت الشقة لتجد امها مرتبكة كما توقعت ! فمنظر زينب المغبر وشعرها المنكوش كان يثير القلق !

تقدمت منها امها وهي تمسك بيدها يد طه المستسلم في غير انتباه فتركيزه كان منصباً على ما تحمله يده الاخرى ، كتاب كالعادة يرفعه امام وجهه وهو يقرأ فيه بتمعن .

نضحت نظرات صفية حناناً ودفئاً وهي تنظر اليه كيف بدى وسيما وجذابا بنظارته الحمراء الجديدة التي كلفتها مبلغا لايستهان به لكن لايهم .. تريده ان يشعر انه يستطيع ان يحصل على الافضل ، لاتريده ان يبتئس من ضعف بصره ... تريده ان يحظى بافضل اهتمام ليدرك دوماً كم هو حبيب وقريب من القلب ...

اغلقت باب الشقة بينما فاطمة تفلت منها باحثة بقلق عن زينب ، اما الام فقالت بملامح مضطربة " ماذا جرى لزينب ؟! دخلت هادرة ولم تفصح عن سبب مظهرها المرعب !"

ردت صفية بهدوء " لاتقلقي امي ، انها فقط اصبحت اكثر شراسة في غضبها خصوصا عندما يتعلق الامر بفاطمة .."

سألت الام بملامح عاجزة عن الفهم " ما بها فاطمة ؟!"

ابتسمت صفية وهي تقترب منها تطبع قبلة على خدها الناعم لتقول برقة تطمئنها " لاتقلقي امي ، زينب تبالغ في حماية فاطمة احيانا ، انها لاتدرك ان خلف رقة فاطمة الفطرية هناك قوة تستطيع استخدامها عند الضرورة "

عبرت ملامح الام عن عدم استيعابها الكامل لما قالت ابنتها الكبرى ! استرخت ملامح صفية لتقول وهي تداعب خد طه هذه المرة " امي لو سمحت انا جائعة جدا فلم آكل شيئاً منذ الصباح فهلا حضرت لي الطعام بينما اخذ حماما سريعا قبل ان ينقطع الماء كالعادة .."

ابتسمت الام بفرح وهي تستشعر اهميتها بهذا العمل البسيط !

تحركت صفية بضع خطوات ليجمدها صوت طه وهو يسألها بعفوية " لماذا لم يعد نزار يأتي لزيارتنا كما كان يفعل قبل وفاة أبي ؟!"

لم تعرف صفية بم ترد ؟!

وبدلا من الرد اخذت تتساءل في سرها هل ما فعلته مع نزار كان صائباً ام انها اقصته بعيدا عنها دون ان تدري وهي تفرض عليه حظر المجيء لبيتهم ؟! هل كانت تضغط عليه وهي تطلب منه اسنادا غير قادر على منحه فعليا لها ؟!

ما ان تناولت عشاءها بعد الحمام حتى تمكن منها الارهاق ليغلق جفنيها وعقلها يسبح بالافكار بينما شعور بالضيق يقلق استغراقها بالنوم لانها لم تستطع زيارة العم مصطفى ...

احساس بعدم استقرار اخترق سبات صفية ، لاشعوريا تمسكت اكثر بجسد فاطمة التي تتوسط كالعادة النوم بينها وبين زينب على السرير الكبير نسبياً ..

عقدت صفية حاجبيها في نومها المتقلقل هذا وهي تستشعر تحركات غير مألوفة حولها ، تحركات و اصوات اختلطت بصوت اذان الفجر ..
ثم ...

صراخ فاطمة " صفية ... الجدران تهتز بعنف وكأنها ستقع علينا!"

الفصل السادس

هبط ماهر درجات السلم ببعض العجالى وهو ينظر لساعته ، لمح عبر باب الصالة الرئيسية والدته تقف قرب الشباك وهي تحتسي فنجان قهوتها الصباحية المعتاد قبل ان تذهب لعملها ، تبسم وهو يقترب منها على مهل دون ان تفطن اليه ، بدت رشيقة وجميلة جدا ببدلة انيقة زرقاء وشعرها مرفوع ببساطة اعلى رأسها ..

فاجأها من الخلف وهو يلف ذراعه حول خصرها ويقبل خدها ليضحك بعدها من شهقة الاجفال التي اطلقتها بينما تحاول التمسك بفنجان القهوة حتى لايقع ارضا ...

التفتت جانبيا نحوه وهي تعقد حاجبيها تلومه قائلة " الا تتوقف عن افعالك المشاكسة هذه يا ولد ؟!"

ضحك مرة اخرى وهو يطبع قبلة ثانية على خدها ويقول " تبدين متفتحة كأجمل زهرة "

تلألأت عينا نهى وهي تنظر لصغيرها الذي كبر ليداعبها بكلماته المميزة هذه ، رفعت كفها تداعب خده بحنان وهي تقول بتأثر " دوماً لك تأثير مميز علي يا صغيري "

ابتسم بانشراح ثم سألها وهو يبتعد " تأخرت في النوم بسبب حبوب الحساسية التي اخذتها ليلة الامس ، لابد ان ابي ومهدي خرجا منذ اكثر من ساعة "

وضعت نهى فنجانها جانبا ثم اقتربت من المرآة الكبيرة التي تشغل جانبا من الصالة لتتأكد من هندامها وهي ترد عليه " اجل لقد خرجا فعلا "

ثم اضافت بعفوية وبعض التأثر وهي تلتفت نحوه " ألم تشعر بالهزة الارضية فجر اليوم ؟؟ سمعت تواً بالاخبار ان الهزة المرتدة كانت اقوى في بعض المناطق حتى انها اوقعت بعض المباني في الاحياء الفقيرة !"

خطواته تجمدت على بعد نصف متر من باب الصالة ، التفت ببطئ بينما امه تتفاجئ من غرابة ملامحه !

سألها بصوت أجش يغلب عليه الاختناق " اي احياء بالضبط ؟"

ردت نهى وقد بدأت تقلق من حالته " قالوا انها الاحياء الشعبية في المنطقة الغربية ويبدو ان هناك ضحايا "

شحب وجه ماهر وجحظت عيناه بصدمة مروعة ثم هرع راكضاً وامه تناديه بقلق وهو لايرد ....

بين ممرات المستشفى الحكومي يتنقل هنا وهناك يبحث عن ضالته وكتفيه يرتطمان من الجانبين بهذا وذاك ، هذه ثالث مستشفى يبحث فيها ...

امواج من البشر ! هناك الكالح الملامح الذي لم ينظر نحوه حتى وهو يسأل عن صفية !

وهناك الباكي المولول على فقيد فقده فلم يقترب منه وهناك المتوجع الذي لايستوعب سؤاله ثم .. رآها ....

" يا الهي ..."

اغمض عينيه للحظات وهو يعاند اختلاجة قاتلة ارعدت جسده ! كان يعلم انها حيّة فقد ذهب للحي وتقصى وسط الفوضى الحاصلة هناك .... لكنه ايضا لم يثق باجوبة اناس ملتاعة مصدومة مكلومة لايستوعبون ما حصل ..

فتح عينيه ونظر اليها طويلا ، تقف وسط الممر بقميص نوم طويل الكمين تطوي ذراعا امام صدرها لتسند كوع الذراع الآخر عليها بينما تضم قبضتها لفمها وهي تتطلع امامها بترقب مرتجف !

اقترب منها ببطئ وهو يناديها بهمس مختنق " صفية ..."

التفتت نحوه فارتجف جسده من قمة رأسه لاخمص قدميه ...

يا الهي .. وجهها الجميل ملطخ بالوان رمادية وشعرها منكوش مغبر ، لكن هذا لايعادل بؤس النظرات المطلة من تلك العينين الجاحظتين بصدمة ! نظراتها نحوه كانت تبدو وكأنها لاتستوعب وجوده ولاتجد ما تقوله له ...

نظراته انحدت نحو قميص النوم الباهت فانعصر قلبه اكثر وهو يرى اثار الدم وقد عبثت بها الوان رمادية بخطوط مشوهة ... ثم التقطت عيناه الدم حتى على كمها ايضا !

ابتلع ريقه وهو يعاود التحديق في وجهها التائه ليقول " هل ... انت بخير ؟"

فاجأته بالاقتراب وكأنها تتلمس شيئا يعيد اليها ثباتها لتقول بصوت مجروح مرتجف " طه ليس بخير ماهر ، لقد وقع على رأسه وجرح "

عذّبه ان يراها هكذا ! عذّبه ان تناديه بأسمه وهو عاجز حتى عن احتضانها والتخفيف عنها ..

طه اخوها الصغير ، لقد اخبروه في الحي انه جرح في رأسه واخته ركضت به للمستشفى ...

اقترب اكثر منها وهمس بحنان " لاتجزعي صفية ، سيكون بخير .. فقط تماسكي ، انت قوية وستبقين قوية لاجل ... عائلتك .."

اخذت نفسا غريبا وكأنها ستختنق ! حاجباها ارتفعا بينما عيناها تتسعان بنظرة عذاب مزقته لتقول بالتياع " لا .. لست قوية ... لقد .. لقد .. رأيت باب الشقة مفتوح ولكني لم اهرع اليهما !"

اصابته الحيرة ولم يفهم ما تقصده فسألها بقلق شديد " ماذا تقصدين ؟! "

فاجأته وهي تتشبث بكم سترته وتطلق نفسا اخر متحشرجا وهي تهمس بنفس العذاب ونظراتها زائغة " لم استطع .. كنا نركض على السلالم ورأيت باب الشقة مشرع لكني لم استطع ! خفت على اخواتي وامي .. تركت العم مصطفى وزوجته يموتان... لم اذهب لاساعدهما على الخروج ... "

اخذت تشد على كمه وهو تهمس " العم مصطفى كان مرهقا منذ الامس .. لقد وقع بالسوق !"

همس وهو لايقاوم مد يده ليمسك ساعدها ويقربها قليلا منه " لقد سمعت ان هناك من لم يستطع الخروج ، لكنه ليس ذنبك ! احسنت التصرف بأن اخرجتِ عائلتك بشجاعة "

اخذت تهز رأسها رفضا لما يقوله وهي تهمس بلوعة أشد " ظننت للحظة انهما خرجا ! ليتني ناديتهما ..ليتني تأكدت .. ليتني عدت اليهما !"

عقد ماهر حاجبيه وهو يقول بحزم " لاتحملي نفسك فوق طاقتها ، يا الهي انت مجرد فتاة شابة صغيرة وقد انقذتِ عائلتك من موت محقق، لايمكنك انقاذ الجميع صفية ، ثم انك كنت تحملين اخاك المجروح ، هكذا اخبرني الجميع هناك .."

توقفت عن هزّ رأسها لتحنيه للاسفل ويدها ما زالت تتمسك بكم سترته ، مرت لحظات ثم اخذت تنشج بصوت مكتوم وجسدها اخذ يهتز !

وضع يده على يدها التي تتمسك بكمه واخذ يلامسها برقة وهو يقول بهمس " ابكي .. ابكي كما تشائين .. احزني ، لكن لاتشعري بالذنب ، انت اشجع واقوى فتاة رأيتها في حياتي واكثرهن حنانا وعاطفة ، قوتك تنبع من عاطفتك المحبة نحو الجميع وانت تحاولين اسنادهم "

تراخت يدها عن كمه وهي ما زالت تبكي بصوت مخنوق .

تطلع لقميص نومها فعبس ! ابتعد قليلا لينزع سترته ثم وضعها ببساطة حول كتفيها وهو يقول بصوت منخفض " لاتخلعي سترتي مهما حصل ، هل طمأنكم احد على طه "

ردت بهمس بين بين شهقات تكتمها بصلابة تثير الاعجاب والدهشة " الطبيب عالج.. الجرح ... ولكنه .. يجري له فحوصات .."

ارتاح اكثر لانها بدأت تستعيد تركيزها ثم تنبه لفتاة صغيرة شقراء تقترب منهما وتنظر اليهما بارتباك بينما نفس الصدمة التي رآها في على وجوه الناس هنا ترتسم على محياها الجميل الرقيق ..

قالت الفتاة بتحشرج " صفية ، امي افاقت من اغماءتها والممرضة تقول انها بخير الان ، لقد تركت معها زينب واتيت لاخبرك فهي لاتتوقف عن البكاء والسؤال عن طه "

قبل ان ترد صفية سارع ماهر للقول وهو يبتسم لعيني فاطمة " اذهبا لوالدتكما وانا سأسال عن حال طه "

ثم اضاف بتأكيد وهي يحدق برأس صفية المنحني ويداها متراخيتان الى جانبيها " ولاتخلعي سترتي ابدا ، تذكري أنت لاترتدين الا قميص النوم !"

بعد ساعة ...

رد ماهر على اتصال من ابيه فبادره الاب ليقول بحنق وقلق " لماذا هاتفك مغلق ؟! امك اثارت رعبي عليك ! ماذا حصل واين انت ؟ "

رد ماهر بهدوء متعمد " اسف ابي كنت ازور .. صديقا في المستشفى .. وانت تعرف الاشارة هنا تصبح ضعيفة "

اكمل كلامه مع والده وهو يخبره انه قد يتأخر قليلا في الحضور للشركة ثم سارع لانهاء المكالمة وهو يستشعر عدم الاقتناع في صوت ابيه ..

عينا ماهر كانتا تتطلعان نحو صفية التي تقف في آخر الممر تكلم الطبيب بينما تلتصق بها اختها الشقراء فاطمة ، أما اختها الاخرى زينب فلم تكف عن النظر بعبوس حولها لكن ذراعها امتدت لتحيط الام الملتاعة على ولدها ..

يا الهي مجرد نسوة اصبحن بلا سند وبلا مأوى ..
بلا ملابس حتى ! كلهن بقمصان نوم رثة وقذرة
من اثر انهيار المبنى ، منظرهم يثير الشفقة
والغضب في آن واحد ! وكلهم متعلقون بصفية !

تنهد ببعض الارتياح على الاقل الولد بخير ،
وسيخرجه الطبيب خلال ربع ساعة .

خرج ماهر من بوابة المستشفى برفقتهم حاملا
بين ذراعيه طه الصغير الذي استسلم للنوم ،
عيناه تراقبان وجوههم ويكاد يقرأ بوضوح الى
حد ما الافكار التي تجول بعقولهم .

خلبت لبه الصغيرة فاطمة وهي تحاول دعم
اختها الكبرى بابتسامة حلوة رغم ان عينيها
الخضروابن الجميلتين تنضحان بالقلق !

زينب العبوس لم تلق نحوه الا نظرة واحدة ثم
تجاهلته تماما وغرقت في افكار غير واضحة
لكنها افكار جعلت ملامحها تقسو ، اما الام فلم
تقل ولا كلمة واحدة وعيناها تحطان تارة على
صغيرها فتدمعان وتارة على صفية فتتساءلان
سؤالا واحدا حائرا (اين سنذهب ؟!)

وتمشي تلك ال (صفية) وسطهم شامخة
كحامي الحمى تحمل اثقالا تنوء بحملها الجبال
لكنها تصمد بشكل عجيب وترفض
الاستكانة للظروف مهما كانت !

لم تنظر نحوه منذ البسها سترته ، كان مدركا انها استعادت عقلها تماما وتفكر بالخسارات والخيارات !

خرجوا من المشفى تماما الى الشارع فتوقف ماهر قليلا ليسأل صفية بهدوء " الى اين ستذهبون ؟! ساوصلكم لاي مكان ترغبونه "

حركت جسدها دون ان تنظر اليه واوشكت ان تخلع سترته وهي تقول " سنكون بخير .. خذ سترتك .."

نهرها ببعض الحدة " اياك ان تخلعيها ! نحن في الشارع !"

اطرقت قليلا ثم لملمت سترته حولها بينما التف القلق والاضطراب بحلقات حولهن جميعا !

اعاد عرضه " دعيني اوصلكم .."

همسها كان حازما " لا .." زمّ شفتيه قبل ان يقول بحنق " صفية ، انتن بقصمان النوم وطه مجروح ونائم ، لماذا لاتسمحين لي بالمساعدة ؟!"

قالت بصوت لاحياة فيه " سنأخذ سيارة اجرة ، يجب ان نعود للحي ونرى كيف الوضع هناك "

قال بالحاح "اذن دعيني اوصلكم الى هناك واساعدكم في لملمة اغراضكم وايجاد مكان مناسب لاقامتكن "

يكاد يجن لانها لاتنظر نحوه وكأنها لاتريد وجوده !

قالت بنفس اللهجة " شكرا لكل شيء سيد ماهر لكن لاداعي لايصالك لنا، يجب ان ندخل الحي بانفسنا دون جذب نظر ، انا مقدرة لنواياك الحسنة لكن .. نحن في حي شعبي قد ابرر حضورك للمشفى لمن رآك معنا لكني لااجد تبريرا لايصالك لنا ومساعدتنا امام الجميع هناك .."

تنهد ثم قال بضيق " اين ستنامون الليلة ؟!"

عندها فقط ... رفعت راسها اليه وابتسمت ابتسامة تنضح بالألم والمرارة لتقول " لاتقلق ، الفقراء يجيدون احيانا تقاسم المآسي بروح كريمة "

راقب تلك العينين ولم يشعر انه يعشقها اكثر من هذه اللحظة ! انها مبهرة .....

رغم شعوره بالغضب والعجز بسبب عنادها قال وهو يسبل اهدابه " سأوقف لكم سيارة الاجرة واياك والاعتراض على هذا ايضا ! "

لم تقل شيئا بينما يوقف لهن سيارة اجرة وبعد ان جلسن وضع طه في حضن الام ثم دفع الاجرة مقدماً للسائق دون ان يبالي باعتراض صفية الحانق وفي النهاية وقف قرب نافذتها ليقول لها بعزم " ساتركك الآن فقط لتلملمي شتات نفسك وغدا سنرى .. "

اغلقت نهى الهاتف بعد ان تكلمت مع زوجها ثم تنهدت ! اقتربت منها نجلاء عاقدة الجبين وهي تقول "مابك ؟! ألم يطمئنك على ماهر ؟ ماذا يقلقك اذن ؟!"

ردت نهى وهي تتطلع لوجه نجلاء بضيق " الولدان لايعجباني يا نجلاء ! ماهر يجيد اخفاء افكاره بشكل مغيظ ولكن هناك امر ما يشغل باله فأنا اعرفه جيدا ، اما مهدي فحاله لايسر ! "

عبست نجلاء اكثر وهي تقول " لماذا تضخمين الامور ؟!! آسر سيحلها انا واثقة من هذا "

حنقت نهى قائلة " كالعادة لاتتوقفين عن تأييد افعال آسر مهما كانت ! هذه حالك منذ الطفولة "

ردت نجلاء مدافعة عن نفسها " هذا غير صحيح فانا اؤيد ما اقتنع به ، وما فعله آسر اجده مجدياً لكل من مهدي الكتوم وسلسبيل المندفعة "

مطت نهى شفتيها وقالت بتذمر " لكن مهدي يتألم لفراقها وآسر لايفهم هذا ، لايفهم ان مهدي رغم صلابته لكن قلبه في الحب رقيق كطفل "

عادت نجلاء لتجلس على كرسيها خلف مكتبها وهي تقول " لاتتقلقي نهى ، كلنا مررنا بصعوبات في حياتنا جعلتنا اقوى واصلب عوداً ، لافائدة من محاولاتك المستمرة لحماية ولديكِ لانهما يجب ان يتعلما بانفسهما احياناً وما علينا الا بعض النصح والارشاد "

رنت نظرات نهى لكرسي نادية الفارغ وقالت بضيق " لقد تأخرت نادية في الحضور ! كنت اريد محادثتها مرة ثانية لتحاول التدخل مع اني كنت اتمنى ان تفعل من نفسها شيئا عملياً حيال مهدي وسلسبيل "

ابتسمت نجلاء لتقول " لن تتدخل الآن ، نادية عقلها يفكر بطريقة مختلفة عني وعنك ..."

ثم شردت نظرات نجلاء قليلا وهي تضيف بغموض " كما ان هناك ما يشغلها اكثر من مهدي وسلسبيل .."

عبست نهى وهي تتطلع لنجلاء متسائلة " ما الذي يشغلها ؟؟"

ردت نجلاء بمراوغة " لاشيء ... مجرد تخمين قد يكون صائباً وقد يكون ... خاطئا "

ثم انهت نجلاء الكلام وهي تعود لتركيزها في تصاميم المحجبات المقدمة لها حديثا لتحذو نهى حذوها وتعود لمباشرة عملها ...

دخل ظافر على ابن عمه مهدي وهو يقول بنبرة قلقة رغم محاولته مداراتها " مهدي اريد منك الحلول مكاني في اجتماع وفد هيئة النسيج ، انا .. مضطر للخروج .."

تطلع مهدي لظافر وهو يستغرب حالته ! ثم وقف على قدميه ليغادر كرسيه ويتقدم نحوه قائلا " ولكن ظافر انت تعرف ان عمي اصر ان تحضره بنفسك "

رد ظافر وهو يمرر يده في شعره " يجب ان اذهب لرؤية حوراء والاطمئنان عليها "

رفع مهدي حاجبيه ببعض الدهشة وهو يسأل " حوراء ؟! ما بها حوراء ؟؟؟"

قال ظافر وعيناه تشردان قليلا " ليس بها شيء ، كانت محمومة قليلا قبل يومين ولكنها بخير .. انا .. انا .."

عبس مهدي وهو يسأله " انت ماذا ظافر ؟!!"

ابتلع ظافر ريقه بوضوح ليركز نظراته القلقة على ابن عمه ويقول " الزلزال الذي حصل فجر اليوم يقلقني ! ماذا ان تكرر ؟؟ لقد سقطت مبان في الاحياء الشعبية وهناك ضحايا "

اطلّت الحيرة من عيني مهدي وهو يقول " لاافهم ! ما علاقة الاحياء الشعبية القديمة بحوراء ؟؟ هل تذهب هناك لأي سبب ؟؟"

رد ظافر بحدة " طبعا لا ! لاينقصني الا ان تعرض حياتها للخطر بهذا الشكل .."

احتار مهدي اكثر وهو يسأل مرة اخرى " اذن لاافهمك ! هل يمكنك ان تشرح لي سبب مخاوفك ؟!"

فتح ظافر فمه قليلا ثم عاد واغلقه ! نظراته اقلقت مهدي وهو عاجز عن فهم ابن عمه !

قال مهدي بهدوء " هل تخشى ان يقع مبنى المعهد مثلا ؟؟!"

الاجابة كانت شحوب شديد كسا وجه ظافر بينما عيناه تتسعان بخوف ظاهر !

مد مهدي يده لذراع ظافر يشد عليها ويقول " ظافر اولا مبنى المعهد ليس قديما كما الاحياء الشعبية كما انه تتم صيانته باستمرار والشيء الثاني ..." صمت مهدي قليلا قبل ان يضيف بتأن " عليك ان تؤمن باقدار الله ..."

صوت مخنوق مبهم اصدره ظافر وهو يلتفت بعنف ليولي مهدي ظهره !

ظل مهدي ينتظر من ظافر اي بادرة للكلام بينما يتطلع لظهره المتشنج !

ناداه " ظافر ؟!"

همس ظافر بحشرجة " لااكف عن الحلم بها ..تـ... تضيع .. مني !"

ثم عاد والتفت بحدة اقل ليواجه مهدي مضيفا " هل تؤمن ان الاحلام قد تتحقق ؟!"

للحظة احتاج مهدي ان يستوعب ما يراه ويسمعه ! دوما كان ظافر عاطفيا وفيما يخص حوراء كان مجنونا !! لكن ان يصل به الامر لهذا الحد ؟!!

قال مهدي ردا على السؤال " ليس كل الاحلام ، ما اعرفه انها يجب ان تكون رؤيا صادقة وليس مجرد انعكاسات لافكار عقلنا الباطن "

اغمض ظافر عينيه وهو يهمس " كيف اتأكد ؟! كيف ارتاح ؟!"

رد مهدي بتفهم " انا اعلم انك كنت دوما تظنها بحاجة للحماية والمراعاة ، عندما كنا صغارا كنت تضربنا اذا اوقعناها ارضا دون قصد اثناء اللعب وكنت تخرب اللعبة اذا رأيتها مرهقة ، تلاحقها بلا هوادة وتبعد الجميع عنها .. ليس غيرة فحسب بل وحماية ايضا "

قال ظافر بتحشرج " دوما كانت ضعيفة البنية وما زالت ... كما انها رقيقة القلب ونقية للغاية حتى اني اخشى عليها من نسمة عابرة تؤلمها "

رد مهدي برقة " اسمعني ظافر ، حوراء فتاة طبيعية وليس بها مرض والحمد لله ، كما انها ليست ضعيفة لتحتاج من يحميها الرقة والنقاء لاتعنيان الضعف .. انها قوية ومرعبة عندما تريد .."

ابتسم مداعبا وهو يكمل " اسألني أنا .. انا رفيقها الدائم .."

زمجر ظافر قائلا بحدة " انت لست رفيقها !"

ضحك مهدي من قلبه وهو يقول " يا مجنون ! الا تكف عن هذه الغيرة القاتلة ! يا اخي دعها تتنفس قليلا ولا ستخنقها بحبك "

تنهد ظافر وهو يقول باحباط " وهذا سبب آخر لرعبي ! اخاف ان اخنقها دون ان ادري "

ثم عاد ليقول بشجن " هل تعلم يا مهدي ما حصل مع تلك الحقيرة سالي جعلني اكثر قلقا ، حوراء فتاة مختلفة عن بنات جيلها ، انها شديدة التعفف والخجل لذلك كانت ردة فعلها قوية ، احيانا اشعر اني ... "

صمت ظافر دون ان يكمل فعقد مهدي حاجبيه متسائلا " انك ماذا ؟!"

تنحنح ظافر ليقول " لاعليك ... مجرد سخافات ! حسنا ساحاول ان استعيض عن ذهابي اليها بأن اكتفي باتصال هاتفي .."

ثم نظر ظافر لمهدي ليسأله فجأة " هل تكلمت مع ابي عن سلسبيل "

اسبل مهدي اهدابه وهو يرد قائلا " نعم ... فعلت .."

فسأل ظافر باهتمام " وهل اقنعته ؟!"

ضحك مهدي بخفة وهو يضع يديه في جيبيه " بل هو من اقنعني !"

قال ظافر بعجب " كيف اقنعك ؟! هل يعقل انك ستمتنع حقا عن رؤيتها ؟!! هل ستحتمل ؟! لله درك ان فعلت !"

تشنجت ملامح مهدي قليلا ثم قال " افعل هذا لاجلنا معاً يا ظافر ، انا مدين لها بذلك وهي ايضا مدينة لي ! "

ضيّق ظافر عينيه وهو يحدق بوجه مهدي ثم قال " فقط لو تكون اكثر صراحة معي وتخبرني حقيقة الامر "

رفع مهدي وجها هادئ الملامح تماما وهو يقول بثبات " لقد اخبرك ماهر بكل شيء فماذا تريد بعد ؟"

رد ظافر بحذق " بل اخبرني بوجه واحد لما حصل ! هناك امر ما تخفيانه عني ولا اصدق ان غيرتك عليها الى هذا الحد لمجرد انها ذهبت لتتكلم مع ذلك ال(رياض) !"

قال مهدي وهو يستدير ليعود لكرسيه " انت تسرح بخيالك ، ليس هناك شيء آخر انا فقط غيور اكثر مما تظنون جميعا وكنت اخنق سلسبيل على طريقتي وهي لاتساعد بشقاوتها وجرأتها "

قال ظافر وهو يتجه نحو الباب مغادرا " حسنا يا ابن عمي يمكنك اقناع نفسك انك خدعتني لكنك ببساطة ... لم تفعل ..."

خرج ظافر بينما كسا الألم ملامح مهدي وهو يهمس " يا الهي لم يمر الا يومان ! والشوق يمزقني إرباً ! "

قال آسر عبر هاتفه " لاافهم لماذا لم تأخذي اجازة من الجامعة كما طلبت منك ؟!"

ردت سلسبيل ببشاشة مصطنعة " اكره الجلوس في البيت يا آسري ، افضل الالتهاء مع صديقاتي والتسكع معهن "

ضحكت ضحكة باهتة وهي تضيف " ثم ان امي تقاطعني !"

رد آسر بنعومة مشاكسة " انها لاتقاطعك صغيرتي ، انها تعاقبني أنا ! تجعلني اشعر اني تلميذ مشاغب .."

ضحكت هذه المرة ضحكة حقيقية فابتهج آسر اخيرا ، اوشك ان ينهي المكالمة معها ليعود لعمله عندما سألت بصوت مبحوح " كيف .. هو ... هل .. سأل .."

رقّ قلبه لها ، يا الهي هذه الفتاة تأثيرها عليه غريب !

قال ببساطة " ان لم يسأل لسانه فعيناه تتوسلان السؤال ، اصمدي يا ابنة والدك فالشوق يجعلنا نقدر اكثر قيمة ما نشتاق اليه "

تنهيدة ناعمة منها داعبت اذنه فاضاف مغيظا لها بمرح " والشوق يفعل افاعيله مع ابن شاهر ! حتى انه لم يعد وسيما كما كان ، اصبح هزيلا وشاحبا بشكل منفر !"

هبّت سلسبيل تدافع بغضب " لاتقل عنه هذا ابداً! "

ضحك آسر من قلبه بينما يسمع صوت ابنته يتوارى من الخجل بالحنق لتقول " حسنا يا آسري لن اكلمك ابدا حتى صباح الغد ... وداعا .."

ثم اغلقت الخط وآسر يتبسم في رضا ...

ترجلت صفية من سيارة الاجرة وتبعها الجميع ، تطلعت حولها والناس ما زالوا في حالة صدمة وتوتر .. لوعة ورعب ! انه هرج ومرج في المشاعر كما هو هرج ومرج في التجمهرات البشرية من الطبقة المسحوقة هنا وهناك والايادي تقلب كف بكف ...

الغضب علا الوجوه .. غضب ونقمة غير محددين .. لا الاسباب نفهمها والا النتائج نريدها!

اخذت نفساً وافراد عائلتها يتحلقون حولها ينتظرون منها الخطوة القادمة !

عيناها التمعتا بدموع مخنوقة وهي تتطلع من بعيد لما آل اليه ذلك المبنى الذي عرفته كسكن لها طوال حياتها ... هزة ارضية تبعتها ارتدادية كانت اكثر من كافية لتطلق رصاصة الرحمة عليه وتريحه من عبء حمل السنين العجاف بلا صيانة بلا اهتمام بلا تجديد ... وقد ناء بحمله كثيرا ليستسلم اخيرا لمشيئة الله بزلال دكه دكّا ...

اختنقت اكثر وصورة العم مصطفى والخالة سليمة تمزقان قلبها تمزيقا ...

اخذت نفسا وهي تترحم لهما ثم تحركت بخطوات تبدو ثابتة لمن يراها لكن لايعلم انها خطوات تبحث عن هدف تتجه اليه لتبدأ رحلة معاناة شاقة جديدة ومن نوع آخر...

وكأن عين الله ترعاها ...

صوت يناديها ..

" انسة صفية .. انسة صفية ..."

التفتت لمصدر الصوت فوجدت رجل اربعيني بزي احدى سواق الشركة يهرول نحوها وعلى وجهه علامات الراحة والارهاق ..

تعرفت على وجهه لكنها لاتعرف اسمه ، وصل اليها وهو يلقي السلام وعيناه تمشطان افراد عائلتها بتدقيق حريص ليقول وهو يحمد الله " الحمد للّه انك وعائلتك بخير ، السيد شاهر علم قبل ساعة بما حصل لكم وارسلني من فوره لابحث عنكم واطمئن "

ثم لم يمهلها لترد وهو يمد يده لجيبه ويخرج هاتفه النقّال ويضغط على الازرار وهو يعقب " السيد شاهر يريد مكالمتك انستي "

اعطاها الهاتف فأخذته منه ووضعته على اذنها لتسمع الرنين حتى انفتح الخط وجاءها صوته الحنون " مرحبا .."

اغرورقت عيناها بالدموع ثم انهارت وهي تجهش بالبكاء المرير ...

التقطت قلقه الشديد وهو يناديها " يا ابنتي هل هل انت بخير ؟ هل عائلتك بخير ؟!!"

امسكت عن البكاء بصعوبة وهي ترى امها تبكي وفاطمة تبكي وحتى زينب تبكي بدموع غزيرة تحاول ان تواريها عنهم ...

قالت باختناق " اسفة سيد شاهر ، انا بخير وعائلتي ايضا فقط .." صمتت قليلا والغصة تعاود خنقها وهي تتطلع لوجه طه النائم على كتف امها وقد حاوط جبينه شاش طبي .

جاءها صوت السيد شاهر اكثر قلقا " ماذا هناك يا ابنتي ، السائق قال لي انه سأل في الحي وانكم بخير فقط اخاك جرح ، فهل حالته صعبة ؟"

ردت بانهاك " اسفة سيد شاهر لاقلاقك هكذا ، اخي بخير ، جرح في رأسه لانه خرج راكضا فزعا ولم يكن يرتدي نظارته فتعثر ووقع على حافة الدرج ، لكنه بخير الحمد لله "

ردد شاهر بتنهدية راحة " الحمد لله "

ثم اضاف بعد لحظة " اسف اني لم احضر بنفسي ، لكن احسست ان تواجدي غير مناسب لك في الحي ولم نعرف اي مستشفى ذهبتم اليها بالضبط "

ردت بامتنان " شكرا سيد شاهر .. انا اعرف ماتقصد .."

قال بعدها بلهجة عملية " اسمعيني صفية ، السائق معه ظرف فيه ما يعادل راتبك لشهرين ، انه منحة من الشركة "

همست بانفعال مخنوق " ارجوك سيد شاهر لاتثقل علي بهذا !"

قال بحزم " هذا ما نفعله مع جميع الموظفين عندما يمرون بحالتك ، انها دفعة طوارئ "

ثم اضاف بحنان مرح " ما ساثقل عليك به سيأتي لاحقا ولكننا سنتفاهم يا صغيرة "

تحشرجت انفاسها ولم تقل شيئا فاضاف " ارسلت لك ايضا هاتفا نقالا وفيه خط جديد حتى تستعيدي خطك وتقتني هاتفاً لك ، الآن انت بحاجة له كوسيلة اتصال ، وفي الطريق اليك بضع عمال سيساعدونك في البحث عن اغراضكم وضبها وخزنها في اي مكان تريدينه "

همست " سيد شاهر ..."

قاطعها ليسأل " اين ستبيتون الليلة ؟!"

ردت على عجالى " لاتقلق .. سنبيت في بيت احد جيراننا في الحي "

قال بجدية " هذا وضع مؤقت ان شاء الله سنجد الحلول المرضية "

همست بشعور متناقض بين انكسار لقلة حيلتها وراحة لدعمه لها " شكرا لك سيد شاهر ، انا ... لن انسَ طوال حياتي ما تفعله لاجلي واجل عائلتي "

قال شاهر " كوني قوية كما عهدتك دوما ، وستكون كل الامور على ما يرام ، وبما يريحك ايضا "

عاطفة ابوة التي شعت من كلمات جعلتها توشك ان تغرق في عاصفة بكاء جديدة ، لكنها قاومت ضعفها هذا فلا وقت لديها .. عليها التحرك لانقاذ ما يمكن انقاذه وايجاد مأوى لهم ..

فاجأها صوت السيد شاهر بغموضه وهو يسألها " رايتِ ماهر اليس كذلك ؟!"

للحظة يدها تمسكت بالسترة الملقاة على كتفيها وعطره يطغى على ما حولها من العطور المألوفة للحي ..

قالت بتوجس " نعم .. طبعا .. السيد ماهر قام بالواجب معنا في المستشفى "

ثم اضافت بتساؤل " هل هو من اخبرك ؟"

رد السيد شاهر بمراوغة لم تفهم اسبابها " آآ طبعا .. لكني لم افهم منه شيئا والخط يتقطع بالمستشفى "

همهمت " آآآآ نعم ..."

ثم ودعها مؤكدا على ضرورة حضورها في الغد وهي وعدته انها ستفعل ..

اغلقت الهاتف وشردت للحظات بينما يتململ الجميع حولها ، زينب نادتها بحنق " صفية هل سنظل واقفين هكذا وسط الناس ؟!"

رفعت صفية وجهها لتجد السائق يتولى مهمة حمل طه وامها والفتاتان ينظرون اليها نظرة تعرفها جيدا ..

كل يقولها بطريقته وبكلماته ...

لكن المعنى واحد ...

" نحن نعتمد عليك !"

كانت نجلاء تحضر عجيبنة البيتزا في المطبخ بينما تتطلع لوجه ابنتها الشارد الملامح !

قالت اخيرا " ما بك حبيبتي ؟"

تنبهت حوراء من شرودها لتقول بابتسامة غير حقيقية " لاشيء امي .. انا بخير "

كزّت نجلاء على اسنانها وهي تفرغ شحناتها في عجين البيتزا ثم قالت دون مواربة " لن تخدعيني بتكتمك المغيظ هذا ! هناك شيء في علاقتك الزوجية بظافر لايعجبني ولايريحني "

همست حوراء بخجل " امي !"

تخصرت نجلاء بيد بينما يدها الاخرى اخذت تفرك انفها بحنق قائلة " لماذا لاتثقين بي لاساعدك ؟! "

شعرت حوراء بالحرج فأخذت تعدل من جلستها على الكرسي الخشبي وهي تقول بتردد " ليس عدم ثقة ... انا ... انا اخجل امي "

تنهدت نجلاء وهي ترفع عينيها للسقف باحباط قائلة " وربما هذه هي المعضلة الاساسية ؟"

اعادت النظر لابنتها لتقول بعزم لايلين " الآن اخبريني بما يحصل بينكما ، انت بحاجة لمساعدة طارئة والا انفقعت مرارتي أنا يا ابنة بلال !"

احمرت حوراء وهي تطرق براسها لتقول بتلعثم" امي انت تظلميني ! الامر ... ليس .. خجلي فحسب ! "

تنهدت حوراء لتضيف بضيق " ظافر يعاملني وكأني مصنوعة من زجاج رقيق وهذا يربكني اكثر ويجعلني احتار معه !"

عبست نجلاء وهي تسأل" كيف تحتارين ؟"

ردت حوراء وهي تلامس شعرها بارتباك " احيانا اشعر ان خجلي الشديد يقيده فلا يعبر عن نفسه بشكل كامل وبنفس الوقت يضاعف من معاملته له ككيان هش "

نظرت نجلاء لابنتها بعمق لتقول بعدها بهدوء " اخبرتك سابقا انك غير مدركة لسطانك عليه .."

عضت حوراء شفتها السفلى بينما اكملت امها قائلة " لا تستسلمي لخجلك حوراء ، عليك ان تدربي نفسك وتدفعيها اكثر "

ردت حوراء بهمس محبط " في داخلي اشعر اني لست كفؤا كامراة له امي !"

ارتفع حاجبا نجلاء قليلا بينما اكملت حوراء بغصة " انه عاطفي جدا وقد .. اقصد .."

قالت نجلاء برقة " تقصدين انه عرف نساء غيرك اليس كذلك حبيبتي ؟!"

هزّت حوراء رأسها ب(نعم) وهي تتهرب بنظراتها من امها بينما قالت نجلاء بتفهم " انا اقدر جدا ما تشعرين به ، الزوجات عادة يقلقن من ان يفتر اهتمام ازواجهن بهن خصوصا ان هذا يحصل للاسف فما بالك لمن كان لدى زوجها علاقات قبلها ؟! لكن بنيتي عليك نسيان الامر ، لاتقفي عليه وتجعليه كوسواس ينخر في ثقتك بنفسك وبزوجك ، امنحي ظافر كل ما يريد دون حتى ان يطلبه ، اريه انك تستطيعين ان تكوني افضل من توقعاته حتى ،

انك امرأة كاملة ولست مجرد كيان هش يرتعب من مجرد لمسه "

تحشرج صوت حوراء وهي ترد " ساحاول امي .."

آخر من استخدمت الحمام !

يوم طويل ورهيب !

خرجت صفية بخطى تتوخى الحذر حتى لاتتعثر بقميص النوم الذي يعود للخالة شكرية زوجة العم جلال صاحب القهوة الذي آواهم في شقته الى حين ...

نظرت للقميص الذي تضيع فيها عمليا فالخالة شكرية تتمتع ببنية ضخمة ، عينا صفية جالتا سريعا في ارجاء الشقة المتواضعة والتي تعمها اضاءة خافتة و هدوء غير مريح !

بنات العم جلال الثلاث واللواتي لم تتجاوز كبراهن عمر زينب لم يبدين كثيرا من الترحاب للزحام البشري الحاصل في الشقة !

وشعورهن بالضيق كان واضحا على ملامحهن المتذمرة بينما الام ترمقهن بحدة ليحسِنّ التصرف !

واحتملت صفية ... وصمتت .. واظهرت رباطة جأش وهي تدعي انها لم تتنبه لافعالهن وهن يرمقن فاطمة وزينب بنظرات لم تعجبها حتى انها اضطرت لقرص ذراع زينب حين اوشكت ان تظهر انفعالا ، وكم آلمها هذا ؟! كم آلمها ان تكبل مشاعر الاعتزاز بالكرامة في عيني تلك الغاضبة دوما ...

لقد اضطرت حتى للتغاضي عن سماع احتجاجات تلك السخيفات عبر باب غرفة النوم وامهن تحاول اقناعهن باعارة زينب وفاطمة قميصي نوم وبعض الملابس ..

اما ما فاقم احساس صفية بالخجل الى درجة الاختناق فهو مغادرة ولديّ العم جلال اللذين يقارباها عمرا ليبيتا كل في بيت صديق له ...

ابتلعت احساسا مريرا بالعجز ! ماذا بيدها ان تفعل وفي رقبتها عائلة ، لكن هذا الوضع لن يستمر ...

اغمضت عينيها للحظة وهي تأخذ نفسا وتعد بهمس حتى رقم خمسة ثم فتحت عينيها وهي تهمس لنفسها " سنكون بخير .. بإذن الله سنكون بخير "

ثم اكملت طريقها نحو الغرفة التي خصصت لهم .. غرفة الشابين اللذين غادرا لاجلهم ..

دخلت الغرفة لتجد امها تنام على احد السريرين الضيقين وقد استرسلت في نوم عميق وهي تضم لصدرها طه الصغير ، تطلعت لطه بوجهه المحبب البريء ، بدى مختلفا دون نظارته الحمراء التي كان يصر على ارتدائها حتى في نومه وهو يضحك قائلا (حتى ارى احلامي بوضوح !)

تنهدت وهي تفكر ان اولى اولويات الشراء في الغد هي نظارة جديدة ، ثم رانت نظراتها لاختيها اللتين افترشتا الارض بما امدتهما به الخالة شكرية ، عينا صفية تعلقتا بايديهما المتشابكة وكأن احداهما تؤازر الاخرى ..

تحركت صفية نحو السرير الذي ستنام عليه والذي يماثل الآخر في ضيقه ! تعجبت كيف يمكن ان تحوي اسرّة ضيقة كهذه جسدي شابين ضخمين كابناء العم جلال ؟!!

اضطجعت صفية على السرير ، سكنت للحظات ثم اخذت بعدها تتقلب يمينا ويسارا مع تقلب افكارها حول ما يجب ان تفعله في الغد ، عيناها التقطتا سترة ملقاة على علاقة الملابس الخشبية ، تغضن جبينها ثم عاد واسترخى !

همست " بغض النظر عن اسبابك ونواياك .. شكرا لوجودك اليوم ، لقد عنى لي الكثير كل ما قلته في تلك اللحظات العصيبة ..."

مدت يدها لتطفئ الانارة الجانبية الخافتة ثم اغمضت عينيها وهي تقرأ الفاتحة لروح العم مصطفى والخالة سليمة ولوالدها ولكل من مات بالزلال ..

في الشارع الضيق حيث يقع المبنى القديم الذي يقطنه العم جلال يقف في زاوية مظلمة يستند للحائط بظهره ويدخن سيجارته وعيناه معلقتان بالطابق الرابع حيث قيل له انها شقة صاحب القهوة ..

اطلق نفسا دخانيا بينما يرى الانارة الخافتة من احدى النوافذ تنطفئ وللحظة شعر انها صفية تأوي لسريرها وتنام بعد ان اطمأنت على الجميع ..

ابتسم بنعومة ، تخيلاته حولها لاتعد ولاتحصى ، يحب ان يراها بعيني عقله ويرسم صورها كيف تتصرف وكيف تتكلم وكيف تنام وكيف وكيف وكيف ....

همس وهو ينظر للاعلى " اتمنى لك نوما هانئاً ، كل الامور ستكون بخير ، ساحرص ان تكون بخير ... فقط نامي بسلام غزالتي .. "

بعد ساعة كان يدخل البيت وهو يتوقع ان الجميع نيام ، ثم ابتسم بخبث وهو يفكر " عدى مهدي طبعا !"

تحرك نحو السلم ليرتقي بضع درجات عندما انفتح باب مكتب والده ، توقفت خطوات ماهر على الدرج بينما يلتفت نحو ابيه قائلا " مرحبا ابي .."

اقترب شاهر من ولده الاصغر وهو ينظر اليه بطريقة غريبة ليقول بنبرة غامضة " اين كنت تهرب مني طوال اليوم ؟!!"

الفصل السابع

اقترب شاهر من ولده الاصغر وهو ينظر اليه بطريقة غريبة ليقول بنبرة غامضة " اين كنت تهرب مني طوال اليوم ؟!!"

لم يهتز ماهر ولا للحظة بينما والده يحدق فيه باستجواب غير مباشر ..

قال ماهر بابتسامة بريئة " ولماذا اتهرب منك ابي ؟! فقط كنت مشغولا في العمل بسبب تأخري في الحضور للشركة صباحا "

ردد شاهر جملة ابنه وكأنه يقلبها على الجانبين " تأخرت في الحضور للشركة صباحاً !"

ضيّق شاهر عينيه قليلا ثم سأل بعدها بشكل مباشر " ما الذي جعلك تذهب للمستشفى الحكومي صباح اليوم يا ماهر ؟؟"

اسبل ماهر اهدابه ليقول لابيه ببساطة " انت تعرف ابي اني رأيت صفية هناك "

رفع شاهر حاجبيه قليلا وهو يقول ساخرا " حقا؟! هل رأيتها صدفة وانت تزور (الصديق)؟!"

منحه ماهر ملامح صلبة لاتعرف الارتباك الا فيما ندر ليرد بثقة " لا .. انا ذهبت لاراها هي واطمئن على حالها وحال عائلتها "

صمت شاهر لوهلة ثم قال دون مراوغة " لماذا ؟ "

سأل ماهر بهدوء شديد " لماذا ماذا ابي ؟!"

رد شاهر ببعض الحدة " لماذا ذهبت اليها ؟ " ثم احتدت نظراته كما احتدت لهجته وهو يسأل سؤالا آخر " ولماذا كذبت علي وقلت انك في زيارة صديق ؟!"

هزّ ماهر كتفيه وهو يسبل اهدابه مرة اخرى لاجئا للمراوغة بالرد وهو يقول " سمعت خبر وقوع المبنى الذي تقطنه فسارعت للاطمئنان عليها وعلى عائلتها فهل تراني فعلت امرا سيئا ؟!"

زمجر شاهر قائلا " لاتراوغ معي ماهر ! انت كذبت علي وانت تدّعي انك في زيارة صديق لانك تعرف ان ذهابك للبحث عنها امر غير عادي "

عاد ليهزّ كتفيه وهو يقول بهدوء غامض " اسف لاني لم اقل لك بوقتها لاننا كنا ننتظر الطبيب ليطمئننا عن اخيها الصغير ، لم اتعمد الكذب وانما اختصرت الامر لابلغك فيما بعد "

ضرب شاهر بقبضته على سور الدرج ليقول بغضب مكتوم " مؤكد انك تعرف اني لست غبيا ! كيف عرفت محل سكناها اصلا ولاتقل لي انك تعرفه لطبيعة عملك في الاشراف على شؤون الموظفين فلا يعقل انك تحفظ محل سكنى كل من يعمل لدينا !"

رد ماهر بنفس الهدوء " مجرد صدفة ابي علق عنوانها في ذهني وربما لانك توليها اهتماما خاصا فاحببت ان اهتم بها ايضا من اجلك !"

سحق شاهر اسنانه غيظا وغضبا ! وللحظة تصور ماهر وكأنه اخاه آسر من يقف امامه عندما تنتابه احدى حالاته بالمشاكسة والغموض المغيظ !

امسك شاهر تلابيب غضبه ثم سأله بحزم " اخبرني ماهر لماذا تهتم بفتاة كصفية ؟ انها ليست من نوعك حتى ! "

لم يقل ماهر شيء فاضاف شاهر بحيرة هذه المرة " ما الذي يجعلك تهتم بها دون عن باقي الفتيات والادهى انك تتناسى بشكل يثير الغيظ انها مخطوبة لشاب مكافح مثلها ؟! لم أربك لتسرق امرأة رجل آخر ! ليس ابناء الغازي من يفعل هذا "

استشعر شاهر ذبذبات توتر في رد ماهر الخافت رغم هدوء ملامحه " ابي انك تكبر الموضوع دون داع ، انا فعلت اليوم ما أملاه علي ضميري اولا " ثم اضاف بلمحة سخرية " والشاب المكافح الذي تتحدث عنه ليس موجودا ليقف بجانبها "

ازدادت حيرة شاهر ليسأله " ما الذي تريده منها يا ماهر ؟! المراوغة معي لن توصلك لشيء "

رد ماهر بتأنٍ " ثق فقط اني لن افعل ما يجعلك تشعر بالخزي ابي "

رفع شاهر ذقنه قليلا محدقا في وجه ابنه الغامض التعابير ليستدير بعدها موليا اياه ظهره ثم قال بحزم ولهجة تحذيرية واضحة

" صفية خط احمر يا فتى ! انها تحت حمايتي انا شخصيا ، اليوم وقفت بجانبها وهذا سيشفع لك عندي لكن ... تذكر ... انها ليست لك يا ابن الغازي !"

ثم تركه في جموده على السلم ليمض في طريقه عائدا لغرفة مكتبه التي كانت يوما مكتبا لوالده رحمه الله ...

مع اغلاق شاهر للباب خرج ماهر عن جموده ثم وضع ماهر كفه على حافة الدرج واعتصره !

همس بتوعد شرس " بل انها لي ... ستكون لي مهما طال الوقت .."

اطلق نفسا حارا ثم استدار ليكمل ارتقاء السلم وعقله يفكر كيف سيرتب الامور من اجل صفية وعائلتها دون ان يظهر بالصورة !

ترجلت صفية من سيارة الاجرة على عجل مغادرة اياها بمفردها لتترك امها وهي تحتضن طه بينما تجلس زينب وفاطمة بجانبها يقلبان بملابسهما الجديدة التي اشترتاها للتو ، غامت عينا صفية وهي تتطلع للمعة الفرح في عينيهما لكن تذمر السائق جعلها تعتذر لتخبره بوجهة عائلتها ثم رمقت الفتاتين واختصت زينب بالذات لتقول " ساعدا الخالة شكرية في اعمال البيت ولااريد اثارة المشاكل مع بناتها ،

كونا هادئتين ولاتلقيا بالا لاي تصرف لايعجبكما ، نحن مجرد ضيوف وعلينا احترام اصحاب المكان "

عاد السائق لتذمره وهو يقول "يا انسة انت تؤخريني هكذا ! ليس لدي اليوم بطوله لاجلكم فقط "

عبست زينب وفاطمة تلكزها بكوعها بينما قالت صفية للسائق النزق بابتسامة مصطنعة " اعتذر لتاخيرك .."

ثم اختفت ابتسامتها وهي تعود لاختيها لتقول بصرامة " لاتنسيا كلمة مما قلت " ثم التفتت لامها المستكينة لتقول بلطف " انت لاتقومي بأي عمل امي يكفيكِ الاعتناء بطه "

سارعت فاطمة لتطمئنها " اذهبي اختي ، لاتقلقي .. سنكون جميعا بخير وغدا سنعود انا وزينب للمدرسة "

ابتسمت لها صفية وابتعدت عن السيارة لتسمح للسائق بالانطلاق وهي تلوح لطه بالذات بينما يعتصر قلبها رؤيته يعتصر جفنيه ليركز على صورتها بصعوبة ثم ابتسم ليلوح بحماسة ..

تحركت بخطوات متعجلة وهي تحاول ترتيب شعرها والتأكد من هندامها الذي اشترته للتو .

عقلها كان يدور في دوامة ارقام لاتنتهي ، ملابس للبنتين واخرى لطه ولامها التي اكتفت بشراء جلبابين لااكثر .

مع هذا كان المال الذي منحه لها السيد شاهر يتناقص بسرعة عجيبة ! وما زال امامها شراء نظارة طه والا سيطول بقاؤه في البيت دون الذهاب للمدرسة .

عبست وهي تشعر بالضيق مرة اخرى لانها لم تجد محل البصريات مفتوحا ولم يكن لديها وقت لتبحث عن محل آخر خاصة انها تفضل هذا المحل بالذات لانها تعرف صاحبه وسيعمل لها تخفيضا ..

تلقائيا رفعت معصمها امام وجهها تستطلع الساعة وهي تعبر الشارع المزدحم ، زفرت باحباط ! فلم تعد تملك ساعة !

همست لنفسها " كل شيء سيكون بخير صفية ، فقط اهدأي واسترخي .."

دخلت مبنى الشركة والبعض ممن عرف بالمأساة يطمئن على حالها وهي ترد بالشكر والحمد لله بينما ساقاها تتحركان آليا نحو المصعد الكهربائي ..

جلست على كرسيها باحباط آخر ! السيد شاهر لديه اجتماعات مهمة ولن يتفرغ لها قبل ساعتين!

" اخيرا ظهرتِ !"

رفعت رأسها لتراه واقفا عند الباب...

هل يبدو اطول قامة ؟!!!

ابتسم لها بطريقة غريبة ! ابتسامة تعكس معناها عيناه فيتشكل مزيج اكثر غموضا واعمق تأثيرا ..

لاتعرف اي غباء جعلها تقول " نسيت ان احضر سترتك !"

ضحك بخفوت وهو يقترب من مكتبها المتواضع ثم قال بصوت أجش " فلتبقَ عندك انا لاامانع "

عقدت حاجبيها فبدت للحظة كطفلة مستنكرة غير راضية ! لم يقاوم ان يشاكسها اكثر وهو يضيف " الحقيقة انا احسد تلك السترة المحظوظة !"

ازداد عبوسها واوشكت ان تقف على قدميها لتقلل من هذا الشعور انه متفوق عليها لكنه رفع يده ليشير لها ان تجلس وهو يقول " كنت امازحك فقط ، لاتغضبي من مزاجي المتهور احيانا "

فتحت فمها فسبقها قائلا بملامح هادئة " اردت الاطمئنان عليك فقط واخبارك بنفسي ان الاستاذ حكمت في اجازة لبضعة ايام وقد ترك لك ملاحظات عن العمل الذي يريده منك .. والآن .. اراك لاحقا .."

ثم ببساطة استدار مغادرا وملامح العبوس التي حددت تعابير وجهها ترتحل مع ابتعاد خطواته !

لم تعرف كم مر من الوقت وهي منغمسة في العمل تقاوم التشتت ! عليها ان تفصل بين العمل والمآسي التي تهاجمها من كل ناحية .. عليها ان تنظم الامور مرة اخرى ، فقط لاداعي للهلع ..
لقد فعلتها مرارا سابقا وستفعلها مرة اخرى وستكون الامور بخير ...

اجفلها صوته المرتجف من عند الباب " حبيبتي .. الحمد لله انك بخير "

رفعت رأسها لتراه بوجه شاحب يقترب منها مادا ذراعيه نحوها في احتياج واضح للاطمئنان .
تحركت من كرسيها وهي شبه مشدوهة ، اقتربت دون قصد لشيء فشهقت متفاجئة وهو يأخذها باحضانه ليضمها لصدره بقوة وهو يهمس

" اعتذر منك جدا .. لم استطع الحضور بالامس ..."

قاومت احتضانه الذي لم تستوعبه فابعدت نفسها وهي تشعر بالخجل والاحراج لتقول بتعثر " متى وصلت نزار ؟ "

حاول الاقتراب مرة اخرى فكانت اكثر تركيزا لتوقفه بحركة من يدها جعلتها كحاجز بينهما ، بدت ملامحه الوسيمة مجروحة وهو يقول " صفية لاتتصرفي معي هكذا ، انت تشعرينني بالذنب بشكل فظيع ولكنك لاتعرفين الظروف "

اختنقت بغصة مريرة وصور ما حدث بالامس تعود حية من جديد ، هربت حتى لاتنهار فابتعدت خطوة للخلف وهي تتكتف قائلة بحشرجة " اخبرني انت ... ما الذي منعك من ان تكون معي في اصعب موقف مر علي لحد الان .."

هذه المرة ملامحه كانت تلومها وهو يقول " هل عندك شك اني كنت ساتركك بمفردك في ظروف صعبة كهذه ؟؟!"

زمّت شفتيها دون ان تعلق بشيء فقط تنتظر منه التفسير !

تنهد وهو يرفع يده يمررها في شعره ليقول بارهاق " انا لم انم منذ البارحة صفية ! نوبة سكر اصابت ابي فجأة منذ فجر الامس وركضنا به للمستشفى ولم استطع تركه وهو في حالة حرجة هكذا !"

نظر اليها يتوسل التفهم وهو يضيف " ما ان استقرت حالته اليوم حتى تركت كل شيء وركبت اول حافلة قادما اليك .."

طبطبت على شعورها بالاحتياج للدعم ونأت باحمالها بعيدا للحظات فقالت بعاطفة صادقة

" انا اسفة من اجله نزار ، هل هو بخير الان ؟ هل ستخرجونه من المستشفى "

رد وهو يقترب منها خطوة " لقد تركته فقط لآتي واطمئن عليكم بنفسي ولكني سأعود مرة اخرى ..."

رغما عنها تألمت وانعكس المها في صوتها وهي تقول باحساس مريع " ستعود ؟"

كلمة واحدة قالتها وتركته ؟ وجد نفسه يقول بسرعة " لاتقلقي عندي ترتيب .. سيرضيك .. سيرضينا جميعا "

لاتعلم لماذا اخذ الغضب ينفث لهيبه في احشائها فوجدت نفسها تقول بانفعال " سيرضينا جميعا؟!! نزار ... انت لم تكلف نفسك عناء السؤال عني ؟ عن عائلتي ؟! "

هتف مدافعا عن نفسه " هذا غير صحيح ؟ كدت اجن وانا في المستشفى مع والدي واكلمك مرارا وتكرارا دون ان اصل لنتيجة ، ثم تذكرت اني املك رقم القهوة فاتصلت ولكن لم يرد علي احد ؟ اعدت المحاولات مرارا وتكرارا حتى اوشكت على الجنون من القلق وكنت على وشك ركوب الحافلة من يأسي وترك والدي بحالته تلك لكن في محاولة اخيرة يائسة رد علي ذلك الصبي الذي يعمل في القهوة وهو طمأنني انكم بخير وهناك من يساعدكم لالتقاط ما يمكن التقاطه من حاجياتكم ، طلبت منه ان يناديك لاكلمك فقال انه لايستطيع الآن ان يجدك مع الهرج والمرج كما لايستطيع ترك القهوة بغياب صاحبها .."

تجمعت الدموع الغادرة في عينيها وهي تتذكر حالها بالامس وامها تقف بهلع واضح تنظر اليها بعجز بينما فاطمة وزينب يخوضان معها ومع باقي الخائضين كل يبحث عن قطعة قد تستر احتياجا من احتياجاته ...

تألم وهو يرى دموعها العصية ويقرأ ملامحها بمعانيها الواضحة فقال بصوت مخنوق " اتصلت بعدها اكثر من مرة ولم يرد علي احد حتى منتصف الليل عندما رد عليّ نفس الصبي ويبدو انه كان نائما ليقول انكم تبيتون ليلتكم عند العم جلال "

ساد صمت غير مريح بينهما !

صمت حزين غاضب ..

صوت رنين الهاتف اخترق هذا الصمت وبشكل آلي مدت صفية يدها والتقطت السماعة لتهمهم قائلة " نعم سيدة نجوان .. سأحضر حالا .."

اغلقت الهاتف وعادت لتتطلع اليه ، كانت قد استعادت تماسكها لكنها التقطت توتره ! توتر عكسته عضلة مرتعشة في خده بينما عيناه تحكيان الف حكاية وحكاية ...

قال من بين اسنانه " ستذهبين للسيد شاهر العظيم ليحل لك امورك كالعادة اليس كذلك يا صفية ؟!"

اطلقت تنهيدة طويلة والهم يثقل على صدرها ثم قالت وهي تتحرك متجاوزة اياه " السيد شاهر فعلا عظيم لانه يستقطع من وقته فقط ليحاول ان يقدم المساعدة والمؤازرة "

كان نزار يشد قبضتيه على جانبيه وهو يراها تتركه هكذا بينما يتمتم بغضب متوقد " دوما هو .. دوما يتواجد حولك بطريقة او بأخرى ، حتى لو كان والده احدى هذه الطرق !"

شتم ظافر بصوت منخفض لكن لم يمنع وصول الشتيمة لاذن حوراء عبر الهاتف مما جعلها تحنق عليه اكثر وهي تقول " لاافهم ماذا حصل لكل هذا الغضب والرفض ؟! لماذا تمنعني عن امور تعرف جيدا ومنذ سنوات اني اشارك بها "

رد من بين اسنانه " لااستطيع السماح لك بأن تذهبي لاماكن قد تتعرضين فيها للخطر "

ردت عليه بعجب " اي خطر ظافر ؟! هل ذاهبة للتطوع في الهلال الاحمر لاسافر بعيدا حيث حروب ونزاعات ؟! كل ما افعله اني سأشارك اعضاء الجميعة بتفقد المحتاجين في داخل البلد وبعد زلال الامس هناك الكثيرين يحتاجون للمساعدة فأين الخطر افهمني !"

قال ظافر وهو يحاول السيطرة على انفعالاته " الا تدركين ان ما لم يقع من تلك المباني القديمة قد تكون مهددة فعلا بالوقوع في اية لحظة بعد ان تزعزعت اساساتها ؟ فهل هناك خطر اكبر من ذلك ؟!! "

اخذت حوراء نفسا لتهدأ وقالت بصبر " ظافر ... الاعمار بيد الله و .."

قاطعها بعنف قائلا " لن تذهبي وانتهينا ! تبرعي بالمال كما تشائين لكن لن اسمح لك بالذهاب ..."

كان يعلم انه يضغط بقوة لكن ما تطلبه فوق طاقته ! انفاسها عذبته وكأنها تلومه دون كلمات ...

ابتلع ريقه ليهمس بعاطفة " لااستطيع يا قلب ظافر ... لااستطيع ..."

ردت عليها بهمس يخنقه البكاء " بل تستطيع .. لكنك تتخذ الطريق الاسهل الذي يريحك وانا ... لن اسامحك لهذا ..."

ثم فاجأته اكثر بأن اغلقت الخط في وجهه ليظل يحدق امامه بملامح مشدودة ...

دخلت صفية تقدم خطوة وترجع اخرى !
احساس فظيع ان تحتاج بشدة وتعجز عن تلبية هذا الاحتياج دون ان تخسر بعضا من كرامتك وعزة نفسك في احسن الاحوال !

ابتلعت ريقها تتلمس بعض العزيمة من دعم ابوي تراه في عينيه فيهون عليها وقفتها المخزية هذه !

وقف على قدميه ثم تقدم منها بهيئته المهيبة الجذابة مبتسما ابتسامة حانية تطفح تفهماً .

تحشرج صوتها رغما عن كل محاولات التماسك لتقول " مرحبا سيد شاهر "

قال برقة شديدة وهو يطبطب على كتفها بيده " كيف انت يا صغيرتي الشجاعة "

ان يكون هناك من يسأل عنك حقيقة لانه يهتم بك ولما يحصل لك دون غرض او دوافع مريبة، ان يسألك هذا السؤال البسيط (كيف انت) وعيناه تطفحان بالصدق ..

هذا النوع من التواصل يمنح شعورا غريبا بأنك حي وموجود ولك قيمة وانك .. لست وحدك !

لاتفهم لماذا بالضبط حتى وان كان الاخر يعجز عن مساعدتك لكن السؤال النابع من القلب يصل القلب المثقل بالهموم فيكون كنسمة باردة في صيف قاس شديد الحر ...

ابتسمت له بعينين لامعتين بدموع مقيدة ثم قالت " أنا بخير الحمد للّه ، شكرا سيد شاهر "

اتسعت ابتسامته وهو يتمتم " جيد ..."

ثم أشار لها لتجلس على الكرسي بينما تحرك هو عائدا لكرسيه ..

سألها بهدوء حالما استقر في جلسته " كيف اصبح اخوك طه ؟"

ردت صفية " انه بخير نحمد الله ان جرح راسه لم يكن له مضاعفات "

ابتسم شاهر ثم اطرق قليلا وهو يقول " هل في بالك مكان مؤقت لتقيموا فيه ؟"

اربكتها مباشرته في السؤال عن اكبر همومها حاليا ... سقف يظلل عليها هي وعائلتها لتواصل مشوارها الطويل في تحقيق طموحاتها بحياة افضل لهم جميعا ....

لكنها ابدا لاتستطيع قول هذا للسيد شاهر ، لاتستطيع ان تذل نفسها وتذل عائلتها ليظهروا امامه كمشردين بحاجة للصدقة !

كل ما تريده منه عمل مضاعف لتحصل على وارد اضافي ، هذا كل ما تحتاجه منه ، وحتى هذا الطلب تراه ثقيلا على لسانها !

اطرقت تفكر كيف تبدأ ؟! تحاول ان تستجمع شجاعتها ، لكن... طال الوقت والكلمات تأبى ان تتشكل كما ترضيها والشجاعة تخونها فتتبرأ منها بل وتسخر من محاولاتها الواهية للتشبث بها !

قال شاهر بصوت حان " هل الرد شديد الصعوبة هكذا يا صغيرة ؟! "

رفعت رأسها اليه تحاول تحريك شفتيها لكن دون جدوى ! ماذا تفعل ولاتجد ما تقوله ؟! كل ما حضرته من خطاب منظم عملي تلاشى !

مد شاهر يده يلامس ورقة امامه وقد غرق وجهه في تفكير عميق !

قال اخيرا " كنت اريد ان اعرض عليك زيادة في راتبك الشهري لتتمكني من ايجاد مكان مناسب في حيك لكن ... هناك من غير رأيي هذا الصباح ..."

تشوشت صفية وهي تحاول عبثا امساك طرف الخيط الذي ابتدأ به ، اجل فهذا ما تريده زيادة في مدخولها لتستطيع التأجير ولكن ليس دون مقابل ... اجل هذه هي الجملة المناسبة ... يجب ان تقول انها ستعمل بشكل اضافي ، لكنها صمتت وهي تجلو ذهنها لتركز في الجملة الاخيرة التي قالها ...

وجه شاهر نظراته اليها وقد لاحت على وجهه بعض الحيرة قبل ان يقول " هناك ... من ذكرني بمبنى قديم املكه في احدى المناطق التي تغيرت معالمها بمرور الزمن لتتسم بالبساطة البعيدة عن الترف الذي كان ، انه ملكي الشخصي ورثته عن والدتي رحمها اللّه وقد اوصتني ان لا اطالب برحيل قاطنيه ابدا "

صمت قليلا بينما عقل صفية يجتهد في ايجاد منفذ !

اضاف شاهر عندما طال صمت صفية " هناك شقتان فارغتان رحل اصحابها من انفسهم مهاجرين من البلد ،

لم اكن اعرف بالامر حتى استلمت هذه الورقة صباحا لتلفت نظري فأنا عادة اترك امر المبنى لوكيل لي هناك ، لكن يبدو ان هناك من يتابع دون ان ادري "

عينا شاهر شردتا وهو يتطلع للورقة امامه والتي وجدها صباحا على مكتبه مرسلة من ... ابنه ماهر !

عجيب امره هذا الفتى الى اين يريد الوصول بالضبط ؟!

" سيد شاهر ..."

صوت صفية المتهدج قطع عليه شروده في تصرفات ابنه .

رؤية ملامحها العاجزة لم تثنه عن القول بلهجة عملية " احدى الشقتين ستكون لكم ودون مقابل حتى تستقر بكم الامور "

تطلعت اليه بتوسل قائلة " ارجوك لاتفعل هذا!"

قال شاهر بهدوء " ما الذي لاتريدين مني فعله ؟"

ردت بتمزق " انا فعلا احتاج ... لسكن جديد لعائلتي ، لكني لااستطيع ... ان ... هذا كثير .. رجاء سيد شاهر ... كل ما احتاجه منك عمل اضافي لاحصل على مزيد من الأجر فأجد مكانا يلائم مدخولنا لنعيش فيه "

درس شاهر ملامحها المرهقة ثم قال " اسمعيني صفية ، الانسان له طاقة تحمل انت لاتستطيعين العمل ليل نهار والا ستنهارين "

ردت بحماسة " انا قوية البنية جدا انت لاتعرفني كم استطيع التغلب على التعب "

رد بصبر " انت لاتتغلبين عليه بل تتجاهلينه وفي يوم ما ستجدين جسدك ينهار "

تقبضت يداها لتهمس بألم " فقط ساعدني بالعمل سيدي ، انا ..."

قاطعها ليقول " هل فكرت ان عائلتك تحتاج لتواجدك ايضا ؟ اخوتك الصغار محتاجين ان تراعيهم لا ان تكوني فقط مصدرا للرزق "

اطرقت برأسها وهي تشد على قبضتيها اكثر واكثر حتى ابيضت مفاصلها ...

تنهد شاهر وهو ينظر اليها بتعاطف ، انه يفهم ما تعانيه لكنها يجب ان تقبل مساعدته ..

قال برقة " ابنتي اسمعي كلام من يفوقك معرفة بالحياة بعشرات السنين ، ليس كل مساعدة تعني مساسا بالكرامة ، احيانا نحتاج للعون لاننا بشر ونمر بأيام صعبة عصيبة نقف عاجزين عن مواجهتها بمفردنا "

صمت للحظة ثم اكمل " كما اني اقول لك الامر مؤقت حتى تستطيعي لملمة شتاتك والاستقرار مع عائلتك ،

لاتنسي ان ما تحتملينه انت لن يحتملوه هم ، اخوتك مجرد اطفال يحتاجون لان يشعروا انهم يعيشون حياة طبيعية كغيرهم ، يحتاجون للاهتمام والرعاية "

لم تستطع حتى رفع رأسها فتمزق قلبه لاجلها فاضاف بحنو " دعيني اساعدك بالقليل الذي اعرضه عليك ، انه ليس بشيء يا ابنتي ، لاتكبري الامور اكثر مما يجب "

همسة مخنوقة خرجت من بين شفتيها " فقط .. دعني .. افكر ..."

عندما عادت للمكتب وجدت نزار بانتظارها ، كانت في حالة رهيبة من الشعور بالضياع وفقدان السيطرة على الامور من حولها ، ملامح نزار الحانقة اشعرتها بمزيد من الضياع والانهاك!

نظر لساعته وهو يقول ساخرا رغم تشنجه " مضت نصف ساعة ! هل يحظى غيرك بهذا الوقت الثمين المستقطع من جدول اعمال الغازي ؟!"

تهدجت انفاسها وقد شعرت انها ستنفجر !

اغمضت عينيها تحاول ان تهدأ لكنه لم يمهلها كثيرا وهو يقول ببرود " هل اقدم عرضي ام انه اصبح باليا الان وبلا قيمة !"

فتحت عينيها لتقول بصبر لاتشعر به حقيقة " ماذا تريد ان تقول يا نزار "

رفع حاجبيه قليلا ثم قال " انا قررت الاستقالة من عملي هنا "

اتسعت عينا صفية وهي تردد " تستقيل ؟!"

هزّ راسه موافقا وملامحه منحوته بالبرود ليكمل " سأعود لبلدتي واعمل في الارض مع والدي لانه يحتاج الي "

لم تتصور للحظة ان هذا ما سيعرضه ! كانت مشدوهة وهي تتطلع لهيئته الثابتة !

همست وهي تمسد جبينها " انا لاافهم ماذا تريد ان تقول بالضبط ؟ كيف ستساعدني وانت تريد الاستقالة من عملك والعودة لزراعة الارض ؟! ما الذي تعرضه علي انا حقا لاافهم! "

رد نزار " انا اعرض عليك ان نتزوج وتأتي لتعيشي معي في بلدتي ، سأتدبر لك عملا في جمعية الاصلاح الزراعي "

صدمتها كانت تتضاعف وهي تنظر اليه بعدم تصديق ! قالت اخيرا " هل انت مدرك لما تقول ؟ كيف سنعيش جميعا واين ؟ انت ستشارك في رزق عائلتك وانا ساعمل بنصف راتبي هنا في احسن الاحوال فكيف سنتدبر الامر ؟! والدك كان يعارض عقد القران وانت الان تريدنا جميعا نعيش عالة عليه ؟! "

قال نزار بحاجبين مقطبين " ليس عالة على احد سنبدأ شيئا فشيئا اليس هذا ما اردته دائما ؟! والحياة هناك اقل كلفة "

حدّقا في بعض وهما يستشعران تلك الهوة التي تتسع بينهما ، هو يحاول جاهدا ان يجد طريقة لردمها وهي تراه لايدرك حجم تلك الهوة اصلا !

قال صفية بهدوء " انت تدرك في داخلك ان ما تقوله غير منطقي ولا واقعي ! نحن خمسة اشخاص وفي بيت عائلتك الصغير خمسة آخرين عداك انت ! تريدنا ان نعيش بهذه الطريقة على امل ان نجد بيتا لنا ؟! ثم هل تريد ان تقنعني اني ساحصل على عمل اصلا بهذه البساطة حالما اصل بلدتك ؟ وحتى لو حصلت فكم سيكون الراتب ؟ كيف سنأكل ونشرب ؟ كيف سأكسو اخوتي واجعلهم يكملون تعليمهم ، وهناك امر آخر تتغافل عنه ، هل فكرت بافراد عائلتي كيف سيشعرون وهم يعيشون كدخلاء في بيت غريب عنهم تماما ؟ وهل فكرت بعائلتك انت كيف ستتعامل معنا ونحن نزاحمهم في الاكل والشرب والمكان ؟ ومن يلومهم اذا رفضونا وقد كانوا ينتظرون منك الدعم او التخفيف عنهم على الاقل فعدت اليهم بعائلة كبيرة !"

رأته كيف يبتلع ريقه بوضوح ثم همس بتحشرج " قد أكون بالغت فعلا بتبسيط الامر "

ردت صفية بوجه منهك " انت لاتريد مواجهة الحقائق يا نزار وتفضل تجاهل ما لايعجبك !"

ابيضت شفتاه ثم قال بألم " انت تغيرتِ صفية ! منذ فترة وان اراك تتغيرين .."

هزّت رأسها باحباط ثم قالت " انا كما عرفتني ، اعافر هنا وهناك لاجلي ولاجل عائلتي التي تتعلق برقبتي "

هتف بها بغضب متراكم وكلمات تنضح سخرية مريرة " تعافرين وانت تتقربين لصاحب المكان وتوهمين نفسك انك مهمة لديه ؟! تذهبين اليه دوما وترتبطين معه بروابط تظنينها قوية لكنها واهية لان شاهر الغازي حالما تختفين من امام ناظريه ينسى حتى اسمك !"

اتسعت عينا صفية في ذهول لكن نزار لم يستطع التوقف وهو يكمل بحرقة " تريدين ان تصلي يوما لمكانة مرموقة في شركة الغازي ، افيقي صفية لن تحققي ما تفكرين به ابدا ، لن تكوني ابدا شيئا ذا قيمة عالية عندهم ، انهم لاينظرون الينا الا كفتات بشر ... فتات ولايستحقون الا الفتات ! "

كان ينهت بعد هذا الانفجار وقبل ان يستوعب ما يحصل رآها بعينين مصدومتين ترفع يدها اليمنى وتخلع خاتمه من بنصرها !

رآها من بعيد تخرج برفقة زميلاتها من بوابة الجامعة ، اخذ نفسا عميقا وكأنه يحاول استنشاق رائحتها ، استنشاق وجودها !

تتضاحك معهن وهي تلاعب خصل شعرها الذي ترفعه كذيل حصان من الخلف ، لكن ... عينيها لاتضحكان !

همس " انا احبك سلسبيل ... احبك ومجنون بك واحتار كيف اجد هذه القوة لاحرم نفسي منك ! "

نظراته لاحقتها وهي تصل للعلبة المعدنية الزرقاء التي تدعوها (مدللتي) ، رآها تلوح لصديقاتها مودعة ثم اخرجت المفتاح ، لكنها لم تفتح الباب !

اتسعت عيناه وهو يرى وقفتها تلك ! محنية الرأس المفتاح في يدها لكن لاشيء آخر حصل ! ابتلع ريقه وتحركت يده لمقبض بابه ليفتحه ، لكن وقبل ان يخرج من سيارته رآها ترفع سبابتها لتمسح قرب عينها ثم فتحت باب السيارة وركبتها و... انطلقت ...

لم يفهم ما حدث !! ثم فاجأه صوت وصول رسالة نصية على هاتفه جعلته يلهث بانفعال وهو يلتقطه ويفتحه ...

لم يخب أمل راوده وقد كانت الرسالة منها تقول فيها : (لن اخبر والدي انك لم تلتزم يا وسيم)

شعر بقلبه يدوي في صدره ، فكتب لها :

(انا عطشان للمسك ... لااعرف كيف يشعر الانسان احيانا بالعطش للمس ! فمتى تحين ساعة السقيا يا سلسبيل ؟!)

تململ ظافر وهو ينظر لعمته نجلاء عند باب البيت ليقول حالما القى التحية " اين حوراء ؟!"

نظرت نجلاء يمينا ويسارا ثم ادنت رأسها منه لتهمس له " حوراء مع امك في غرفة الجلوس الداخلية ، لقد اتفقتا عليك كما يبدو !"

عبس ظافر وهو يدخل ويقول" امي هنا ؟! هل حوراء من ..."

قاطعته نجلاء وهي تتمسك بذراعه قائلة " امك أتت من نفسها ، هي تعرف ان حوراء تأتينا يوميا وتنتظرك هنا حتى خروجك من الشركة "

ضغط ظافر على فكيه وقد شعر بالتوتر ! ثم تقدم مع عمته نحو غرفة الجلوس وكادا ان يصلا عندما سأل عمته " هل عاد عمي بلال من السفر ؟!"

ردت نجلاء بتنهيدة " لا .. تأجلت عودته للغد .. اشتقت اليه ..."

ابتسم ظافر رغماً عنه رغم توتره وكانت تلك الابتسامة ما زالت عالقة على شفتيه وعمته تدخل معه غرفة الجلوس .

" سعيدة انك مبتسم بنيّ ، كنت انتظرك منذ ساعة ..."

اقترب ظافر من امه لتتسع ابتسامته ثم انحنى وهو يحتضنها مقبلا اياها على خدها بينما عيناه تلتقطان وجود حوراء في وقفة متوترة غاضبة وهي تشيح بوجهها بعيدا عنه !

قال ظافر وعينان تستقران على حوراء " مرحبا امي ، على الاقل انت ترحبين بي بينما الآخرون لايتعطفون علي ولو بنظرة !"

ضحكت نجلاء بخفة بينما تبسمت نادية وهي تطالع حوراء لتقول ببعض المرح " ألن تسلمي على زوجك يا فتاة ؟!"

تفاجأ ظافر بتصلب حوراء وهي تحاول ان تتجاوب مع امه ولاتستطيع ! اكتفت بأن تتكتف بينما وجهها يشحب وكأنها تبذل مجهودا مضنيا !

لم يفكر وهو يتحرك نحوها ليأخذها بين ذراعيه رغم تصلبها وهو يهمس في اذنها بقلق " هل انت بخير ؟! وجهك شاحب و ..."

لايعلم ما حصل ! دفعته بقوة وهي تهتف بأسى " يكفي ظافر ! انا لست مريضة وليس بي اي علّة فتوقف عن معاملتي بهذه الطريقة !"

ساد الصمت وتقهرقرت تعابير القلق عن وجه ظافر ليحل محلها غضب بارد !

قال بصلابة " كل هذا لاني منعتك من الذهاب للاحياء التي تضررت من الزلزال ؟!"

تدخلت نادية لتقول بهدوء " قد يكون خوفك عليها من الذهاب هناك فيه شيء من المنطق .."

همست حوراء باعتراض وخيبة امل " خالتي نادية ! انت تقولين هذا ؟! هل يجب ان نترك الناس هناك بلا اي مساعدة لاننا نخاف على انفسنا فنفضل البقاء في برجننا العالي ؟!!"

عندها قالت نجلاء بلطف " اسمعي خالتك للنهاية حبيبتي ..."

هنا كان صوت ظافر حاسما " آسف امي وآسف عمتي ، لكن حوراء مسؤوليتي أنا ، وسأمنعها من أي شيء مهما كان صغيرا ما دام يهدد سلامتها ولو بخدش بسيط ! "

شهقت حوراء وهي تقول بعينين متسعتين من شدة الانفعال " انا انسانة ناضجة ظافر ولست مجرد شيء تحبه وتريد المحافظة عليه بوضعه في علبة مصفحة مقاومة لعوامل الزمن ! "

اشتدت ملامح الغضب على وجهه وهو يحذرها بنبرته قائلا " انتبهي لكلامك حوراء ، لاتستغلي حبي لك بهذه الطريقة "

عيناها تدمعان وكلماتها اخذت تتقطع وهي تقول " انه انت ... انت من ... يستغل حبي ..له ، انت من تريد ...ان تفرح ... بوجودي كلعبة لاتريد الاستغناء عنها !"

هتف بها " حوراء !"

اخذت دموعها تهطل وتهطل وهي تحدق فيه بينما صدرها يعلو ويهبط ...

قالت نجلاء ببعض القلق وهي تقترب منها " اهدأي بنيتي ، ما بك ؟! لماذا هذا البكاء الان ؟!"

بينما قالت نادية ببعض التوتر " يفترض يا ظافر ان تستمتع لكلام زوجتك اكثر من هذا وتعطيه اهميته !"

التفت ظافر بحدة نحو امه ليقول بانفعال " كيف تقولين لي هذا امي ! انت دونا عن بقية الناس تدركين لأي حد انا تعذبت بعشقها ، هل اُلام الآن لاني اريد حمايتها ؟!"

افلتت حوراء من ذراع امها التي حاوطت كتفها لتقترب من ظافر وهي تشهق بالبكاء ، رفعت يدها لتضرب بضعف على صدره وهي تقول " انت لاتحميني ... انت .. انت تحمي نفسك ! "

ثم غامت عيناها وارتخى جفناها لتسقط مغمى عليها تتلقفها ذراعاه !

الفصل الثامن

نظرت نادية بقلق شديد نحو ولدها وهو يحمل بين ذراعيه زوجته التي فقدت وعيها ، عيناها تعلقتا على وجه ظافر الشاحب الذي ضم حوراء لصدره وهو يجلس بها على اقرب اريكة .

بدى يجاهد للتماسك بينما نجلاء راحت تركض وهي تتمتم عن احضار عطر قوي لافاقة حوراء ، خطت نادية نحو ابنها الذي اختلط هلعه .. بالتياعه... بقوته ! بدى مسيطرا بشكل يثير الاعجاب مع كل ملامح الجزع التي تتسابق لترسم تعابيره ...

انحنت وهي تمد يدها لتطبطب على خديّ حوراء وهي تهمس لها " افيقي حوراء .. افيقي حبيبتي "

ابعد ظافر يدها عن وجه حوراء وهو يقول بصوت غريب " لاتؤذها امي ... ستفيق الآن ..."

ارتفع حاجبا نادية قليلا وقبل ان تقول شيئا عادت نجلاء تحمل العطر ثم جلست على الارض قرب ابنتها وفتحت القنينة الزجاجية واخذت تضع بعضا من محتواها قرب انف حوراء وهي تقول بقلق امومي " ابنتي .. حبيبتي .. افيقي ... بسم الله الرحمن الرحيم ... افيقي بنيتي "

راقبت نادية بقلب مشفق كيف كان ينظر ظافر لحوراء وكأن روحه معلقة بها !

وما ان اخذت حوراء تفتح عينيها ببطئ حتى ضمها ظافر بقوة لصدره مغمضا عينيه وهو يتنهد هامسا " الحمد للّه ... الحمد للّه ... يا قلبي وروحي انت .. حورائي ... مولاتي ..."

استدارت نادية تحاول التصرف بشكل عملي فتوجهت الى حقيبتها الملقاة على احدى الكراسي فالتقطتها لتفتحها ثم اخرجت هاتفها النقّال واخذت تضغط على الازرار وهي تغادر غرفة الجلوس ...

بعد نصف ساعة كان ظافر يتحرك امام باب غرفة حوراء ذهابا وايابا كأسد مزمجر غاضب !

اقتربت منه امه وهي تقول بهدوء " اهدأ بنيّ "

قبضة متشجنة رفعها امام فمه وهو يقول بملامح متصلبة " لماذا استدعيت الطبيبة امي ؟ حوراء بخير ... انها فقط انفعلت بعض الشيء وهي لاتتحمل هذا "

كتمت نادية حنقاً لم يحن الوقت للتنفيس عنه حاليا واكتفت بأن تقول بنفس الهدوء والصبر " لابأس بنيّ ، احببت الاطمئنان عليها لااكثر " ثم ابتسمت مشجعة وهي تقول ببعض المرح " فربما يكون سبب اغمائها اني ساصبح جدة !"

ارتد رأس ظافر بحدة للوراء وعيناه تتسعان في هلع واضح وهما تحدقان في وجه امه !

انفتح باب الغرفة مع صوت نجلاء المبتهج وهي تشكر الطبيبة الشابة ، وجهت الطبيبة ابتسامة لكل من ظافر ونادية وهي تعدل من نظارتها الطبية ثم قالت ببشاشة وهي تتطلع للوجوه القلقة " يفترض ان تفرحوا للأم الجديدة لا ان تقلقوا من وضع طبيعي لأي زوجة هكذا "

ارتخت ملامح ظافر وماتت التعابير وانعقد لسانه بينما وجهه يشحب اكثر واكثر !

ارتبكت الطبيبة وقد ساد الوجوم ! تدراكت نجلاء الموقف قائلة ببشاشة " لاتقلقي من وجه الاب المذهول لانه لايصدق انه سيصبح أبا عما قريب .."

بهمهمات غير مفهومة تحرك ظافر متجاوزا النساء الثلاث ليدخل غرفتها ...

وجدها مستقلية بضعف هناك على سريرها القديم ، ابتسامة ناعمة على شفتيها ونظراتها اللامعة تنحدر نحو بطنها المسطحة والتي كانت تلامسها بيدٍ مرتعشة ....

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يهمس باسمها " حوراء .."

رفعت عينيها الجميلتين نحوه لتقول بابتسامة مذهولة رقيقة " انا حامل ظافر ... حامل !"

ارتعش قلبه بين حنايا صدره ليقترب منها يحاول جاهدا السيطرة على رعبه ، قال وهو يجلس بجانبها دون ان يلمسها " كيف تشعرين الآن ؟!"

ردت بحبور وامل " اتمنى ان احظى بتوأم !"

جملتها كانت القشة !

نهض على قدميه ليستدير موليا اياها ظهره وهو يجاهد ليجد بعض السيطرة !

نادته بهمس ناعم متسائل " ظافر ...؟ "

لكنه لم يستطع حتى الالتفات اليها ! فقط قال بصوت متحشرج " لااستطيع تحمل هذا ؟!"

صوتها كان يختلط فيه العجب بالتوجس وهي تسأله " ماذا تقصد ؟؟"

بذل جهدا ليستدير نحوها ، عيناه بدتا مشتعلتين بالعجز ! قال بصوت هامس " لااستطيع تحمل كونك حامل ، لااعرف كيف ساتعامل مع هذا الوضع ؟!"

اتسعت عينا حوراء فبدت جميلة بشكل لايصدق مما جعل قلبه يئن !

لكن سرعان ما تغيرت تعابيرها لينعقد حاجباها ثم قالت بصوت قاطع " اخرج من غرفتي ظافر !"

ارتفع حاجباه وهو يقول بصدمة " اخرج ؟!"

ردت بحدة وهي تضرب بقبضتها على السرير " اجل ... اخرج .. حالا ، يكفي ما منحتني اياه من توتر لهذا اليوم "

سحق اسنانه بينما يراها تغمض عينيها في تجاهل واضح له لتقول بتصميم " انا سأبقى في بيت والدي لاسبوع او ربما اسبوعين حتى استعيد حيويتي قليلا !"

قال ظافر بتشنج " بل ستعودين معي للبيت والان حالا ، ساحملك بنفسي ان كنت مرهقة لتسيري على قدميك "

ردت بعناد وهي ما زالت تغمض عينيها " لا ... لن افعل ...."

هدر صوت ظافر " بل ستفعلين ..."

على اثر صوته المرتفع دخلت نادية تتبعها نجلاء فالتفت ظافر موجها كلامه لعمته وهو يقول بحزم " حوراء لن تبيت بعيدا عني عمتي ! "

تدخلت نادية قائلة بحزم اقوى " تعال معي ظافر لنتكلم على انفراد "

لكن صوت حوراء الحانق جعل الاجواء تتوتر اكثر وهي تقول " عندما تتعلم كيف تتعامل معي عندها ساعود للبيت "

زمجر ظافر وهو يعاود الالتفات نحو زوجته قائلا " أنت لن تبتعدي عني حوراء ..."

هنا تدخلت نجلاء لتقول ببساطة محببة " ومن قال ستبتعد ؟! انت ستبقى في بيت عمتك الى ان ترتاح حوراء قليلا "

كزّت حوراء على اسنانها وهي تتطلع لامها لتقول " لااحد سينام في غرفتي هذه غيري أنا !"

اوشك ظافر ان ينفجر عندما سارعت نجلاء للامساك بذراعه وهي تقول بابتسامة واسعة " البيت فيه غرف شاغرة وساتدبر لك اقربها لغرفتها لاتقلق "

كان ظافر يرمي حوراء بنظرات غاضبة وهي ترد له نظرات متحدية حانقة ..

ليأتي دور نادية وهي تسحب ابنها من ذراعه الآخر وتقول " حسنا يا نجلاء ، ارضيت ابن آسر وارتحتِ فاتركيه لي قليلا "

هزّت نجلاء كتفيها ببراءة مصطنعة وهي تقول " لم افعل الا تسهيل الامور على كل الاطراف ! ثم لماذا يجب ان يبيت في بيت طويل عريض بمفرده بعيدا عن زوجته وابنه ؟!! "

هزّت نادية راسها وكأنها تقول (لافائدة منك!) ثم حثّت ابنها الغاضب قائلة " دعك من عمتك التي تدللك الان ومن زوجتك التي جاءتها حالة نادرة من العناد والتمرد وتعال معي يا ابن نادية ! "

خرج مع امه وقلبه يتألم لان حوراء اشاحت بوجهها بعيدا عنه ثم همس باحباط وهي ينزل درجات السلم " لماذا تدعيني الآن بإبن نادية ؟!"

ردت وهي ترميه بنظرة جانبية " لانك أثبت لي اني اورثتك الكثير من حماقاتي ! "

تأفف ظافر قائلا " امي ! "

لم ترد على تذمره واكتفت بسحبه من ذراعه ليكملا الطريق معا نحو غرفة الجلوس .

اشفقت على وقفته الصامته وهو يحدق بشرود نحو ... لاشيء !

تنهدت وهي تفكر في نفسها " لولا اني عاهدت والدك أني لن اتحدث بالماضي لكنت اخبرتك بالكثير .."

فجأة بادر هو بالكلام قائلا بملامح تعبر عن كلماته " امي انا ... مرهق ..! "

اقتربت منه حتى وقفت امامه مباشرة تتطلع لملامحه الشاردة ثم مدت يدها تلامس جبينه بحنان ، ارتخى جفناه فابتسمت وهي تتذكره طفلا شقيّا لكنه اذا تضايق من شيء يأتيها هي راميا رأسه في حجرها دون ان يشتكي ! فقط يلتمس منها هذه اللمسات ...

دوما كان لايحب ان يتدخل احد في شؤونه ...

دوما كان يسعى بعناد ليذلل اي عقبة تعترضه بنفسه ..

قالت نادية ردا على تصريحه المختصر " انت مرهق بالخوف !"

اشاح بوجهه جانبا فابعدت يدها عنه واخذت تتطلع لوجهه المتصلب ...

قالت بثبات " يحيرني امرك ظافر ! وسأكون صريحة بافتراض مؤلم .. انت لم تجرب الفقد.. فلماذا تهابه بكل هذا الرعب ؟! لماذا يسيطر عليك هكذا ؟"

اختلجت انفاسه ثم قال بتحشرج " من قال اني لم اجرب الاحساس بالفقد ؟!"

عبست نادية بتساؤل حائر بينما ظافر ما زال يأبى النظر لامه وهو يكمل قائلا بصوت مبحوح متقطع من شدة التأثر " هل تعلمين كم مرة حلمت بها ... بين ذراعي .. مسجاة .. ووجهها الجميل مغطى بالدما..." ضاعت حروف الكلمة الاخيرة منها وهو يغمض عينيه وكأنه يعيش ذلك الألم مرة اخرى ...

التاع قلب نادية من اجله بينما يواصل البوح قائلا بهمس مخنوق " مرة حلمت اني وجدتها طا...فية على .. وجهها .... في .... حوض السباحة .." تهجدت انفاسه ثم همس " ومرة ..."

لم تحتمل نادية وهي تضع يدها على فمه لتقول بحنان " يكفي بني !"

فتح عينيه لينظر في عيني امه مباشرة ، كانت مشاعره تفيض وهو يقول بعذاب " الإحساس بفقدها يكون حقيقيا جدا ! حيّا ينبض بالألم المبرح الذي يقطع الروح وعندما تأتيني رحمة الاستيقاظ اكون في حالة ما بين حلم يهزني حتى النخاع وواقع ابحث عنه بجزع لينقذني مما انا فيه "

سألت نادية بعجب " لماذا كل هذا ؟؟! ما الذي يغذي احلامك هذه ؟ بل .. ما الذي يغذي مخاوفك ؟!! "

رفع كفه يمرره في شعره وهو يهمس " لااعلم ... ربما لانها ضعيفة ورقيقة للغاية ... بريئة الى درجة اعجز عن تخيلها تنتمي الينا كبشر ! وربما ... لان عشقي لها هو نقطة ضعفي وعلّة نقصني منذ ان ادركت وجودها .."

زمّت نادية شفتيها قبل ان تقول بحزم " وقد كانت لك فلماذا تعذب نفسك بالمخاوف وتخنقها بالحماية ؟!"

تنهد وهو يردد بعجز " ليس بيدي ... ليته كان بيدي ..."

غامت عينا نادية بالعاطفة نحو ولدها ثم قالت برقة " انت تشبهني وتشبه جدك ... والدي رحمه اللّه .. عاطفتنا قوية ونظن اننا نحسن التعامل معها لكننا في الواقع نخضع مذلولين ثم نبدأ نستعذب الألم الذي يحولنا لاشباه بشر ..."

تطلع ظافر لامه بينما اكملت هي بنفس النبرة "انت تخضع المنطق للعاطفة لتوازنها بطريقة ترضيك وتظنها تحت سيطرتك وبطريقة تعبر عن ذكائك ولكن بنيّ العاطفة خادعة للعقل احيانا تظهر الخنوع للذكاء لتتمكن منا شيئا فشيئا فتخرجنا عن حدود المنطق والمعقول فتتآكلنا عواطفنا المتطرفة من الداخل وتنخر ارواحنا وتضنيها وقد يفوت الاوان قبل ان نكتشف كم كانت موازنة فجّة !"

ارتجفت عضلة في خده فمدت نادية يدها لتمسد ذلك الخد بنعومة وهي تقول ببعض البشاشة " والدك من علمني كيف احيا بالحب ، كيف اعيشه واسعد به ، لاانتظر خسارة شيء مما املكه بل اخطط لمزيد من الارباح ... دوما انسى الخسائر وافكر بالارباح القادمة ..."

جاءهما صوت ساخر بمرح من عند الباب وهو يقول بثقة محببة " والدتك تنطق بالحكم خصوصا فيما يتعلق بي ! "

ابتسمت نادية وهي تستدير لتنظر لزوجها بينما ظافر يسبل اهدابه وهو يقول " مرحبا ابي ..."

اقترب آسر من ولده ليضمه لصدره وهو يقول " مبارك بنيّ ... التوأم المشاكس تبرعا بنقل الخبر الي "

ضحكت نادية قائلة " هل اتصلا بك ؟"

حرك آسر حاجبيه وهو يقول " نعم هما مخبراي السريان ! فيبدو ان لا احد يعير آسر الغازي الاهتمام المفترض ليخبره انه سيصبح جدا !"

تحرك ظافر مبتعدا عدة خطوات وهو سارح بافكاره فقال آسر بابتسامة جانبية صغيرة " لاتذهب لحوراء الآن فمحمود يصف غضبها في هذه اللحظات بالناري !"

تنهد ظافر باحباط ثم قال " ساخرج للحديقة قليلا .. وربما سأخرج بعدها لجلب بعض الحاجيات لي ولحوراء "

تحرك ليغادر واوشكت نادية ان تتبعه عندما سحبها آسر من خصرها وهو يقول بعاطفة " تعالي يا جدة المستقبل ... ماذا قلت عن بعض دروسي المهمة التي علمتك اياها ؟؟"

ضحكت وهي تميل لتقبل خده هامسة في اذنه " لاتتصابى ايها الجد ..."

فاجأها بأن مال لاذنها هي وهمس بحرارة " لاتعاودي ذكر الماضي .. الغيرة داء لاعلاج له "

ضحكت نادية بينما آسر يحدق فيها باستمتاع ..

تخصرت نجلاء وهي تأمر ولديها " اذهبا فورا للنوم .." تذمر الاثنان بصوت واحد " امي !!"

لكن نجلاء قالت بصوت قاطع " لااريد سماع كلمة واحدة ، الآن فورا ... لديكما امتحان مهم في الغد ..."

همس محمد بضيق " حسنا امي... " بينما اعترض محمود بنزق " لكننا نريد رؤية المباراة انها النهائية ومهمة جدا في الدور الاوربي !"

نهرته نجلاء وهي تشير بسبابتها ناحية السلم " محمود يكفي ! " تمتم محمود مستسلما وهو يمط شفتيه " حسنا امي ..."

غادر التوأم بعد وداع خالهما الذي كان يراقب بصمت ، ثم اخذ يتطلع لنجلاء بملامحها التي تدعي الجدية والحزم وهي تنظر لولديها حتى اختفيا على ناظريها ...

التفتت نجلاء لآسر في جلسته المسترخية على كرسي وثير لتسأله بابتسامة " لماذا تنظر الي هكذا ؟!"

امال رأسه جانبا وهو يبتسم ابتسامة صغيرة " لم اكن اسمح لاحد ان يجبرك على أي شيء في صغرك "

ضحكت نجلاء وهي تقترب منه وتقول غامزة " انت كنت ماكرا وتجعلني افعل ما تريد وكأني انا من اريده !"

ضحك بخفة بينما اضافت نجلاء بعاطفة وهي تقف قبالته " آسر ... انا سعيدة اننا سنشترك بالذرية .."

رفع رأسه اليها وقالت بحنان ما زال يختصها به " وانا اسعد منك صغيرتي .."

اتسعت ابتسامتها والتمع ذلك الاحتياج في عينيها عندما كانت مراهقة تلاحقه ، ابتسم وكأنه ينتظر ان تطلب ما تشاء فسألته بطفولية " هل استطيع ؟ ام اني كبرت على هذا حقا ؟! " مد ذراعيه نحوها كما يفعل لسلسبيل وهو يقول بخفة " دوما تستطيعين صغيرتي ..."

جلست على حجره لتغرق وجهها في رقبته وهو يضمها بحنان يلاعب شعرها وهي تتنهد براحة قائلة " امممم ... رائحتك مميزة هل تعلم هذا آسر ؟ عندما كنت طفلة كنت اهرع اليك انت فقط اذا احسست بالخوف او عدم اطمئنان .. او حتى بحاجة لان اشعر اني موجودة ..."

ابتسم مغيظا اياها بالقول " يبدو ان شوقك لبلال اضناك !"

ضربته بقبضة على صدره وهو يضحك من قلبه ثم سألته بلهجة تآمرية " الا ترى ان نادية اطالت مكوثها عند حوراء ؟! هل تراهما تتفقان على آل الغازي ؟!"

ضحك آسر مرة اخرى وهو يقول " لقد تجسست عليهما ، انها تعطيها نصائح تفيد الحامل في اشهرها الاولى ، لاتقلقي ... نادية تعرف ان حوراء تحتاج لبعض الاسترخاء الليلة ..."

الحافلة الاخيرة .. ها قد اوشكت الوصول ..

تقف وسط هذا الزحام والتدافع تلاحقها صورة وجه نزار بعد ان خلعت خاتم الخطبة !

بدى مذهولا بشكل غريب ! ليس ذهول المفاجأة وكأنه لم يتوقعها ولكنه ذهول من يواجه مصيرا كان يخشاه !!

دفعة من احدهم جعلتها ترتطم بحافة الكرسي المجاور لتتوجع في خاصرتها لكنها لم تبالي بالوجع الجسدي ، فلديها من اوجاع العقل والروح ما لايعد ولايحصى ... وها هو نزار يرمي بوجهها وجع جديد ...

انها تدرك ان ما فعلته هو الانسب لها وله ، الا انها تشعر بالذنب لانها سببت له هذا الألم الذي رأته في عينيه رغم انه تسبب لها بألم مضاعف وهو يتكلم عنها وعن علاقتها بالسيد شاهر بتلك الطريقة المهينة ! جعلها تشعر انها لاشيء ! لا ... لم يجعلها تشعر ... بل ارادها ان تشعر ! وهناك فرق كبير ....

وهذا ما آلمها اكثر من الكلمات نفسها ..

شعرت انه يكره ما تحاول تحقيقه ، يكره احلامها وطموحها ، يكره تقاربها مع شاهر الغازي رغم انها قد تتفهمه في هذه النقطة فقط لكنها لن تستطيع مسامحته على الباقي ..

اغمضت عينيها وهي تتذكر كيف تحولت نظرة الصدمة لنظرة غضب سافر ليكمل ما قاله آنفا بما هو اقسى واكثر غباء!

لقد اخذ يهذر فجأة عن ماهر الغازي وهو يعدد صفاته بسخرية مريرة ثم نالتها سخريته وهو يسألها " أليس هو حلم كل الفتيات ؟؟ أم انك مختلفة عن بنات جنسك ؟!"

تدافعت وهي تتحرك لتخرج نفسها من الحافلة اخيرا وذكرى هذه الجملة من نزار شعرتها تنخر كرامتها وكأنه يتهمها ضمنياً وبنفس الوقت تحرك جزء عاطفيٌ فيها اصبح يتوهج داخلها كشمعة صغيرة بشعلة باهتة تعلن عن نفسها باستحياء !

هزّت راسها برفض وخطواتها تقودها بين طرقات الحي بشكل عفوي ، ثم اخذت تحدث نفسها بصوت مسموع وهي عاقدة الجبين " لاتحملي نفسك فوق طاقتك يا صفية ، ما قاله نزار كان يستحق تلك الصفعة منك ، اجل .. لقد تغلبت كرامتك التي اهانها في النهاية على اي احساس آخر .. حتى جملته (لاتستحقيه !) بعد الصفعة وهو يأخذ خاتم الزواج من على سطح المكتب كانت تأكيدا انه هو من لايستحقها ، لقد انعدمت ثقته بنفسه قبل ان تنعدم ثقته بي انا .."

تنبهت صفية لعجوز مرهقة تحمل كيسا واحدا ضم خضارا متنوعة تنظر اليها وكأنها مجنونة تكلم نفسها !

ضحكت صفية دون ارادة منها فعبست العجوز لتتلكأ في خطاها وكأنها تباعد المسافات بينها وبين صفية خشية منها ..

تنهدت وترف الضحك يغادرها سريعا وهي تواجه همومها الحقيقية بينما عيناها تتطلعان للمبنى القديم الذي يسكنه العم جلال مع عائلته لتأتي هي وعائلتها تشاركهم المكان !

دخلت المبنى واخذت ترتقي درجات السلم وبمنتصف الطريق وجدت احد اولاد العم جلال يهبط حاملا معه حافظات معدنية مدورة مثبتة فوق بعضها مما تستخدمه النسوة في الحي عادة ليضعن وجبات طعام لازواجهن ويرسلْنَه لهم في اماكن العمل ، عبست قليلا وهي تلقي التحية على الشاب المرتبك لتبادره السؤال عمّا يحمل ، فرد ببعض المراوغة الخجولة انه طعام اعدته والدته له ولاخيه ولبعض الصحبة !

غادرها الشاب مدّعيا العجلة بينما صفية تشعر بالضيق لانها جعلت اصحاب البيت الذين يؤونهم يربكون حياتهم معهم بهذه الطريقة ! فها هما الشابان يعيشان متنقلين من بيت لآخر ليتركا لعائلة صفية غرفتهما ...

همست وهي تعاود ارتقاء السلم " ساعدني يا اللّه ، ماذا سأفعل ؟!"

ما أن طرقت الباب حتى سمعت الاصوات المختلطة من خلفه والتدافع كان اشد وضوحا على الباب من الداخل !

علا صوت زينب والباب يفتح لصفية اخيرا " انا من يفتح الباب لاختي ، قلت لك اني رأيتها من الشباك .."

دخلت صفية تواجه هذه الشراسة من زينب مع احدى بنات العم جلال لترد الابنة الثانية بحنق " لاتصرخي في وجه اختي هكذا ! انه بيتنا ونحن من نفتح الباب لمن يطرقه لا انت او اختك السخيفة الشقراء !"

زمجرت زينب واوشكت ان تحول هجومها الكلامي لتشابك بالايدي عندما منعتها صفية وهي تقف بين الفتيات وتقول بحزم " توقفي زينب واذهبي للغرفة حالا .."

تقبضت يدا زينب ورفعت لصفية عينين تحملان من الغضب قدر ما تحملان من القهر !

ثم قالت بصوت مخنوق " اكره بقاءنا هنا ، اكره هذه الحياة التي لاتنصفنا ، اكره انني لااستطيع فعل شيء مفيد سوى تنظيف شقة اناس غرباء وكأننا خدم لهم وبالمجان ، اكره انني اضطر للصمت على سخافة فتيات حمقاوات يستمتعن باذلالنا طوال الوقت !"

ابتلعت صفية ريقها بصعوبة تقاوم تلك الغصة الخانقة بينما عيناها تلتقطان اثر الدموع الحبيسة في عيني اختها .

حتى ابنتا العم جلال انكمشتا على نفسيهما وهما تتطلعان لوجه زينب بارتباك واضح وبعض الاحساس بالذنب ..

قالت صفية بحشرجة " سنكون بخير حبيبتي ، فقط اصبري بعض الوقت "

جاء صوت الخالة شكرية وهي تخرج من المطبخ مرتبكة " ماذا هناك يا فتيات هل تشاجرتن مرة اخرى ؟!"

ردت زينب بألم غاضب " لم اعد استطيع الاحتمال يا صفية ! امي وفاطمة وطه يحبسون انفسهم في الغرفة اغلب الوقت حتى لايسببوا الازعاج وانت تعرفين انهم اصلا اضعف من ان يسببوا اي ازعاج لكنهم مكسورون وهم في بيت الاغراب !"

ضربت الخالة شكرية على صدرها وهي تقول بعتب " لا يا زينب كيف تقولي هذا الكلام يا ابنتي ؟! انتم في بيتكم وساجعل الفتيات يعتذرن منك الآن .."

تدخلت صفية لتقول بابتسامة باهته " لا يا خالة ، لاداعي لكل هذا ، انهن مجرد فتيات صغيرات وقد زاحمناهن في المكان فعلا بل زاحمناكم جميعا "

تقدمت شكرية من ابنتيها لتدفعهما من كتفيهما وتقول بحدة " اعتذرا فورا والا انتما تعرفان والدكما ماذا سيفعل اذا علم "

ركضت زينب عائدة للغرفة قبل ان تسمع الاعتذار الواهن بينما لحقت بها صفية وهي تطمئن الخالة شكرية ان الامور ستكون بخير !

نامت ليلتها وهي تفكر ... انها تطمئن الجميع بمن فيهم (نفسها) ان الامور ستكون بخير ! ولكنها في الحقيقة تتجاهل الرعب من المستقبل ، تتجاهل مواجهة حقيقة انهم مشردين بمعنى الكلمة ! لاسكن ولا اغراض سكن حتى ! وما حاولت جمعه من تحت الانقاض كان لاشيء ... لاشيء على الاطلاق ...

تقلبت في السرير بمعدة خاوية ، لقد اكلت النذر اليسير حتى تترك الطعام للباقيين ليتشاركوه ، العم جلال تحرج عندما سألته عن مكان لتؤجره من اجل عائلتها واخبرها انه سيحاول ايجاد مكان مناسب ولكن الاسعار ارتفعت بسبب الازمة التي حصلت بعد الزلزال .

التقطن عيناها تلك السترة المعلقة ، وكأنه يتحداها بفرض وجوده رغما عنها !

" ماهر الغازي ... ماذا ستفعل عندما تعرف ؟!

(اخلعي خاتمه وستعرفين ما اريد)

جملة كررتها اكثر من مرة ! وكم يخيفني انك لن تدرك كم انا مرهقة لاتحمل الاعيبك معي الآن !"

اغمضت عينيها وقد هدها الارهاق واستنزفها التفكير لتغرق في النوم الخالي من الاحلام !

حتى الاحلام اصبحت ترفاً !

تقلبت حوراء في نومها ، جسدها يبحث عن ضالته ولايجدها في نعومة الشراشف ، كانت تتأوه في ضيق والنوم بسلطانه لم يثنها عن مواصلة البحث....

لكنها في النهاية وجدته ! تنهدت براحة وهي تتلمس مكانها بشكل عفوي في رحابة تلك الصلابة الدافئة...

همس تعشقه يداعب اذنها " اجل .. هكذا ... نعم..... "

وبطريقة ما شعرت بالكمال وهي محاطة بتلك الصلابة من كل جانب بينما الهمس الحار يخبرها " هذا هو المكان الذي يجب ان تكوني فيه ..." ابتسمت وهي تتنهد بينما تنهيدة عميق اتتها من مكان ما والهمس تحول لمناجاة " اخيرا سأنام ... لاتحرميني النوم مرة اخرى مولاتي .."

صباح اليوم التالي

تأوه وهو يهمس في سره بينما يتطلع بعينين شغوفتين من شباك غرفة مكتبه لمشيتها الحيوية دوما " اشتقت اليك منذ الامس يا غزالة تغزو وديان قلبي فلم تترك واديا دون ان تسلكه وتترك اثرها فيه "

ابتسم وهو يستدير ليلتقط ظرفا صغيرا كان موضوعا على مكتبه منذ الامس لكن اضطراره للسفر البارحة خارج المدينة هو ما أخر ايصال محتوى الظرف لصاحبته ...

عيناه اهملتا النظر نحو بعض الاوراق الاخرى التي كانت على مكتبه ايضا وتخص العمل ، لم يستطع ان يفكر بشيء حتى يذهب ليراها ويطمئن على احوالها ، كم يتمنى ان توافق على اقتراح ابيه بالسكن في تلك الشقة ،

بقاؤها في شقة صاحب القهوة يضايقه بل يكاد يخنقه لكنه يعلم ان صفية تحتاج للوقت لتزن الامور بشكل عقلاني ودون تهور ..

تنهد وهو يتحرك ليغادر مكتبه هامساً " متى سيأتي الوقت لاعلمك فيه معنى الغرق في التهور والاستمتاع بالحياة التي تستحقينها .."

كان مجهدا بدنيا لانه لم يصل الا بوقت متأخر من بعد منتصف الليل لكنه وجد نفسه يصحو منذ الفجر ليأخذ حماما منعشا ويغادر قبل الجميع .

ربما هو يتهرب (حاليا) من مواجهة من نوع آخر مع والده ....

استخدم المصعد الكهربائي وتوجه للطابق المناسب ، مر ببعض الموظفين الذين القوا اليه تحية الصباح فردها وعيناه تسابقا ساقيه للوصول حتى مكتب الاستاذ حكمت .

لغاية خبيثة جعل خطواته غير مسموعة فاقترب من باب المكتب وعيناه تبحثان عنها ، ابتسامة صغيرة شغوفة ونظرات تفيض عاطفة تملؤه احساسا فريدا بالتميز ، انه تميز نابع منها هي ... هي من امتلكت قلبه ولاترحمه !

أمال راسه جانبا و عيناه تلاحقان حركات يدها بينما ملامح وجهها تعبر عن تركيزها بالعمل ،

راقبها بانفاس تضطرب كيف وضعت القلم بشكل عرضي بين شفتيها ثم اخذت تجمع شعرها بشكل جانبي على احد كتفيها وهي تعبس بتركيز مضاعف ، ولتزيد اضطراب قلبه عندما رفعت يدها واخذت تدلك رقبتها الناعمة فافلتت منه همسة متأوه " فقط بعض الرحمة !"

اجفلت ليسقط القلم من شفتيها ويتدحرج على سطح مكتبها ويتباطئ حتى استقر عند نهايته بينما ارتبكت صفية وهي تعيد ترتيب شعرها ليغطي رقبتها قائلة بحنق " الا تعرف ان اجفال احدهم بهذه الطريقة قد يسبب له نوبة قلبية !"

ضحك بخفوت يحاول اخفاء تأثره المتفاقم بها كما دأب ان يفعل طوال الفترة الماضية ، ثم تقدم وهو يمد يده ليلقي الظرف امامها وهو يقول بلهجة مغيظة " يفترض ان تشكريني لاني افكر بك على الدوام وبما يمكن ان اساعدك به "

عبست وهي تقول " شكرا لك لكني لااذكر اني طلبت منك شيئا "

فرد بدعابة وهو يرمقها بنظرات معبرة " لاتحتاجين لطلب شيء مني يا غزالة ، انا افهمك دون كلمات "

اغمضت عينيها للحظة وهي تتنهد وترفع اناملها لتمسد جبينها قائلة بتعب ظاهر " ارجوك سيد ماهر توقف عمّا تفعله ! انا فعلا ليس لدي قوة لتحمل كل هذا الضغط "

رد بصوت مبحوح " انا امازحك فقط يا صفية فلا تثقلي كاهلك بمقاومة كل ما اقول وافعل ، يكفيكِ ما تحملين من هموم "

رفعت عينيها اليه وقد قرأ فيهما كم لاينتهي من الاسئلة فاسبل اهدابه وهو يدفع بالظرف الصغير نحوها قائلا " منذ البارحة اوصيت من يقدم طلبا نيابة عنك لاستخراج شريحة بديلة لخط هاتفك "

رفع نظراته لتلاقي نظراتها وهو يكمل بهمس ناعم " اعلم انك تفضلين استخدام رقمك القديم لذلك سمحت لنفسي بتقديم هذه المساعدة البسيطة بتسهيل الامر عليك "

تأثر لتأثرها ... كانت تنظر اليه بطريقة لايعرف كيف يصفها لكنه يفهمها ... وهذا جعله سعيدا وكأنه انجز خطوة مهمة نحوها ...

ابتسم وهو يسبل اهدابه يمرر اصبعين على حافة مكتبها ليقول بعدها وهو يستدير مغادرا " اتركك لعملك ..."

رفعت اناملها لرأسها وهي تغمض عينيها تحاول لملمة شتات غريب خبيث يتسلل اليها ...

ثم فجأة شهقت تفتح عينيها ويد قوية تمسك معصمها وتسحب يدها تبعها صوته ببحته المؤثرة يسأل دون هوادة " اين الخاتم ؟!"

بعينين مصدومتين حدقت في عينيه القريبتين وهو يميل نحوها عبر طاولة المكتب ، عيناه مميزتان ، لونهما محير ... دوما كانت تشعر بالحيرة لتعرف ما لونهما حقيقة ! والان وعلى هذا القرب ايضا لم تستطع تحديده كما لاتستطيع تحديد ما تراه فيهما !

عبست وهي تحمر بادراك متأخر لامساكه المستبد بيدها وسؤاله الاكثر استبدادا !

اخذت تلوي يدها لتخلصها من أسره وهي تقول بصوت منخفض " دع يدي ! ماذا تفعل ؟ اتركني .. "

لكنه كان مصرا بطريقة اخافتها ! لم يمنحها ما تريد وملامحه بدت قاسية في اصرارها !

قال بصوت خطير " اجيبي صفية ... اجيبي وسأتركك ..."

عندها شعرت بتلك الشجاعة المتأصلة فيها تثور فسكنت حركات يدها المقاومة ثم رفعت ذقنها لتقول بعنفوان ثابت " لقد فسخت خطبتي من نزار "

اشتدت لمعة عينيه ولم ينطق بكلمة بينما اضافت بكبرياء لم تدرك لأي درجة سحره " اترك يدي فورا والا اثرت لك فضيحة انت بغنى عنها "

لدهشتها ضحك ! ضحك دون ان يكلف نفسه عناء اخفاء بهجة خطيرة تشع منه ...

فجأة صمت ليحدق في عينيها ويقول بانفاس حارة " الآن ... انت مستعدة !"

عبست وهي تقول بعينين عاصفتين " اترك يدي... لآخر مرة ساطلبها ..."

حرك ابهامه ليلامس ظاهر بنصرها حيث كان خاتم الخطبة وهي تقاوم اظهار اي تأثر بينما همس ماهر بابتسامة ساحرة " انت لي غزالتي ... ولاتعرفين كم ابذل جهدا خارقا الآن لابتعد ... لكني ... سابتعد ... انت مرهقة وتحتاجين بضعة ايام لتستعيدي توازنك بعد كل ما جرى ..."

لراحة نفسها عتقها من هجومه العاطفي ، وترك يدها تنساب منه بينما تشعر بخفقات مسروقة من قلبها لاتفهم معانيها ، لاتفهم ماذا تريد منها !

التفت ماهر ليتحرك خطوة ثم وقف للحظتين ليتحرك مرة اخرى وهو يتمتم " تذكري هذا صفية ... تذكري كم ابذل من مجهود لامنع نفسي فقط لاجلك .."

رفعت يدها تضعها على فمها بانشداه وهي تهمس " ماذا بعد ؟! الى اين تسيرين يا صفية ؟!"

ارتفع رنين الهاتف مخرجا اياها من تلك الدوامات فرفعت السماعة وصوت مساعدة السيد شاهر تقول بلهجة عملية " انسة صفية ، السيد شاهر اوصاني ان اعطيك ظرفا خاصا فهلا حضرت لاستلامه ؟"

اخذت سلسبيل تقهقه عاليا وحوراء تضربها بالوسادات ! لكن سلسبيل لم تتوقف عن الضحك وهي تقول مغيظة حوراء " لاافهم كيف لاتريدينه ان ينام جوارك لتسعي انت لاحضانه ؟! "

احمرت حوراء وهي تقول بحنق " انه هو من تسلل ليلا لغرفتي مستغلا اغفاءتي العميقة ، يا الهي ...

ما زلت لااصدق انه اخبرك بهذا ! انتما بغيضان جدا ولاتعرفان للحياء معنى !"

ردت وهي تحرك حاجبيها " لقد كان سعيدا وظافر عندما يكون سعيد يصبح خارج نطاق السيطرة ! "

تكتفت حوراء وهي تستند لوسادتها خلف ظهرها ثم قالت بتمتمة متذمرة " انه خارج نطاق السيطرة في امور كثيرة .."

فقالت سلسبيل برقة " انا احب عاطفيته الصريحة هذه وانت ايضا تحبينها فلاتنكري ! حتى لو ادعيت عليه الغضب هذا الصباح وانت تطردينه من الغرفة ! "

فقالت حوراء بغيظ شديد " اجل طردته بينما هو يضحك علي وكأنني مجرد طفلة ! لكن ان تصور ان الامر انتهى فهو مخطئ فما فعله بالامس فاق كل الحدود ..."

ردت سلسبيل بهدوء " اعلم انه اصبح يضيق عليك الخناق وقد اخبرتك بهذا من قبل بنفسي لكن حوراء انت ايضا يجب ان تساعديه ليخفف عنك حصار الحماية هذا "

رمقت حوراء سلسبيل بنظرة جانبية وهي تسألها " حقا ؟ هذا رأيك ؟؟ اذن هلا اخبرتني لماذا اتصل هاتفيا بك منذ الصباح الباكر ؟!"

ردت سلسبيل وهي تسبل اهدابها بغموض " مجرد حديث اخ واخت ..."

لكن حوراء قالت بغيظ " بل هو من جعلك تحضرين الي منذ الصباح الباكر لتراقبي تحركاتي بعد ان علم اني سآخذ اجازة بضعة ايام من عملي "

اعطتها سلسبيل ملامح دهشة بريئة وهي تقول " لماذا تقولين هذا ؟! انا لم استطع رؤيتك بالامس لاني كنت في عيد ميلاد صديقتي واليوم ضحيت بمحاضراتي لاقضي النهار معك "

فقاطعتها حوراء لتقول بهدوء " ولتكوني عينه التي تنقل له الاخبار ايضا !"

هزّت سلسبيل رأسها وهي تقول بجدية " حتى لو فعل وطلب مني ذلك هذا لايهم ! المهم انت حوراء ، اثبتي له انك لست كائن خيالي ضعيف بل انسانة قوية لاتقلل رقتك الفطرية من هذه القوة ..."

ردت حوراء وهي تتنهد " هذا كلام امي وخالتي نادية ايضا ، يبدو اني اثرت بشكل سيء على ظافر لاجعله بهذه الحالة ! كنت اتصوره سيهدأ تدريجيا ويكتشف اني لست ضعيفة كما يتصور لكن الامر اصبح خارج الحدود الطبيعية "

ربتت سلسبيل على يد حوراء لتقول بابتسامة " ستكونان بخير ، لاتقلقي ... ظافر يجيد التحكم باكثر انفعالاته جموحا لكنه يحتاج فقط لمن ينبهه عند الضرورة ..."

قالت حوراء ببعض الشرود " آمل ذلك سلسبيل ... آمل ذلك ..."

وقفت سلسبيل على قدميها مغادرة سرير حوراء وهي تقول بابتسامة شقيّة " بما ان عمتي ملهية عنك باعداد اصناف الطعام لعمي بلال وهي تبدو كطفلة تنتظر هلول العيد فأنا من سيعتني بك ! وسأعد لك افطارا ملوكيا يليق بولي العهد الاول الذي يحمل أسم آسري ..."

ضحكت حوراء من قلبها ووجهها يطفح بشرا لتغادرها سلسبيل مبتسمة ...

خرجت سلسبيل من غرفة حوراء متجهة نحو السلم عندما سمعت خطوات ترتقي درجاته ..

تحركت بطفولية تستقبل عمها بلال عندما ... رأته ...

لكن .. لم يكن العم بلال ...

كان هو ... مهجة الروح !

توقفت خطوات مهدي وسط السلم بينما عيناه تتطلعان ل(مضنيته) التي تقف اعلاه ...

لحظات طويلة مرت هو يعتصر سور السلم الذي يستند اليه وهي تقف بعينين متسعتين ملتمعتين بشقاوة طبيعية ...

شفتاها ترتعشان وهما تهمسان باسمه " مهدي "

اكثر مما يستطيع احتماله ! بانفاس هادرة قطع كل درجتين معا بينما تراجعت سلسبيل بعفوية للخلف لكنها لحظة وكانت بين ذراعيه غامرا وجهها بين كفيه ، هامسا امام شفتيها بارتعاش الشوق

" ساعة السقيا !"

الفصل التاسع

دفعها دون ان يشعر في الممر بعيدا عن الدرج واكتسحه الاحتياج ليروي ظمأه ....

دموعها سالت رغما عنها وهو يقبلها باشتياق معذب هكذا ، كان يعتصرها وهي تتعلق برقبته بشوق مماثل ...

اصوات بعيدة قادمة من الاسفل جعلته يتنبه اولا ليبعد رأسه عنها ويشيحه جانبا بينما سقط وجهها على صدره ..

انفاسهما تشابكت في عنفها بينما يهمس لها بتقطع " يبدو .. ان ..العم بلا..ل ....وصل ..."

لم تستطع الا ان تحرك رأسها ببلاهة !

فأمال رأسه ليهمس قرب اذنها باحتراق " لم استطع السيطرة على نفسي .. انا .. لم اعد انام يا سلسبيل ! لم اعد احتمل هذا البعاد .. هذا الجفاء ... "

اخذت يده تلامس وجنتيها وتمسح الدموع وهو يهمس بضحكة متحشرجة " قولي انك تبكين شوقا لي ! قولي انك تحبينني لهذه الدرجة "

همست بارتعاش وهي تحاول الابتعاد عنه " سأخبر والدي ...هذه المرة يا وسيم "

ضحك اكثر فسارعت لوضع يدها على فمه وهي تقول بحرج " اششش العم بلال ..."

اخذ يقبل اناملها التي تلامس شفتيه وهو يقول بعينين تلتمعان بالعاطفة " غدا سأنتظرك قرب البحر ... " ثم اضاف بجدية قائلا " يجب ان نتكلم ... "

اسبلت اهدابها وهي تخلص نفسها من ذراعيه المتراخيتين وتقول بغموض شقي " سأرى ما يقول ابي اولا ..."

ضحك بخفة ثم مال فجأة ليطبع قبلة على شفتيها ثم تأوه وهو يبتعد قائلا " غدا ... غدا عند السابعة صباحا ... لاتتأخري "

راقبته ينزل درجات السلم لتتراجع بضعف للخلف تستند للحائط وهي تهمس بغيظ " متى يأتي صباح الغد ؟!"

سابقت نجلاء خطواتها نحو الباب ما ان رأت من شباك المطبخ سيارة الاجرة تدخل عبر بوابة البيت الحديدية ..

قلبها يرفرف اشتياقا لرؤية بلال بعد فراق ايام طالت عليها بشكل عجيب ! نسيت تماما مشاكستها الصباحية مع مهدي الذي أتى ليطمئن على حوراء فسمحت له بالصعود اليها مدعية ان التوأم معها بحجة انهما لم يذهبا للمدرسة اليوم وفضلا البقاء مع اختهما ...

ما ان وصلت باب البيت حتى سمعت المفتاح يدور ليدخل حبيب العمر بقامته المديدة ...

ركضت نحوه هاتفة بأسمه " بلال .." فاستقبلها بابتسامته الواسعة ليضع حقيبته ارضا مغلقا الباب خلفه ثم فتح ذراعيه ليتلقاها ...

غمرت نفسها فيه تحاوط جذعه بذراعيها وهي تتشمم قميصه هامسة بتأثر " اشتقت اليك .."

مال ليقبل جانب خدها الغارق بخصلات شعرها وهو يهمس لها بصوته الشجي الحنون " ما اجمل العودة اليك صغيرتي بعد غياب ..."

ضحكت بعينين دامعتين وهي تبعد رأسها قليلا وتنظر لوجهه قائلة " صغيرتك ستصبح جدة بعد اشهر ان شاء الله ..."

شعّت عينا بلال بالبشر وهو يقول بفرح غامر " هل حوراء حامل ؟"

هزّت رأسها وهي تقول " نعم .. البارحة اغمي عليها فاحضرنا الطبيبة وبشرتنا بهذه البشارة الرائعة " ثم غمزت مضيفة " لقد منعت الصبيين من ان يخبراك حتى ابشرك بنفسي حالما تصل "

همس بلال حامدا الله ثم قال برقة وهو يداعب وجنتها " كم اتمنى ان تنجب حوراء فتاة تشبهك في كل شيء .."

ضحكت بطفولية وهي تضع رأسها على صدره وتهمهم بتنهيدة سعيدة " يا الهي كم اشتقت اليك .."

نحنحة قادمة من جهة السلم جعلت بلال يبعدها قليلا عنه وهو يلتقط هيئة مهدي التي تنزل الدرج وهو يطرق برأسه ارضا ببعض الحرج !

همس بلال بعتب وهو يستعيد بعض جديته " لماذا لم تخبريني بوجود مهدي ؟!"

ضحكت بخفة وهي تنظر لوجهه هامسة " لقد نسيت كل شيء غير وصولك فلا تلمني !"

هزّ رأسه وهو يتجاوزها ليتقدم نحو مهدي مصافحا اياه بينما مهدي يتحمد وصوله بالسلامة ..

شاكست نجلاء ببراءة مصطنعة " هل رأيت ... حوراء يا .. وسيم ؟!"

اسبل مهدي اهدابه وهو يضحك بخفوت قائلا " لا ... سلسبيل منعتني الدخول ... "

ضحكت نجلاء بينما بلال ينقل نظراته بينهما ويستشعر مزاج زوجته المستمتع !

قال مهدي اخيرا " مبارك حمل حوراء عمي "

رد بلال بابتسامة هادئة " بارك الله فيك بنيّ ، ومنحك الباري الذرية الصالحة قريبا ان شاء الله .."

تمتم مهدي يخفي ارتعاشة قلبه للفكرة " ان شاء الله "

اخذ ماهر يقرأ الاوراق امامه ببعض العبوس ! يشعر بالغيظ لانه لم يكن متواجدا بالامس ليعرف تفاصيل ما حدث بين نزار وصفية ،

وكيف انتهى الامر بتقديم نزار استقالته وفسخ الخطبة ..

الامر مؤكد يبهجه ويجعله يتنفس الصعداء اخيرا لكن مع ذلك لايحب المجهول ، لايريد ان يفقد تفصيلة مهمة كهذه ...

رمى ماهر الورقة التي حملت طلب الاستقالة جانبا وهو يرجع بظهره للخلف ليجلس باسترخاء على كرسيه ، استرخاء ظاهري فقط لكن عقله يرتب افكاره ...

صفية حرة الان ... حرة ...

لكن عليه ان يهاجم الان قبل ان يستعيد ذلك الاحمق عقله ويحاول الضغط عليها لتعود اليه ، عبس ماهر قليلا وهو يهمس لنفسه " عليك ان تكون حذرا ايضا يا ماهر ، صفية لن تفسح لعاطفتها بالتورط بسهولة هكذا ... يجب اولا ان تشعر بالاستقرار لعائلتها حتى تلتفت لاحتياجاتها كفتاة ... ان تكون مجرد فتاة تتذوق ابجديات العشق على يديه هو ..."

غامت عيناه بالعاطفة الجامحة التي يحملها لها وتسيطر على حواسه وتفكيره منذ وقت طويل ، كم يتمناها ان تشعر به حقا ، ان يظهر لها هذا الجانب الجامح منه دون ان يخشى هروبها ...

همس بعاطفة جسورة لاتعرف الخسارة " حسنا ... حتى الصبر لنيل قلبك له متعة ... المهم اني سأناله !"

شتم ظافر وهو يعتصر هاتفه النقّال في يده بغيظ ، انها لاترد عليه ! وخجل ان يتصل بعمته في البيت وهو يعلم ان عمه بلال مؤكد قد وصل الآن وعمته لم تذهب للعمل خصيصا لاستقبال زوجها ...

والكارثة الاخرى ان هاتف سلسبيل مغلق كالعادة ! ماذا تفعل تلك الفتاة ؟!! ألم يطلب منها ان تطمئنه عن احوال حوراء كلما سنحت لها الفرصة ؟!

تنهد وهو يتحرك في مكتبه بشكل عشوائي قلق بينما كلمات امه ترافقه منذ ليلة الامس ، هل تراه بدأ يفقد السيطرة فعلا ؟! هل عشقه لحوراء جعله غير منطقي بهذا الشكل الواضح ؟

هل بدأ يدفع حوراء بعيدا عنه بخوفه عليها ورغبته الدائمة بحمايتها ؟؟

حسنا ... ربما بالغ ... قليلا أو .. كثيرا ! وربما هي محقة في غضبها منه ليلة الامس بالذات بعد ردة فعله السخيفة على خبر حملها .

لكن .. عليها ان تفهمه هي ايضا ، ان تفهم ان خوفه عليها متأصل فيه منذ الصغر ، ربما عليه هو ان يشرح مشاعره اكثر لها لتدرك انها اهم عنده حتى من الحصول على طفل منها ...

ربما ستتسامح معه ، وتدرك لأي درجة هي مهمة وتشكل جزءا لايتجزأ من وجوده وروحه وكيانه ...

ابتسم بشغف رغماً عنه وهو يتذكر تسلّله لغرفة حوراء بعد منتصف الليل ، كيف اضطجع بجانبها دون ان يلمسها حتى لايوقظها ، لايعرف كم مر من الوقت وهو يراقب تقلبها بحسرة الاقتراب الذي حرمته عليه ... كما لايعرف كيف تستطيع السيطرة عليه هكذا وتجعله يمتنع عن القيام بما يريده ..!!

لكنها اخيرا التجأت اليه .. كانت تبحث عنه في غفوتها كما يبحث عنها في غفوته وصحوته وكل حالاته ...

لم يشعر يوما بالسعادة كما شعرها بالامس وحاجتها لوصاله تتغلب على قسوتها عليه والنوم يدحر الغضب لتستكين لصدره تتنهد سعادة الالتصاق به ..

شردت عيناه وكلمات امه ترن في اذنيه كناقوس الخطر فتفزع غفوة العشق اللذيذة ...

(العاطفة خادعة للعقل احيانا تظهر الخنوع للذكاء لتتمكن منا شيئا فشيئا فتخرجنا عن حدود المنطق والمعقول فتتآكلنا عواطفنا المتطرفة من الداخل وتنخر ارواحنا وتضنيها وقد يفوت الاوان قبل ان نكتشف كم كانت موازنة فجّة !)

عبس وهو يحدث نفسه بتعب " يجب ان اجد حلاً ، لااحتمل هجرانها الحانق... لااحتمل تباعدها العقابي لي "

تضع يدها على خدها وهي تحدق في الظرفين امامها على المكتب ...

لقد فتحتهما وعلمت ما يحتويانه لكنها عاجزة عن ابداء التصرف الصحيح المنطقي ...

الظرف الاول قد تتقبله كفعل ولكنها ولسبب ما تستشعر قبولها به كاعتراف بحق ماهر الغازي ان يكون له اثر في مجريات حياتها الصعبة ،

انها حتى تشعر بالغيظ من نفسها لانها تناست احضار سترته اليوم لانها لاتشعر بأن لديها قدرة على التعامل معه بشكل صحيح في هذه الفترة !

اما الظرف الآخر فهو همها الاكبر !

تلألأت حافة المفتاح الفضي التي أطلت من فتحة الظرف بينما امامها تلك الرسالة القصيرة التي ارسلها السيد شاهر مع المفتاح يخبرها فيها بتغيبه الذي قد يطول اليوم بأكمله لذلك هو ترك لها مفتاح الشقة مع مساعدته ويطلب منها برجاء ابوي ان تتقبله من اجل عائلتها ومن اجله هو ايضا ليطمئن عليها .

همست تحدث نفسها " كيف يستطيع المرء التعامل مع كل ما يمر به والعجز يكبله ؟! يستشعر ضعفه بين ثنايا قوته ! يستشعر قلة حيلته وهو يعافر ليظهر سيطرته لمن حوله !"

ارتعشت شفتاها تقاوم شعورا رهيبا بالوحدة ! انها وحيدة جدا في هذا العالم الواسع ... انها فقط بحاجة لبضع لحظات لتلتقط انفاسها في هذا السباق المارثوني المسمى (السعي لتحقيق لقمة العيش وبعض الآمال المشروعة) ...

مدت يدا مرتعشة وبدلا من ان تلتقط المفتاح كما انتوت التقطت طرف ماهر واخرجت منه الشريحة ولفترة اخذت تحدق فيها تلامسها وهي تعبس .....!

همست بذلك العبوس " ليس الآن ..ليس الآن .."

بعد ساعات ....

تطلع شاهر الغازي لوقفة ابنه المسترخية امامه ، كان قد رفض الجلوس مدّعيا انه في عجلة من أمره ! لكنه يعلم انه يتهرب بطريقته المراوغة المغيظة ، يتهرب من المصارحة ... لكن .. الى متى ؟! وماذا يريد من تلك الفتاة بالضبط ؟!

قال شاهر وهو يميل بجذعه للخلف متخذاً وضعا مريحا على مقعده ثم قال بهدوء " متى حضرت اليوم ؟ امك اخبرتني انك خرجت بوقت باكر جدا "

رد ماهر وهو يهز كتفيه " شعرت بالنشاط فقررت الحضور لمتابعة الاعمال التي تراكمت على مكتبي بسبب سفري المفاجئ بالامس "

ثم ابتسم ماهر بشقاوة وهو يضيف " وماذا عنك انت ؟! لقد حضرت متأخرا بعدة ساعات !"

تبسم شاهر وهو يسبل اهدابه ليقول " لست مؤهلا لتحاسبني يا ولد !"

ضحك ماهر بينما والده يرفع نظراته اليه ليقول بنبرة ذات معنى واضح " بينما انا استطيع ان احاسبك .. وعلى كل شيء ؟"

خفتت ضحكة ماهر وهو يتطلع لوجه ابيه بثقة والابتسامة علقت على شفتيه وملامحه لاتدل على اي تعبير ؟

ضيّق شاهر عينيه ليقول " اخبرني فقط ما الذي تسعى اليه من ملاحقتك لصفية بهذه الطريقة الغامضة ؟"

أمال ماهر رأسه جانبا ليقول ببساطة " هل تراني افعل شيئا يضايقك او ... يضايقها ؟؟"

رفع شاهر ذقنه قليلا ليقول بتأن " المراوغة تجعلني اكثر اصرارا لاعرف بل وتقلقني اكثر لان هذا يعني ان الموضوع اكبر مما اعتقدته ؟"

سكنت ملامح ماهر وغلفها الغموض ليكمل شاهر بصلابة " الفتاة مخطوبة ماهر كما انها ليست ..."

قاطعه ماهر ليقول بهدوء شديد " هي لم تعد مخطوبة ابي ، لقد فسخت خطبتها بنفسها .."

ارتفع حاجبا شاهر بينما ملامح ماهر ما زالت تأبى ان تكشف عن دواخله والتزمت بذلك السكون المحير الغامض ؟

سأله شاهر بعجب " كيف عرفت ؟! البارحة كانت ترتدي خاتمه ؟!!"

رد ماهر ببساطة وعيناه تلتمعان بالثقة " واليوم هي تخلعه !"

عبس شاهر وهو يسأله " هل تعجبك صفية يا ماهر ؟؟ هل تحمل لها مشاعر من نوع خاص ؟"

اطرق ماهر ولم يرد ....

عاود شاهر السؤال بالحاح اكبر " اخبرني ماهر ، لماذا تصمت هكذا ؟!! ما الذي يحدث بينكما بالضبط ؟ وهل لك علاقة بفسخ خطبتها ؟"

رفع ماهر رأسه ليقول " صفية ليس لها دخل بأي شيء يخصني ، وهي فسخت خطبتها بنفسها كما اخبرتك ولم يكن لي علاقة بالموضوع وقد علمته صدفة صباح اليوم كما وجدت استقالة نزار على مكتبي منذ الامس "

تنهد شاهر وهو يقول " ما زلت تتلاعب بالكلمات ! وحذرك في انتقائها يزيد من قلقي من حجم الامر "

اقترب ماهر من مكتب ابيه ليقول بثبات " فقط لاتشغل بالك انت ... انا قادر على التعامل مع اي وضع صدقني "

زادت حيرة شاهر بينما تبسم ماهر في وجه ابيه ليقول وهو يستدير " اسمح لي ابي ، لدي اعمال تنتظرني ..."

تركه والده ليغادر وقد غرق في تفكير من نوع آخر !

" صباح الخير عمي "

القى ماهر التحية على عمه عندما التقاه وهو يخرج من باب المصعد بينما ماهر كان ينوي دخوله ، امسكه آسر من ذراعه مانعا اياه من الدخول ليقول له وهو يرفع حاجبا واحدا " اين مهدي ؟!"

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتي ماهر وهو يرد ببراءة مصطنعة " علمت من سكرتيرته انه ذهب ليطمئن على حوراء وقد قال انه لن يغيب لاكثر من ساعة "

التمعت عينا آسر وارتسمت على شفتيه نفس الابتسامة الخبيثة لكن ..لاح فيها بعض الرضا !

فتساءل ماهر في سره ما الذي يفكر فيه عمه بالضبط ؟!

تحرك ماهر عندما استوقفه عمه وهو يقول بضحكة خافتة مغيظة " تلك الغازية الشرسة تبتسم في وجهي كلما رأتني مع اني اجزم انها تكز على اسنانها غيظا مني ! "

اسبل ماهر اهدابه ولم يعقب بينما آسر اقترب منه ليهمس قرب اذنه " عليك ان تعلمها معنى الاحترام لعمك فقد تجرح مشاعري في احدى المرات !... مع اني اعترف اني اجدها ممتعة اكثر هكذا ..."

ثم قهقه آسر وهو يتحرك مبتعدا عن ابن اخيه دون ان تفوته تلك النظرات اللامعة في عينيه ...

" مرحبا ..."

امال ظافر جذعه ليقبل حوراء لكنها اشاحت بوجهها جانبا فسقطت قبلته على خدها ..

تنهد وهو يستقيم بجذعه ناظرا لجلستها المتكورة على احد كراسي الخيزران في الحديقة ، ترتدي جلبابا قطنيا خفيفا وتكتفي بوشاح ازرق وضعته على رأسها كيفما اتفق حتى ظهر جزء من شعرها الكستنائي فلم تهتم بتغطيته ، مد يده لينزع الوشاح عن راسها فتمسكت بالوشاح بيدها دون ان تنظر نحو ظافر ...

همس بحنق " لماذا تغطين شعرك ؟! لااحد غريب هنا ليراك .. "

ردت وهي تواصل القراءة في كتابها " ابي قال ان رياض قد يأتي لتناول العشاء معنا "

تقبضت يدا ظافر ليقول من بين اسنانه " ولم تخبريني ؟! "

واصلت تجاهل النظر نحوه وهي ترد بهدوء " لم اعرف الا منذ نصف ساعة ، والدي اخبرني انه قادم ليسلم عليه ويبارك لي الحمل " ثم اضافت ببعض السخرية " فكما ترى خبر الحمل الناس تعتبره حدثا يستحق الفرح والمباركة "

هدر صوت ظافر قائلا " لاتستفزيني اكثر من هذا يا حوراء ! لم اعد احتمل ... قومي معي لنعود لبيتنا الآن ..."

اخيرا رفعت وجهها اليه لتقول ببرود لم يعتده منها " انا لن اعود معك اليوم ولا غدا ولا بعد غد ... قلت لك احتاج لبعض الاسترخاء والراحة ، واذا كنت تتضايق من النوم في الغرفة التي اعدتها لك امي فعُد انت وحدك انا لااجبرك على البقاء معي هنا .."

قال لها بتهكم عاطفي " لااذكر اني نمت في الغرفة التي اعدتها لي عمتي ليلة الامس "

احمرت حوراء وهي تعبس في وجهه بينما مال نحوها ليسند كفيه على ذراعي الكرسي الذي تجلس عليه ثم قال وهو يتطلع بشغف لوجهها الفاتن " اذكر اني شاركتك سريرك وجسدك الغض هذا بحث عني انا حتى غفوت كملاك بين احضاني "

زمّت شفتيها ثم قالت بحنق " انا لست ملاكا ظافر ! متى ستعترف لنفسك اولا اني لست ملاك ولست ضعيفة ولست ...."

قاطعها وهو يضع سبابته على شفتيها ليقول بصوت مبحوح " انا آسف لردة فعلي السخيفة بالامس ، لاتعرفين معنى ان تكوني حاملا مني مولاتي ، لكن عليك ان تعرفي كم انت مهمة لاني افضلك انت على اي شعور آخر بالسعادة ،

انت تتقدمين دوما على اي حاجة اخرى تتملكني كانسان وكرجل ، فقط حاولي ان تفهميني .. حاولي ان تقدري ان مشاعري نحوك ، حاولي ان تعطيني ولو بعض العذر !"

عيناها تحدقان في عينيه وبعض الضعف اخذ يعتريها نحوه ليضيف ظافر بحشرجة ناعمة وبعض الشجن " انت ما زلتِ لاتدركين كيف احبك ولاتفهمين ! لانك لاتحبينني بنفس الطريقة !"

شهقت باستنكار فقالت بألم وهي تبعد سبابته عن شفتيها " انها ليست المرة الاولى التي تقولها لي ! ولااعلم كيف تستطيع قولها بهذه البساطة والثقة يا ظافر ؟! هل تتهمني الآن اني لااحبك بما يكفيك ؟!! "

استقام في وقفته ليطرق برأسه مخفيا تعابير وجهه وهو يقول بهمس " انا لااتهمك .. انا اعرف فقط انك لاتحبينني بنفس الطريقة "

هبّت لتقف على قدميها فادرك انها حافية القدمين لكن كلماتها النارية الهته عن قدميها وهي تقول بعنين دامعتين " أ لأني لااجيد الكلمات كما تفعل انت ؟! أ لأني لااجيد التعبير باسلوب صريح لايعرف القيود والتحفظ ؟ أم لأني لااسعى لارضائك وجذب انتباهك بافتعال انثوي لااجيده ؟ "

خنقتها العبرة لتتقطع كلماتها وهي تكمل " انا اخجل ظافر ! اخجل منك ... اخجل حتى من ... نظراتك... التي اصبحت اعرف معانيها... دون ان تحتاج ...لتفسيرها لي ... اخجل ...ولااعرف كيف اتعامل مع خجلي هذا !... رغم مرور اكثر من شهرين على زواجنا ما زلت مكبلة بنوع من التحفظ اعتدت على احاطة نفسي به ... منذ كنت ... طفلة .. " سالت دمعة على خدها وهي تهمس بألم " هذا لايعني انك تحبني اكثر ! هذا يعني اني .. اني ... "

ثم اجشهت بالبكاء فما كان منه الا ان حاول احتضانها وهدهدتها " لاتبكي حبيبتي .. فقط لاتبكي ... "

ابعدت ذراعيه عنها لتهتف من بين شهقاتها بغضب " انا احبك ظافر ، احبك لدرجة اني اشعر بالاشفاق عليك لاني غير قادرة على اسعادك كما يفترض ! لان ضعف بدني احيانا يوحي اليك اني قد امرض واني لست مؤهلة لاكون حاملا منك ... لان ... تحفظي وخجلي المبالغ فيهما رغما عني يجعلك حتى لاتجد سعادتك كرجل معي .. هل تظنني لااشعر كيف تراعيني عندما نكون معا بالسرير ؟ قد اكون بلا اي خبرة او معلومات لكني استشعر الامور وافهمها ..."

رفعت يدها لتضعها على قلبها وهي تهمس بنبرة تقطع نياط القلب " قلبي يتمزق غيرة وانا اتخيل مقارنتك لي مع كل النساء اللواتي عرفتهن ، ودوما المقارنة ترجحهن علي ! ان تقارن كيف تكون على طبيعتك معهن بينما انا تتقيد معي خوفا علي ومراعاة لخجلي ! وانا ضائعة تائهة بين عشق مكبوت احمله لك منذ الصغر وبين هذه الهوة الكبيرة في اسلوب التعبير عن العشق بيني وبينك " اخذت نفسا مرتعشا قبل ان تهمس " هل علمت الآن كيف اشعر نحوك ؟ "

قالت جملتها الاخيرة لتتركه في صدمته وتهرع مهرولة للداخل بقدميها الحافيتين !

دخلت سلسبيل غرفة المكتب الخاصة بوالدها وهي تشعر بالتردد ! ليس لديها فكرة عن ردة فعل ابيها لما ستقوله له ... او الاصح لما ستطلبه !

اخذ آسر يمرر سبابته على جانب وجهه بحركات مكررة متتالية وهو يتطلع باستمتاع خفي لوجه ابنته المرتبك ..

قالت سلسبيل وهي تتنحنح " ابي ... اليوم كنت في بيت عمتي نجلاء .. "

شوحت بيدها وهي تتنهد قائلة " انت تعرف .. ظافر قلق بسبب حمل حوراء واتصل بي لاذهب اليها واطمئنه لانها تخاصمه .."

قال آسر بسلاسة هامسة " وبعد ؟"

عبست سلسبيل وهي تنظر لوجه ابيها الغامض لكنها اكملت وهي تسبل اهدابها " حسنا ... كنت هناك .. و.. رأيت .. رأيت ...... "

تلكأت فابتسم آسر وهو يكمل لها " رأيت ... الوسيم .. اليس كذلك ؟!"

رفعت نظراتها لابيها وقد توجست من سابق معرفته بالامر !

التزمت الصمت تدرس ردة فعل والدها وقد انتابها القلق انه سيتصرف بعناد مشاكس !

قال آسر ببساطة فاجأتها " اذا اراد التكلم معك فأنا اسمح لك بذلك ..."

تهلل وجهها رغما عنها فاضاف آسر محذرا " لكن ... اريد كلاما عقلانيا بعيدا عن مشاعر الشوق والهيام ... اريد مصارحة مواقف حقيقية "

احمرت سلسبيل رغما عنها بينما تتسع ابتسامة آسر ليسألها فجأة بذهن حاد " هل ماهر اخبرك عن اي شيء يخصه هذه الايام ؟!"

الاستغراب على وجهها كان اوضح من جوابها " ماهر ؟!! لا ابي .. هل هناك شيء ما يخصه ؟"

صمت آسر ولم يعقب بشيء وقد عاد غموض افكاره حاجبا بينه وبين ابنته ...

تمسك يد طه وهي تعبر الشارع ، تبتسم في وجهه كلما حانت التفاته منه اليها ، كأنه يستشعر ما تخفيه من تخبط فيتعمد مفاجأتها بنظرات خفية وكأنه يريد استكشافها !

لم تفلح بالهاء تفكيره وهي تأخذه لمحل البصريات وتوصي له نظارة جديدة ، وكما توقعت اصر ان تكون حمراء ايضا ، ومكثا لساعتين حتى استلماها من صاحب المحل .

طوال هاتين الساعتين كانت تفتح معه مواضيع شتى فقط لتوحي له انها في احسن حال .. ولكن ... هل هي فعلا ؟!!

تطلعت يمينا وشمالا لهذا الحي الجديد باجوائه عليها ، تعترف ان اجمل ما فيه تلك الاشجار الباسقات على جانبي الشارع الرئيسي فتعطي رونقا وخصوصية ، الحي يختلف جملة وتفصيلا عن حيّها الشعبي بمبانيه المتهالكة والمتراكمة على بعضها البعض، اما المباني هنا تختلف فرغم قدمها لكن متانتها واضحة وصيانة بعضها مستمرة ...

مبانٍ سكنية تحكي زمنا قديما زاهيا لقاطنيه ليبهت الزهو ويرتحل مع رحيل من استطاع من عليّة القوم تاركين خلفهم امجاد ترف لذوي الدخل المتوسط والمحدود ، اما من طأطأ رأسه منهم لرياح التغيير وعواصف الزمن التي تقلب الموازين فارتضى ان يشارك الجيرة مع من هم ادنى مستوى اجتماعي وحتى ثقافي ...

ثم اختلطت المفاهيم والطبقات مع اختلاط انساب فرض نفسه على الجميع ...

وها هو حي هادىء متوسط الحال بزخرفة مبانٍ تحمل عبق الماضي تتداخل مع بساطة حاضر مفروض ...

شعرت بيد طه تسحب يدها وهو يقول " صفصف .. لماذا اعطانا السيد شاهر شقة لنسكن فيها ؟"

ابتلعت ريقها علّها تبتلع غصتها وقالت بابتسامة رسمتها بشق الانفس " لان السيد شاهر رجل طيب ويعاملني كأبنته وهو اعطانا هذه الشقة بشكل مؤقت حتى نجد ما يناسبنا "

رفع طه سبابته يدفع نظارته من المنتصف نحو الخلف وكأنه يحاول تثبيتها على وجهه ولكنها لم تعدُ الا حركة معتادة يفعلها كلما اثاره التفكير في موضوع ما ...

صمت بعدها وهو يواصل السير مع اخته بينما غرقت صفية في افكار بعيدة عن محيطها المادي ...

لاتصدق انها فعلتها ! ها هي نقلت حاجياتهم البسيطة لتلك الشقة التي منحها اياها السيد شاهر ! وما زاد الطين بلّة انها وجدت قطع اثاث مبعثرة في انحاء الشقة وقد اخبرها البواب العجوز ان السيد شاهر أمر بابقائها لهم ..

الامر كله كثير ... كثير الى درجة غير قادرة على التعامل معه بتوازن يرضيها ...

ما زالت مشاعرها تتأرجح بين الغبطة والغصة !

ففرح عائلتها بالشقة الجديدة لم يجعلها تتجاوز ذلك الشعور بالدونية لانها رضيت ان تأخذ المفتاح ... انها حتى لم تستطع مواجهة السيد شاهر اليوم ولو لتشكره ! رغم علمها بحضوره المتأخر للشركة ...

غامت عينا صفية وهي تسترجع ملامح اختها زينب وهي تزهو بالكبرياء امام بنات العم جلال اما فاطمة فقد استعاد وجهها الجميل حيويته بعد طول صمت مرهق يخفي بين طياته احساسا بعدم الامان وكبت مشاعر القلق ..

واكثر ما اثر فيها هو امها ! فقد استشعرت احساسها بالضياع وهي تغادر حيّا سكنته منذ اول زواجها لتخرج لعالم آخر لم تألفه !

حتى مع بساطة الحي الجديد ولمساته الشعبية هنا وهناك الا ان صفية استشعرت ارتباك امها وهي تتمسك بيد طه خوفا عليه من ان يتوه !

اما طه فهذا يثير حيرتها ! انه صامت تماما يستوعب هذه التغييرات ويحاول تفسيرها بمنطقيته الخاصة ...

" صفصف لماذا فسختِ خطوبتك من نزار ؟"

اخفت تشنجها بنجاح وهي ترد بهدوء " لم نتفق صغيري ، هو لديه ظروف تستوجب عودته لبلدته حتى يساعد والده وعائلته "

صمت طه لم يثرها هذه المرة بينما عيناها تلتقطان ذلك الخيال الطويل عبر المسافة التي تفصلهما عن المبنى حيث سكناهم الجديد ..

اقتربت وظلال وقت الغروب لايخفي عبوسها عنه

" مرحبا ! "

هذه التحية اختص بها طه وهو يمد يده في مصافحة جدية جعلت طه يبتسم بفخر !

شعرت بالغيظ اكثر وطه يرد له التحية بنضوج لايليق بعمره وهو يقول " مرحبا سيد ماهر ، كيف حالك ؟!"

رد ماهر وعيناه ترتفعان من طه لاخته الواقفة خلفه ليقول بابتسامة حلوة " انا بخير ما دمتم بخير .."

كزّت صفية على اسنانها ثم تحاملت على نفسها لتقول بلهجة هادئة لاخيها " اذهب عزيزي لتغتسل وتغير ثيابك فغدا ستعود لمدرستك وعليك الاستعداد .."

هزّ طه رأسه موافقا وتحرك مغادرا وهو يلقي تحية الوداع لماهر ..

ما ان اختفى ظل طه حتى التفتت صفية لتواجه تلك الابتسامة المقلقة بروح الصمود فقالت " ما الذي أتى بك الى هنا يا ماهر ؟!"

اتسعت ابتسامته فبدت ساحرة مع نظراته الشقيّة المحببة ثم همس بصوت مبحوح " انها ثاني مرة تنطقين بها اسمي دون القاب !"

تجاهلت ذلك التأثير المزعج لمشاعرها وذلك الصخب في دفاعاتها المستنفرة ! سألت بنزق " فقط اخبرني ماذا تفعل هنا بالضبط ؟!"

رفع حاجبيه والبهجة لاتفارق محياه ليقول ببراءة ووداعة " جلبت بعض الحلوى لابارك لكم انتقالكم للشقة الجديدة ، اعطيت الحلوى لتوتة الفاتنة واخبرتها ان لاتسمح لاحد بفتح العلبة قبل حضورك "

عض طرف شفته السفلى وهو يقرأ غيظها المتنامي لتغمض عينيها للحظة وشفتاها تهمسان بالارقام لتقول بعدها وهي تفتح عينيها " كيف علمت ؟!"

ادرك ببساطة انها تسأل كيف علم بموضوع سكناهم الجديد فاجاب بعينين تلتمعان بالمرح " لاتسألي اسئلة كهذه صفصف "

تنهدت وهي تهمس " لاتفعل هذا ! "

ابتسم بطريقة مختلفة ! بدى مسيطرا بطريقة ازعجتها وكأنه يدرك ما تعانيه وهذا جعلها تنهره بحنق " ولاتبتسم هكذا .."

رده كان التجاهل ! ثم اخذ يتطلع لقامتها وكأنه تنبه لها للتو ! ليقول بعدها بنبرة ساحرة " البنطال الجينز يليق بك "

تطلعت صفية لبنطالها ببلاهة ! لم يكن الا بنطالا بخسا اصر طه ان تشتريه لنفسها من احدى المحال التجارية الصغيرة ذات البضائع من الدرجة الثالثة ان لم تكن الخامسة او حتى العاشرة !!

صوته كان أجشا وهو يقول ببساطة " انت جميلة حقا .."

تضرجت وجنتاها بالحمرة .. الكلمات في بساطتها المكررة حملت احساسا معينا متفردا بطريقة عجيبة ! جعلت الكلمات تبدو بمعان اعمق بكثير من ظاهرها ...

تحشرج صوتها وقد بدأت تشعر بالصداع " غادر ارجوك ... لاتجعلني اشعر بالندم منذ الان لقبولي بالشقة "

بعينين ناعستين اخذ يتطلع نحوها ليقول بصوت منخفض هادئ " هل تظنين اني حضرت الان لانك قبلت السكن فيها مع عائلتك ؟؟ "

لم تعرف بما ترد ! كل ما كانت تريده ان يغادر الآن ....

لكن أصر ليواجهها بما تريد تجاهله " اصبحنا نعرف بعض اكثر من هذا يا غزالة "

همس بنبرة مدغدغة " انا حضرت لانك خلعت خاتمه .. لانك مستعدة الآن ، فلن انتظر (نزار) آخر يوهمك انه المناسب !... " صمت للحظة ليضيف بحشرجة " و .... لاني ... ببساطة لم اقاوم المجيء لرؤيتك ..."

ادارت رأسها جانبا وهي ترفع يدها لتعيد بعض خصل شعرها خلف اذنها فأكمل بنبرة خافتة تحمل خلو البال " احب رؤيتك ، مراقبة حركاتك ولفتاتك تجعلني انتعش ، مراقبتك كيف تغضبين .. ثم كيف تعدين حتى رقم خمسة لتقمعي هذا الغضب .. كيف تتكلمين مع نفسك في حوار تحتاجينه لتشعري انك قوية ومنظمة وانك ... بخير ... "

وضعت يديها في جيبي بنطالها وقالت وهي تنظر نحوه بتماسك هش " شكرا للحلوى سيد ماهر .. و... تصبح على خير "

ضحك وهو يقترب خطوة منها ويقول " هناك قطعة اخترتها خصيصا لك ، اعرفيها بنفسك .."

ضغطت فكيها على بعضهما وهي تقاوم لتثبت نظراتها على عينيه دون ان تتراجع ...

اقترب اكثر وهي تأبى ان تخطو ولو نصف خطوة للخلف فاصبح مواجها لها انفاسه تلامسها وعطره يطوقها بتركيز اعمق ،

رفعت رأسها اليه وغاظها انها بالكاد تصل لكتفيه ، همس بجدية رقيقة " فقط استرخي واسعدي بما تحصلين عليه من الحياة ... وتذكري دوما اني موجود لاجلك ... حتى لو لم تراني هاتان العينان الجميلتان فاعلمي اني موجود .. دوما قريبا منك .."

كانت ما تزال تحدق في عينيه ولم تبالي باحتراق خديها فتنهد بنعومة وهو يقول بأسف واضح " أراك غدا ..."

تحرك بعدها بخطى واثقة متجاوزا اياها الى حيث اوقف دراجته النارية ليلتقط خوذته ويرتديها اولا ..

التفتت صفية نحوه وهي تناديه فجأة قائلة " انتظر من فضلك .. سأذهب لاحضار سترتك .."

قال وهو يركب دراجته " احتفظي بها ... انها لك يا غزالة ..."

ثم هدر صوت دراجته لينطلق بها وهو يلوح بيده مودعا ...

وهناك في الشقة وهي تفتح علبة الحلوى وجدت قطعة واحدة مميزة وسط القطع المستطيلة والمدورة ... قطعة على شكل .. قلب ..

دق على باب غرفتها وهو يقول بصوت منخفض " افتحي الباب حوراء ! نحن منتصف الليل وسيصحو الجميع بسبب عنادك الطفولي .."

لحظات وانفتح الباب لتطل بقميص نومها القطني المحتشم بينما شعرها الطويل تناثر حولها ببهاء .. كان يعلم انها تقف خلف الباب ويعلم انها لاتستطيع النوم ...

ابتلع ريقه وهو ينظر لوقفتها عند الباب مانعة اياه من المرور ! تطلعت بتدقيق ناقد لبلوزته البيضاء القطنية وسرواله البيتي الكحلي ثم قالت بهدوء "تبدو مستعدا للنوم ولديك سريرك وغرفتك فلماذا أتيت ؟!"

قال يستعطفها برقة " هل يهون عليك ظافر ؟! من سيدلّلك ويمشط لك شعرك ويهدهدك حتى تنامي ؟!"

احمرت لكنها رغم ذلك عبست وهي تقول " عد لغرفتك ظافر ، وليكن في علمك ساغلق هذا الباب بالمفتاح وكذلك باب الشرفة فلا تحاول القيام باحدى زياراتك الليلية .."

مد يده يلامس خدها فابعدت وجهها عن مرماه ليقول باحباط " لم كل هذا ؟! "

ردت باصرار " اعتقد اننا بحاجة لفترة ظافر ، بدأت ارى ان ما فعله خالي آسر مع مهدي وسلسبيل له فوائد !"

اتسعت عينا ظافر والتمعتا بالغضب في الظلمة الباهتة المخيمة على الممر ليقول من بين اسنانه " اذا كنت تظنين اني سأرضى بهذا فأنت واهمة كبيرة ، لست بصبر مهدي ولا سعة صدره "

اربكها غضبه قليلا لكنها لم تتراجع وهي تقول " ربما عليك ان تتعلم بعض الصبر وضبط النفس منه !" لتضيف باتهام غاضب " كأن تعامل ابن عمتي كما يجب بدلا من ان تحرجني ببرودك كما حصل الليلة وهو ضيف على والدي "

قست ملامح ظافر وهو يقول من بين اسنانه " لي اسبابي حوراء لفعل ما فعلت مع ذلك التافه المتطفل ، فعندما اشك انه كان يحوم حول اختي وان مهدي قاوم ضربه لاجلك واجلي فالبرود هو اقل رد فعل يفترض مني ولولا اني لااملك ما اواجهه به لكنت شوهت وجهه !"

تراخت قبضة حوراء عن مقبض الباب وحاجباها يرتفعان للاعلى بعجب وهي تسأل بذهول " هل رياض كان معجباً بسلسبيل ؟ هل .. لاحقها ؟ متى وكيف ؟؟؟"

انتهز ظافر الفرصة ليتقدم دافعا اياها برفق للخلف ملهيا اياها بالكلام وهو يقول " لااعلم كيف .. كل ما اعلمه ان هناك شيء ما حصل قبل زواجنا وهذا هو سبب المشكلة بين مهدي وسلسبيل .."

بسلاسة وعفوية مخادعة اغلق الباب خلفه بينما حوراء ما زالت في ذهولها الصامت ليتحول الذهول لتفكير عميق ...

لم تشعر الا وظافر يمسك بوجهها بين كفيه ويهمس امام شفتيها بشغف " سأجن شوقا اليك .."

افاقت حوراء من افكارها على لهيب انفاسه قبل كلماته لتبتعد عنه بسرعة وهي تقول بلهجة تحذيرية " قف مكانك ظافر ... انا قلت انك لن تنام بجواري ... ومؤكد ... لن .. تفعل شيئا آخر ! "

كل الشغف تراخى .. ملامحه قست ... ثم ببساطة فاجأتها تحرك نحو السرير ليرفع الغطاء ويتسلل اليه وهو يقول بصوت بارد " تصبحين على خير ..."

اخذت تنظر اليه بعجز ! كيف تتعامل معه الآن ؟! هل تتركه لتذهب وتنام في الغرفة التي اعدتها امها له ؟؟

وكأنه كان يدرك ما يجول بخاطرها فقال بنبرة حازمة " لاتفكري بالخروج من هذه الغرفة ، فتعالي واتخذي مكانك على هذا السرير " صمت لحظة ليضيف بسخرية " وايّاكِ ان تزعجيني اثناء النوم وتلجأين للنوم باحضاني كما فعلت ليلة الامس "

شعرت بالغيظ لكنها لن تفتعل مشكلة ووالدها موجود فانصاعت لارادته وهي تتوجه ناحية الجهة الاخرى من السرير لتضطجع فيه مولية اياه ظهرها كما يفعل هو ...

صباح اليوم التالي

انه هنا منذ شروق الشمس ! لم يستطع النوم الا ساعتين فقط ....

حدق في امواج البحر يلتمس منها بعض ما يطفئ نار الشوق وينفض عنه تعب الانتظار ...

" صباح الخير يا وسيم .."

التفت بقوة ليراها خلفه ببضع خطوات .. ترتدي فستانا خفيفا بلون سماوي يتطاير حولها ، وجهها المحبب ينضح بالسعادة وهي تنظر اليه وكأنه كل ما تريده في هذه الحياة ...

انتعشت كل حواسه وكأنها عادت للحياة من جديد ... همس باسمها وهو يقطع المسافة بينهما " سلسبيل ..."

لف ذراعيه حول خصرها الناعم وضمها لصدره وهو يحني رأسه يلامس بشفتيه اسفل عنقها ..

همست له بحشرجة عاطفية " ابي اشترط ان لا عواطف !"

ضحك بخفة ليعتصرها اكثر هامسا " عمي يدرك ان يطلب المستحيل ساقيتي ..."

شعر بتردد من نوع ما ينتابها وقد تشنج جسدها الرقيق بين ذراعيه ، ربما هو التوتر لكنه شعر انها تحتاج اليه فعلا ليمنحها ما تريد...

ابتعد قليلا رافعا كفه يحيط بجانب وجهها ليرى في عينيها ما استشعره في جسدها ...

ورغم ذلك ابتسمت له ابتسامتها الشقيّة لتغمز قائلة " احضرت الفطور معي "

تنبه لتلك السلة المستقرة على الرمال خلفها فاكتفى بابتسامة واسعة اودعها كل ما يشعره من حب نحوها وفرح لوجودها واكتفاء بقربها ...

احمرت سلسبيل وهي تواري عينيها عنه ثم ابتعدت لتجثو بعفوية قرب سلتها .

فتحتها لتخرج اولا بساطا بسيطا افترشته على الرمل ليجلس عليه مهدي وهو يراقب حركات يديها وهي تخرج حافظات الطعام ..

كانت ذكية وهي تسترخي بطريقتها تحدثه عن اخبار الجامعة بينما يتناولان الطعام ، تركها تفعل وتقول ما تشاء .. يريدها ان تتكلم اولا .. حدسه اخبره انها تريد فعل ذلك ..

ناولته قدحا ورقيا من القهوة التي يحبها ثم اتخدت جلسة مريحة بجانبه وهي تضم ركبتيها لصدرها وتلملم ثوبها حول ساقيها تمنعه التطاير ..

قالت بجدية مفاجأة وهي تتطلع للبحر " اريدك ان تسمعني للنهاية مهدي..."

ارتشف من قهوته دون ان يعقب بشيء بينما في داخله كان متحفزا مترقبا ... قلقا !

يدها مالت نحو الرمال تتخلل حباته الناعمة باصابعه ثم قالت بصوت هادئ " انا احبك مهدي ، احبك بجنون لاتتصوره ... احيانا اتصور انني اشتركت مع ظافر في هذا النوع من الجنون نحو من نعشق ! قد لااظهر هذا العشق لك كما يفعل ظافر مع حوراء لكني ... مجرد .. فتاة ... مهما ظننت بي القوة والجرأة .. "

تنهدت وهي تواصل الهاء نظراتها بحبات الرمال التي تغمر اصابعها لتقول " دوما احببتك منذ كنت صغيرة ، كنت احتفظ بكل صورك التي نتشاركها عائليا ، كنت احتفظ بأي شيء يسقط منك سهوا او تنساه لالتقطه انا واحتفظ به " ضحكت برقة وهي تهمس " لدي صندوق سيذهلك بما يضمه من اشيائك !"

اخذت نفسا عميقا وهي تنفض يدها لتعاود النظر نحو البحر وتكمل بصوت شاعري في شجن " لم اعرف يوما فارسا للاحلام غيرك ! لاطفولتي ولا مراهقتي ولا شبابي ... دوما انت .. وكأن كل الرجال تم اختصارهم بك فلا ارى رجلا سواك .."

تحشرج صوتها قليلا " عانيت الغيرة الحارقة وانا ارى الفتيات يحمن حولك ولايتورعن عن ابداء اعجابهن بك ولم يخفف عني انك كنت متعففا معهن ، لاني كنت اخشى ان تتمكن احداهن سحرك وتملك قلبك ... بينما انا ... انا لم اكن اثيرك كأنثى ،

تدللني وتحميني وانا اتعمد افتعال مواقف الخطر فقط لاجل ان تأتي الي واحظى باهتمامك وخوفك علي ... حتى لو كنت تعاملني كابنة عمك الصغيرة المجنونة التي تعتقد ان حمايتها واجبة عليك .."

امالت ذقنها للامام لتركزه على ركبتيها وهي تقول ببساطة " لارياض ولا اي رجل اخر اخذ من عاطفتي ولو شعرة ! دوما عاطفتي لك وحدك .. " اغمضت عينيها تمنع دمعة توشك على الهطول لتهمس " واخيرا اريد ان اعترف ... اني تهورت وفعلت ما فعلت من سخافة مع رياض ليس لاجل ظافر وحوراء فحسب ، بل .. لاجلي ايضا .. اردتك ان .. تشعر بي وتغار علي ... اردتك .. ان تغير نظرتك نحوي بأني صغيرة ... انا ... آسفة .. آسفة ... لاني فعلت ... ما آلمك لهذه الدرجة وجعلك لاتستطيع مسامحتي .."

صمتت وقد خنقتها العبرة فامسكت كليا عن الكلام ولم يعد الا البحر يتكلم بهدير امواجه ..

فاجأها وهو يمسكها من ذراعيها ليميل بها نحو الرمال وهي تنظر لوجهه الغامض بعجز ...

قال وهو يهمس امام وجهها بصوت عاطفي " لااعلم من منا اكثر غباء ؟! " داعبتها انفاسه الحبيبة قبل ان يكمل باهداب مسبلة " انا كنت انتظرك تكبرين ، كنت اشعر انه ليس من حقي مشاغلة مشاعرك وانت بهذا العمر الفتيّ ، لااستطيع ان اغير ما انا عليه سلسبيل ..

لديّ اخلاقياتي وافكاري التي منعتني من الاقتراب منك لكن هذا لايقلل من عشقي لك ، لايعني اني لم اكن احبك كما الآن ، قد لااكون مجنونا بتصرفاتي مثل ظافر لكن ..."

صمت ليرفع نظراته اليها ويرى دموعها تسيل بنعومة وهي تتطلع اليه بعطش غريب !

قال بصوت مبحوح " قولي مرة اخرى انك لم تري ابدا رجلا غيري ... ان لااحد اختطف ولو خفقة من قلبك ... "

همست بشهقة بكاء مكتومة " انا لااعرف معنى الحب الا نظيرا لك ... قلبي ملكك دائما وليس ملكي ..."

تهدجت انفاسه وهو يقول بعنف " ذلك البائس هل ... هل قلت له .. اي كلمة ... هل ..."

اغمض عينيه وهي يأخذ نفسا عميقا ليهدأ بينما تسرب صوتها مشربا بالألم والندم " انا لم التقيه الا بحضوركم جميعا فقط تلك المرة عندما ... ذهبت اليه ... في الشركة .."

هدر صوت مهدي ليسأل بالحاح غاضب مجنون اخافها " ماذا قلت له في الشركة ... فقط اخبريني ... بكل ما دار بينكما "

اختنقت بالبكاء وهي ترد بهمس " اخبرته ان حوراء تحب ظافر ولاامل له معها ، اخبرته ... ان ... لاامل له ... معي ... "

اتسعت عينا مهدي وهو يهمس بنبرة قاسية " هل لمح لشيء مباشر يخصك ، قولي لاتكذبي علي هل فعل ؟؟ "

عضت شفتها السفلى لتقول " اجل ... اتهمني اني ... حاولت ... فعل شيء ... كان حانقا فقال اني اشعر بشيء نحوه ... لكن .."

علا صوت مهدي وهو يقول " لكن ماذا ؟!؟"

ردت بصراخ وهي تبكي " لكنه ادرك اني تلاعبت به ... ليس لاجل ظافر فحسب ... بل لاجلك انت ايضا ...."

اخذت تجهش بالبكاء وتدفعه عنها بعنف وهي تصرخ " ابتعد عني مهدي ... ابتعد ... اريد ... المغا......................."

اسكتها وهو يقبلها بجنون وغضب اعمى طال كبته ...

دخل ظافر بوجه عابس لمكتبه حتى انه لم يتنبه لتلك الشقراء التي كانت تجلس بانتظاره وهي تضع ساقا على ساق باغراء امتعضته مساعدته الشخصية ...

القى تحية صباح وقبل ان تنبهه مساعدته لتلك (الضيفة) جاءه صوت يمتهن الدلال للاغواء

" مرحبا .. ظافر ..."

حالما ترجلت من الحافلة يد غليظة قاسية سحبتها ، كانت تحاول استدراك ما يحدث عندما اكتشفت ان صاحب اليد ما هو الا نزار !

هتفت به وهي تحاول تخليص ذراعها منه " ماذا تفعل نزار ؟ اتركني ..."

فصرخ بها نزار غير مبالٍ بنظرات المارة " ايتها الفاجرة ... لم اكن اظن انك وضيعة لهذه الدرجة ! وانا الغبي الذي جعلتني اعود من بلدتي تاركا عائلتي وابي فقط لاسترضائك وما ان اصل لحيك ملهوفا للاعتذار منك يخبرونني ان هناك من ساعدك بتقديم سكن مؤقت ! "

هالتها كلماته والحالة التي كان فيها بينما اكمل بنظرات تقدح غضبا واتهاما " دفعتني بعيدا لتحظي بدعم من السيد الكبير اليس كذلك ؟ الاب يدفع لاجل تصريف رغبات ابنه المدلل والموظفة الشريفة تضع شرفها جانبا على احد رفوف التنازل لاجل غايات أسمى او لنقل اهداف اكثر انحطاطا !"

قبل ان تصل بصفعتها لوجهه كان نزار يمسك معصمها بقسوة والناس تتجمهر ومن بين التجهمر هذا هدر ماهر بصوته قبل ان يمد ذراعه " تمد يدك على النساء يا حقير ..."

الفصل العاشر

بعينين مصدومتين اخذت صفية تحدق في نزار المكوم على الارض يدلك فكه بتوجع بينما بعض الناس يتفقدونه ثم رفعت نظراتها لماهر الذي كان يقف متحفزا في منتصف المسافة بينها وبين نزار وما ان تلاقت نظراتهما حتى قال بلهجة حادة قاطعة وعيناه تبرقان " غادري فورا ..."

شعرت بالبلاهة والعجز عن الإتيان برد فعل مناسب ! فرأت عينيّ ماهر تحتدان اكثر وهو يقول من بين اسنانه " ارحلي صفية قد يراك احد موظفي الشركة وتصبحي حديثا يتناقله الجميع !"

اتسعت عيناها برعب للحظة ثم دون ابطاء تحركت مبتعدة لتسير بخطوات متسارعة مسافة اطول من المعتاد ثم عبرت الشارع وهي تواري وجهها ...

التفت ماهر نحو نزار وقد اكتسى ملامحه غضب رهيب ليقترب منه بينما البعض يحاول تدارك عراك بين الرجلين لكن نزار كان قد وقف على قدميه وهو يدفع بعنف ايادي من يحاولون مساعدته ...

تقارب الاثنان .. احدهما بنظرات غاضبة عنيفة والآخر حاقدة كارهة ...

تدافع بعض الرجال ليقفوا بينهما واحدهم يقول " استعيذا بالله من الشيطان .."

تصاعد الهرج والمرج بينما نزار يردد بملامح مشبعة بالهزيمة والخذلان الغاضب " ارتحت الآن وقد اخذتها مني ؟؟! ارتحت ...؟؟؟"

حمحم ماهر ليضربه مرة اخرى فتمسك بكتفيه الرجال بينما يقول بقسوة رافعا سبابته نحو نزار " انت غبي حقا ! ولست برجل لتتعرض لامرأة في الشارع وامام الناس ، لو كان لها اب قوي او اخ غيور ما جرأت للتعرض لها يا جبان ... لكنك غبي وجبان لانك لم تدرك اي انسانة هي ولم تعرف قيمتها لتصونها .."

عم الصمت للحظات ثم همهمات متباينة ليطأطئ نزار رأسه فتحرك ماهر نافضا ايدي الرجال التي تراخت عنه ثم دون اضافة المزيد تحرك مبتعدا بين الجموع التي اخذت بالتفرق ايضا تاركين نزار يقف بوسط الطريق رأسه منحن للاسفل ويشد قبضتيه وهو يهمس " مكاني ليس هنا ... ليس هنا على الاطلاق !"

تطلعت سالي اليه بعينين جاهدت لابعاد الشغف عنهما ، جاهدت لاخفاء حاجة عنيفة لنهم كل تفاصيله التي تحفظها ...

اذهلها شحوب وجهه لرؤيتها ثم انعشتها تلك القساوة الوحشية التي رسمت ملامحه المميزة ..

بحركة مدروسة تدعي العفوية تلاعبت بخصلات شعرها الاشقر الطويل ، كانت تعرف انه اكثر مميزاتها جذبا للانظار لتليها عيناها الخضراوان كخضرة مرج مزدهر ...

قال ظافر اخيرا " ماذا تفعلين هنا ؟ وكيف دخلت ؟"

ابتسمت ابتسامتها الخلابة لتقول ببراءة " اردت رؤيتك والاعتذار منك عما بدر مني سابقا "

اسبل اهدابه فاصابها الاحباط ! تريده ان يتطلع اليها .. تريد ان تلمح تلك البدائية في نظراته الرجولية مرة اخرى ...

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتذكر لحظاتهما الحميمة لتتنازعها رغباتها الدفينة وهي تقول برقة مصطنعة متناسية الوجود المزعج لمساعدته المذهولة " سامحني ظافر ، انا تصرفت ببلاهة ..الآن تزوجت و..."

قطع عليها صوته الآمر وهو يقول لمساعدته البلهاء المحدقة " الآن فورا استدعي لي فريق الأمن ، اريد ان اعرف بالضبط كيف دخلت هذه الحثالة للشركة "

تضرجت وجنتا سالي بحمرة قانية من شدة احراجها وشعورها بالقهر والخزي ، انعقد لسانها بينما انفك لسان مساعدته المبهوتة وهي ترد بتلكؤ " حا ...حاضر سيد ... ظافر ... لااعلم كيف .. دخلت الانسـ.. اقصد السيدة ..."

ضرب ظافر بقبضته على سطح مكتب مساعدته ليقول بغضب " الآن ... اريد تحقيقا بالأمر "

ثم اشار بيده نحو سالي بعينيها اللتين جحظتا صدمة من عنف ردة فعله لتسمعه يقول دون ان ينظر نحوها حتى " هذه القمامة اريدها خارج مبنى الشركة خلال ثوان !"

كل ما استطاعت سالي فعله في تلك اللحظة ان تستدير لتقودها خطواتها بنفسها خارج الشركة بينما لون عينيها الاخضر تحول الى سواد الغضب ولمعة التحدي ...

كان يتلكأ في حركاته في الطابق الذي تعمل فيه وعيناه تحاولان التقاط وجودها هنا او هناك ، ما هو متأكد منه دخولها للشركة لكنه لايعلم الى اين التجأت لتستعيد صلابتها وسيطرتها على نفسها ، ترجيحه هو حمام السيدات وها هو ينتظر وقد مرّ اكثر من نصف ساعة بينما يدّعي الاطلاع على سير العمل ...

ما طمأنه انه لم يرَ نظرات فضولية او متسائلة ولم يلمح ما يشير ان احدهم التقط ما حصل عند موقف الحافلات القريب من الشركة نسبيا ..

كتم غضبه الذي يتأجج كلما تذكر ما حصل ! الحمد للّه انه اصبح يأتي بوقت باكر جدا لرؤيتها فقط من شباك مكتبه فهذا ما جعله يلمح نزار ويقرأ التوتر في وقفته المنتظرة ..

في البداية الغيرة نهشته وهو يتصور ان نزار هذا ينتوي محاولة الصلح ورأب الصدع لاعادة الرباط بينهما لكن شعلة من غضب كانت تطل من عيني ذلك الغبي جعلته يدرك انه لاينوي على الخير ابدا ...

وما أن غادر مكتبه لينزل مغادرا الشركة بشعور مفعم بالقلق والارتياب والتوجس حتى رآه من بعيد يسحبها من ذراعها حالما ترجلت من الحافلة !

سابق خطواته الراكضة ليصل اليهما وامتلأ بالغضب الاعمى وهو يسمع صراخه دون ان يفهم الكلمات بينما الناس تتجمهر حولها ليصل غضبه القمة عندما رآها ترفع كفها لتصفعه فأمسك نزار معصمها بعنف واضح ...

اسبل اهدابه يحارب تلك المشاعر البدائية التي راودته في تلك اللحظة ، لايعلم كيف استطاع السيطرة على نفسه والاكتفاء بلكمة واحدة كان يستحق العشرات منها ...

لكن هدفان حركاه ليبتعد عن نزار ... الاول انه لم يكن يريد اثارة جلبة اكبر فتجذب الانظار لما حدث وتقع صفية ضحية لالسنة الناس والهدف الثاني صفية نفسها ... كان قلقا من ردة فعلها .. قلقا من رؤية شحوبها وتلك النظرة .. يا الهي ... دمرته ! بدت تائهة محطمة الارادة ... مجروحة .. وحيدة بلا سند ....

تقبضت يداه دون ان يشعر وارتعشتا بالغضب فجاءه همس مرتبك " عفوا سيد ماهر هل هناك خطأ ما ؟!"

فتح ماهر فمه ليرد عندما لمحها اخيرا ... تتحرك بعينين تعرفان الهدف تلقائيا لكن الجمود على وجهها يوحي بالكثير الذي تحاول اخفاءه ...

" سيد ماهر ؟!!"

اسبغ ماهر لهجة عملية على صوته وهو يقول " كل شيء على ما يرام ، اريد الاطلاع على بعض الامور التي تخص مكتب الاستاذ حكمت ، هل سيعود اليوم ؟"

هزّ الموظف رأسه قائلا " نعم سيدي ، يفترض ان يحضر فقد انتهت اجازته ولكنه عادة لايحضر بوقت مبكر "

ثم اردف الموظف " سكرتيرته موجودة ، رأيتها الآن تدخل مكتبه ، هل تريد ان استدعيها بنفسي ؟"

قال ماهر وهو يرفع معصمه لينظر في ساعته " لا .. انا ذاهب اليها فما احتاجه في المكتب وليس لدي وقت لانتظار الاستاذ حكمت "

تمتم الموظف بجمل معتادة بينما ذهن ماهر يتوقد لمعالجة ما حصل معها ...

دخل بهدوء للمكتب المنعزل نسبيا لموقعه في نهاية الطابق فوجدها هناك ، تجلس محنية الرأس على كرسيها وامامها بضعة اوراق تقلبها بعشوائية ..

اعتصر قلبه رؤية يديها ترتعشان ، جسدها كله يرتعش رعشة خفية تحاول جاهدة السيطرة عليها ..

لم تتنبه لدخوله فسأل بصوت هادئ وباسلوب مباشر " ماذا قال لك ذلك الابله ليجعلك بهذه الحالة ؟! "

تجمدت يداها ورأسها ما زال محنيا فيخفي تعابيره شعرها المسدل ، عاود السؤال بتأن " اخبريني ماذا قال ؟ ولماذا بدى غاضبا بتلك الطريقة ؟! كما انه قال بضع كلمات جعلتني ..."

قاطعته وهي ترفع رأسها بحدة وصوتها تحشرج بالألم والغضب " قال اني فاجرة ! اني بعت نفسي ... "

سحق ماهر فكيه وتجمد محياه بالغضب وشعر بندم فظيع لانه تمالك نفسه ولم يبرح ذلك الحقير ضرباً ...

لكن ...

صفية اهم ...

نظر لعينيها اللتين التمعتا بدموع لم تهطل بينما نظراتها عبرت عن عمق احساسها العنيف بالبؤس والضعف والاذلال !

قال بصوت جاهد ليخرج ثابتا رزينا " اذا جعلت ذلك الاحمق الابله يؤثر فيك للحظة اخرى بكلامه الحاقد سيقل تقديري لذكائك وقوتك "

غامت عيناها بمشاعر قهر وتظلم وكأنها تصرخ لاعتزاز نفسها الجريح ....

اقترب ماهر من مكتبها حتى لامسه بجسده ليسبل اهدابه وهو يمد يده بحركة تبدو عفوية وهو يلامس الاوراق التي كانت تتلاعب بها عندما دخل ثم قال بهمس حازم " اياك ان تشعري بالندم لانك رضيت بمساعدة والدي ، اياك صفية .. "

ثم رفع نظراته الى وجهها المتألم بينما يده استقرت قريبا من يديها المرتعشتين في تأثر واضح مانعا نفسه بمجهود جبار من احتضانهما ليوقف ارتعاشهما هذا ... اكتفى بأن قال بصوت مبحوح " استطيع قراءة ما تشعرين من نظراتك وهذا يغضبني جدا ! "

ضيّق عينيه ليكمل " لاتسمحي لاي كان ان يكسر اعتزازك بنفسك صفية حتى ولو بكلمات واهنة ، ما فعلته لعائلتك يجب ان يكون مصدر فخر لك لا مصدر احساس بالنقص او جرح كرامة .."

ارتجفت شفتها السفلى فاوشك ان يتهور ويسحبها اليه يضمها لصدره بقوة حتى يجعلها تشعر ببعض الراحة لكنه قاوم وهو يتراجع خطوة للخلف ويقول بتحشرج " ساتركك تهدأين الآن وعندي ثقة انك ستلمين شتات نفسك سريعا لتعودي قوية كما انت بالضبط ، لست قوية فحسب بل وذكية وتجيدين التفكير بمنطق واتزان "

استدار هاربا من ضعفه وحاجته للمسها وما أن وصل الباب حتى نادته بهمس مخنوق " هل .. حصل .. شيء .. هناك .."

ألتفت برأسه فقط ليرى اضطرابها يتخذ تنفيسا مريحا له وهو يلمح نظرات مترددة بين التماسك والقلق فقال يطمئنها " لاتقلقي .. لم افتعل شجارا مدويا امام الناس... " ثم غامت عيناه بالعاطفة ليكمل بابتسامة رقيقة " لاجلك فقط يا غزالة .. لذلك اطمئني ...فقط ... اطمئني ..."

ثم استدار مرة اخرى ليغادر وهو يكتم تنهيدات عشق ضاق بها صدره ...

اخذت تبكي بكاءً شديدا تخنقه بكفها بينما عيناها تلاحقان هيئة مهدي العنيفة وهو يتحرك ذهابا وايابا قرب شاطئ البحر ويرفس بقدمه الرمال ينفس عن غضبه المجنون الذي طالها هي ... جزء منه ...

اغمضت عينيها وهي تتذكر خروجه عن السيطرة معها ... لقد اوشك ... اوشك ...

هدر صوته ليجفلها قربه الشديد وهو يشمخ فوق راسها كمارد هادر كامواج البحر " سنتزوج الاسبوع المقبل ..."

تطلعت اليه سلسبيل وهي تمسح وجهها وتقول باضطراب " لكن .. مهدي ... الامتحانا...."

لم تشعر الا وهو ينحني ليسحبها من ساعديها ويوقفها على قدميها ولايفصلهما شيء ...

وجهه كان هادرا كصوته وشعره مشعث كـ..شعرها ! همس بعينين مشتعلتين " أنا مجنون بحبك ... لن احتمل ... لم اعد استطيع ... لقد كلفني الكثير الابتعاد عنك الآن ... فليذهب كل ما حصل مع رياض الى الجحيم ، انا اريدك معي ... ملكي ... لقد انتظرتك طويلا ... اطول مما استطيع تحمله ... حافظت عليك كلؤلؤة لاتقدر بثمن ... لؤلؤة منعت نفسي حتى من التطلع نحوها والتملي بحسن توهجها ... الآن لم اعد استطيع منع نفسي ... لااستطيع "

همست بضعف " مهدي .. فقط ..." احنى رأسه ليضع جبينه على جبينه هامسا " ارحلي الان سلسبيل ... ارحلي ودعيني وحدي اعاقب نفسي على ما فعلته معك قبل قليل ..."

تحرك كفّاه على طول ساعديها وهو يتنهد بعمق ويرتعش كارتعاشها ثم ابتعد للخلف بخطوة يأبى التطلع نحوها ليأمرها بعنف " ارحلي .... سنتكلم ... لاحقا .."

بقلب ينبض بجنون تحركت سلسبيل وهي تلتقط سلتها تاركة البساط يتطاير على الرمال لينحني مهدي ويلتقطه بيده رافعا اياه لوجهه يتشممه وهو يهمس بانفاس متعثرة " ساعة السقيا يا امازونية ..."

لم يتصل بها طوال النهار ، ليس عن عقاب لها لتباعدها عنه ليلة الامس بل لان الخوف الذي شعر به هذا الصباح وهو يرى تلك الحقيرة سالي جعله يفقد توازنه !

لقد اقام الدنيا ولم يقعدها واوشك ان يفصل من العمل مجموعة من حراس الامن والمسؤول عنهم ايضا لولا تدخل ماهر الذي استطاع امتصاص ثورته وطلب منه الاتكال عليه في الموضوع ...

من حسن الحظ ان طبيعة ماهر شديدة التكتم سريعة التصرف وقد استطاع بطريقته احتواء آثار غضبه التي ارتسمت على وجوه الموظفين فلم يكن ينقصه انتشار الامر ووصوله لوالده او عمه شاهر ...

انه لايستطيع التعامل مع احد الآن يكفيه انهاك التعامل مع حوراء ...

لكن بعد ساعة هدأ ! استعاد ذهنه صفاءه وتركيزه ووجد نفسه يقيم الامور من منظار مختلف ....

دخل عبر بوابة بيت عمه بلال ليوقف السيارة في احدى الاماكن المخصصة ثم ترجل بهدوء وعيناه تلمحان ذلك الطيف الحبيب الهارب من خلف الستائر المتحركة عند الشباك ..

ابتسم رغما عنه ... انه يعول عليها بالكثير ... وليس امامه حل آخر ... يجب ان تتغير الامور ... يجب ..

فتح له محمود الباب بصخبه المعتاد وهو يقول بعينين تتوهجان شقاوة " حوراء كانت تنتظرك منذ ساعات وحالما رأتك من الشباك هرعت لغرفتها ..."

ضحك ظافر بينما محمود يحرك حاجبيه بلؤم مرح ...

دخل ظافر وهو يحاوط كتف محمود بذراعه ليقول بهدوء " اذهب اليها واخبرها اني ساغادر بعد قليل واريد مكالمتها قليلا .."

عبس محمود وهو يسأل " لماذا ستغادر ؟! ألن تبيت عندنا ؟؟"

كتم ظافر مشاعره ليقول بصوت متحشرج " لا ... هذه الليلة لن افعل ... فقط اذهب ونادها .."

ركض محمود بحيويته المعتادة قاطعا درجات السلم بسرعة قياسية بينما التفت ظافر لعنته التي اتته مرحبة ...

في ظلمة الليل التي فضلها ظافر ليداري بعضا من مشاعره عن عيني محبوبته التي تدّعي الخصام والغضب بينما لغة جسدها تقول انه يضنيها تباعده كما يضنيه وهذا اراحه قليلا وجعله يكمل ما قرر فعله ...

قال وهو يتكتف مستندا بظهره على سيارته " الليلة ساعود بمفردي لبيتنا لكني فكرت ان تناول العشاء معاً في الخارج ، فما رأيك ؟ "

عبست وهي ترمقه بتلك العينين اللتين يعشقهما " لماذا ؟!"

امال رأسه وهو يبتسم ليسألها مداعبا " لماذا سأنام بعيدا عنك ام لماذا العشاء في الخارج ؟"

احمرت وهي تشيح براسها لتقول بحشرجة " لماذا العشاء في الخارج طبعا فأنت حر اذا اردت الابتعاد .. عني .."

ضحك بخفوت وهو يقول بشغف " انا لست حرا مولاتي ... وانت تعرفين ... اما العشاء فهل احتاج لسبب حتى اخرج مع زوجتي ؟!"

بانت الحيرة على وجهها لكنها قالت ببساطة " لا طبعا ... لاتحتاج .. حسنا امهلني بعض الوقت لاغير ملابسي ..."

تحركت بينما يمازحها قائلا " لك كل الوقت واذا احتجت مساعدة مني فلك هذا ايضا .."

امتعه ارتباك خطواتها .. ثم تنهد وهي تغيب عن ناظريه ليهمس " متى ستفهمين ؟! متى ستعرفين ؟؟؟"

طرقت نادية الباب على ابنتها قبل ان تسمع ردها لتفتحه وتدخل ، وجدت سلسبيل تجلس على سريرها تضم ركبتيها لصدره وقد شردت نظراتها دون استقرار واضح المعالم ...

اقتربت منها حتى وصلت اليها وجلست بجانبها وهي تلف ذراعها حول ظهرها وتقول " ماذا حصل بينك وبين مهدي يا سلسبيل ؟"

لم تلتفت سلسبيل لامها لتضيف الام " انا لن اضغط عليك بالسؤال لكن الا ترين من حقي ان اعرف على الاقل سبب الحاح مهدي لتسريع الزواج ؟! "

احمرت سلسبيل رغما عنها بينما تبسمت نادية لتقول بمناغشة ناعمة " هل الشوق استبد بالوسيم ؟!"

ضمت سلسبيل شفتيها لبعضهما ولم تستطع النطق بشيء ! مما جعل نادية تتوجس من حالتها اكثر..

قالت نادية بهدوء " والدك يبدو رافضا لهذا التسريع ومهدي ما زال يحاول اقناعه بالاسفل ..."

استمر صمت سلسبيل لتتنهد نادية باحباط وهي تنظر لملامح ابنتها التي انغلقت تماما لتخفي الكثير مما يعتمل داخلها !

قالت نادية وهي تقف على قدميها " الوقت ليس مناسبا لكلامنا الآن ، والدك يريدك في غرفة مكتبه ، يريد ان يسمع رأيك وامام مهدي قبل ان يقرر هل يوافق على طلبه ام لا ..."

في غرفة المكتب كانت سلسبيل تقف بشموخ وهي تنقل نظراتها بين والدها الهادئ ظاهريا ومهدي المتماسك بواجهة صلبة ...

استقرت نظراتها على والدها الذي يجلس على كرسيه باسترخاء بينما عيناه تدرسانها بدقة وكأنه التقط ما تريده ليقف على قدميه بسلاسة وهو يقول " حسنا .. ساعطيكما ربع ساعة فقط لتتكلمان ... بعدها اريد رأيك يا سلسبيل فيما يطلبه مهدي ..."

ثم غادر آسر تاركا ابنته بوقفة مشحونة بينما ابن اخيه يجلس على الكرسي ينتظر باستكانة غريبة !

قالت سلسبيل حالما خرج والدها " انا موافقة مهدي .."

عيناه التمعتا بفرح متوجس مرتاب ! وقف على قدميه بينما ترفع سلسبيل ذقنها وتقول بسيطرة محكمة على النفس " لكن بشرط واحد .."

ضيّق مهدي عينيه وهو يقول بصلابة " وما هو ؟"

ردت وعيناها تموجان بمشاعر صاخبة هزّته بعنفوانها " ان تدعو رياض بنفسك لحفل الزفاف .."

في ركن هادئ شبه منعزل عن جميع رواد المطعم جلست حوراء مقابل ظافر تتطلع اليه بفضول ...

اقلقها صمته رغم نظراته التي تداعبها كلما
رآها تنظر اليه لكنه ايضا لم يبدُ على طبيعته
! ذهنه بدى حاد التركيز مع هذا بدى مشغولا !

قالت اخيرا وهي تضع شوكتها جانبا " لماذا
تلتزم هذا الهدوء يا ظافر ؟!! "

رفع نظراته اليها ليتطلع بوجهها الفاتن والذي لم
تمسه اي مساحيق تجميل ، ووجد نفسه يتذكر
وجه سالي بزينة وجه متقنة شديدة الدقة
وكأنها قضت ساعات لاعداد التأثير الاكبر
الذي تستطيع ابرازه ....

غامت عيناه وهو يفكر " حوراؤه مختلفة ... دوما
مختلفة عن اي شيء مرّ عليه في حياته ، انها
تستحق كل الجنون والهوس اللذين يشعرهما

نحوها ، كما تستحق ان يلجم هذا الجنون
وذلك الهوس! يروضهما كما تروض الخيول
البريّة الجامحة "

مد يده ليلتقط منديلا يمسح به فمه ثم قال "
اريد التكلم معك .."

صمت للحظة قبل ان يكمل " عن ... ماقلته
بالامس في الحديقة ... "

رآها كيف اتسعت عيناها ثم توردت وجنتاها
فابتسم برقة ليقول " انا فكرت به جيدا .. عليّ
ان اعترف انك ... محقة "

رآى بعض التوجس يلتمع في عينيها لكنه اكمل بصوت مبحوح " اعترف ان حمايتي لك اصبحت مفرطة وانها طالت حتى اكثر اوقاتنا الحميمية "

ارتعشت ابتسامة شوق على شفتيه فادركتها هي لتحمر بشدة فاشاحت وجهها بعيدا وهي تسمع ضحكته الخافتة وهو يهمس " آسف ...لااقاوم !"

اكمل وصوته يتشبع بحنان متدفق " انا احب خجلك هذا حوراء ، احبه ولايؤرقني كما يؤرقك ، على العكس انا استمتع بردود افعالك البريئة الساذجة ، واهيم عشقا بمحاولاتك الخجولة لارضائي ... "

اخذت تلامس خديها في خجل فظيع لكنه لم يهتم فأكمل ببساطة " انا سبق واخبرتك هذا اكثر من مرة لكن يبدو اني لم اكن واضحا كفاية اوربما شعورك اني اراعيك ولااطلق لنفسي العنان جعلك تظنين اني اكذب او ربما لااريد مصارحتك بالحقيقة .."

نظرت اليه فبدت اكثر فتنة بوجهها المحمر وعينيها المتسائلتين !

رفع كفه امامها ليهمس بصوت مبحوح " انا اعرفك كخطوط راحة يدي هذه لذلك اعرف ان ما انتظره منك قادم لامحالة ، قلتها لك سابقا وساقولها مرة اخرى ، انت امرأة عاطفية جدا وسيأتي الوقت الذي تشعرين فيه بالتحرر من قيود الخجل معي ، انا لااعاني كما تعتقدين ..

انا مستمتع وراض بانتظارك ... خذي كل الوقت الذي تحتاجينه .. " رمشت بعينيها فابتسم وهو يضيف " لن نعود للكلام عن هذا الموضوع مرة اخرى ، ولن تعاودي ذكر نساء سابقات .. لانك بالنسبة لي الآن كل النساء .. اتفقنا مولاتي ؟؟ "

كان يكلمها بنعومة شديدة لكنه كان بمنتهى الجدية وقد ادركت حوراء ان يعني فعلا كل كلمة قالها ، وجدت نفسها تهزّ رأسها ب(نعم) ...

تنهد ببعض الراحة ليطرق قليلا وقد تغيرت نبرة صوته وهو يقول " ما دمنا اتفقنا على ما يؤرقك فلنتفق على ما يؤرقني أنا ... لاني ..." صمت للحظة قبل ان يكمل " لاني احتاج لمساعدتك انت يا حوراء ..."

رفع نظراته اليها كاشفا عن ذلك الخوف دون قيود ليهمس بحشرجة " انا ببساطة ... اخشى ... فقدانك ..."

رقت نظراتها لكنها قالت بهدوء جاد " اليس هذا ضعف ايمان منك ؟!"

هزّ كتفيه وهو يعاود الاطراق ليقول " ربما ... وربما ... لان هناك ما يغذي مخاوفي ايضا "

سألته دون مواربة " هل انا السبب ؟ هل فعلا اوحي لك بكل هذا الضعف الذي يجعلك تعاني خوفا علي ؟"

ابتلع ريقه قبل ان يقول " ظاهريا نعم ، لكن في داخلي استشعر ان المشكلة ليس مجرد ضعفك البدني ... احيانا اتصور اني لااستحق طهرك ونقاءك "

ابتسمت له فانسكب بعض الانشراح لصدره ثم همست بعذوبة " ربما يريد الله ان يمنحك فرصة ... لماذا لاتفكر انها نعمة ..."

شعرت انه يقاوم شيء ليعبر عنه ... فقالت تشجعه " حسنا .. انت قلت انك تحتاج لمساعدتي ... ولكني اعتقد ان هناك المزيد تحتاج لمساعدتي فيه .."

قال بصوت غامض " احيانا .... ينتابني الغضب منك .... غضب شديد .. احباط لاحدود له ..."

رفعت حاجبيها بذهول وهي تسأله " غضب ؟ ... احباط ؟!!! لماذا ؟؟ "

رد بنفس النبرة " لانك لاتمنحينني الاطمئنان الذي احتاجه "

قالت بضيق " هل سنعود لقولك اني لااحبك كما تحبني ؟"

كانت ملامحه ساكنة تماما مما اثار ارتياب غامض في داخلها ، قال " انا احبك لدرجة لايوجد شيء في الدنيا يجعلني ابتعد عنك اما انت ... فبلا ..."

اوشكت ان ترد عندما اضاف بنظرات لم تفهمها " لاتجعليني اشعر انك متمسكة بي حقا ، عندما حصل ما حصل مع تلك الـ.."

اطبق فكيه ليصمت للحظات وكأنه لم يستطع تجاوز الامر مما اثار ذهولها لانها هي من يفترض ان تعاني من الامر لا هو !

ليزداد ذهولها وهو يكمل بألم واضح " لقد طلبت الانفصال حوراء .. هل تعلمين معنى ان تقولي لي لااستطيع الاكمال معك ؟!!"

رددت وهي تحاول التواصل مع عمق ما يقول " لكننا تزوجنا .. وانتهى الامر "

قال وصوته يفضح ذبذبات التوتر " اجل ... تزوجنا ولكن ... الامر لم ينتهِ ! بل اصبح اسوأ ! اختلطت علي اسباب المخاوف ، ساعة افكر بضعف جسدك وساعة افكر بالاقدار المفاجئة وساعة افكر بماضيّ لو ظهر منه شيء كما حدث سابقا هل ستتخلين عني مرة اخرى ؟؟ ظللت اتخبط في قلق مستمر يحاوطني من كل جانب .. كله يدور حول فكرة واحدة ... فقدانك ..."

عقدت حاجبيها وهي تنظر اليه بتدقيق ثم قالت " قد أكون صدمت بوقتها واحتجت لبعض الوقت حتى استعيد توازني لكن الآن الوضع اختلف "

تنبهه لها جعلها تتوجس من شيء خفي تشعره قريب دون ان تدرك ابعاده ! قال بتركيز شديد " كيف الوضع مختلف ؟!"

ردت بايمان صادق " انا رضيت بك ظافر بكل اخطائك ، لاني احبك .. احبك جدا .."

ثم غامت عيناها وهي تقول ببعض الحسرة " اتمنى لو استطيع ان اثبت لك كم احبك ... ان اثبت لك اني قوية فعلا .."

اشتعلت عيناه وكأنه التقط ما يريد ! فقال بصوت أجش " انت تقولين انك تحبينني وانك قوية اليس كذلك ؟ "

ردت مؤكدة " نعم ..."

شعرت بتوقف الزمن وهو يحيطها بهالة من الترقب الممزق ليقول بصلابة " حسنا ... ماذا ان قلت لك ان تلك السافلة زارتني في مكتبي صباح اليوم تدّعي الاعتذار ؟! "

تطلع مهدي لوقفة سلسبيل الشامخة ونظراتها المشعة بالاصرار ... فقط الاصرار لاغير !

قال بصوت مثخن بمشاعر الرفض " انت تطلبين الكثير يا سلسبيل ! بل اكثر من الكثير .."

لم تتراجع ولو بشعرة عن اصرارها الشامخ لتقول " انا اطلب منك طي تلك الصفحة بل ... حتى تمزيقها ... اطلب ان تمنحني الثقة المطلقة .. اطلب ان يكون قلبك خالصا بالحب لي دون اي شوائب ... كما هو الحب الذي احمله لك في قلبي "

تطلعا لبعض ... وكأنهما يقفان على الحافة !

كانت سلسبيل اول من ابدى ردة فعل وهي تسبل اهدابها وتتراجع للخلف هامسة " ساخبر ابي ان لي شرطا ومتى حققته سأكون لك بفستان الزفاف الذي تختاره لي بنفسك ..."

غادرت غرفة مكتب ابيها ومهدي ما زال على وقفته وملامحه لاتعبر عن دواخله المهتاجة في كل الاتجاهات ....

اوقف سيارته عند باب البيت ثم تطلع لوجهها فلم يتبين الكثير من ملامحها وما تحمله من معانٍ ، لكنه لايحتاج لينظر ... ان يشعر بها فقط ...

همست بهدوء شارد " هل حقا لن تبيت هنا الليلة؟!"

ابتسم لعينيها ثم مد يده والتقط يدها وهي لم تمانع ، انحنى ليقبل باطن كفها وهو يهمس بحرارة " أنا سأعود لبيتنا حوراء ... لن اثقل عليك بوجودي الخانق !"

شهقت بنعومة وهي تقول باعتراض " لاتقل هذا ظافر ! "

اتسعت ابتسامته وهو يطبع قبلة اخرى ليقول بصوت مبحوح " خذي كل الوقت لترتاحي هنا ، انا سأكون بانتظار عودتك متى كنت مستعدة .."

ارتعش صوتها وهي تسأله " لماذا ... اتتك .. تلك الفتاة حقا ؟! ماذا .... تريد منك ؟"

رفع رأسه اليها وقد غابت ابتسامته ليقول بهدوء ظاهري لايعكس خوفه العميق " لايهم ما تريده مني ، هي لاشيء ... ما يهمني هو كيف يكون تصرفك لو تكرر الامر ... "

عاودها نفس الشرود الذي انتابها في المطعم حالما اخبرها عن تفاصيل ما حصل صباح اليوم ، شرود انتهى بمغادرتهما وقد اكتفت بالقول " لابأس ! لاتقلق ! "

كان يعرف ان الصدمة والغيرة غلبتاها فلم يثقل عليها ولكنها يجب ان تجد القوة للمواجهة .. يجب ان تدافع عن حقها فيه ...

ردت بحشرجة " انا اسفة .. احتاج فقط .."

قاطعها بنعومة " لك كل الوقت ... دائما حوراء ... "

سحبت يدها من يده وفتحت باب السيارة لكنها لم تترجل قبل ان تميل نحوه لتقبل شفتيه قبلة خاطفة وهي تقول بصوت مخنوق " تصبح على خير ...."

ثم غادرت السيارة وخطواتها نحو باب البيت تكشف اهتزازها الداخلي الذي جاهدت للسيطرة عليه ....

غامت ملامح ظافر بينما يهمس " لاتقلقي مولاتي .. فقط تذكري ما تعنينه لي ..."

ثم حرك سيارته ليغادر متجها لبيتهما ، تنهد تنهيدة عميقة وهي يصل هناك ليدخل عبر البوابة الخارجية بقلب مهموم ببعد الحبيبة ..

ومن بعيد كانت عينان خضراوان تراقبانه عبر نافذة سيارة الاجرة ، ابتسامة هانئة برؤية عودته وحيدا بعد ان ترك بشعة الملابس تلك في بيت والدها ...

همست لنفسها " حسنا .. سنرى الى متى ستقاوم العودة الى طبيعتك النارية التي لاتقدرها امرأة مثلي ..! "

في الغرفة الكبيرة التي جمعتها بأختيها تمددت صفية على احد السريرين الحديدين بينما تشاركت اختاها السرير الآخر ، شعرت بالغيرة لانهما تتشاركان السرير بينما هي تفتقد بشدة احتضان احداهما اثناء النوم وخصوصا تلك الشقراء المشربة بالحنان !

انها تجد في دفء التقارب هذا كبلسم لوحدتها الثقيلة التي باتت تنهشها اكثر واكثر بتزايد الاعباء على كاهلها ...

تنهدت وهي تتطلع للسقف ، جذبتها تلك النقوش القديمة الطراز ، قد لا تعجب احدا هذه الايام لكنها احبتها ، جعلتها تشعر وكأنها في متحف لفن العمارة ..

غامت عيناها وهي تتذكر حلما قديما روادها
لتصبح متخصصة في هندسة المعمار ...

نحت جانبا تلك الافكار التي تستهلك دون ان
تعطي نتيجة مرضية، عليها ان تبحث عن
استقرار حقيقي ثابت لها ولعائلتها ، ما حصل
اليوم يجب ان لايهزها ، اجل ما قاله ماهر صحيح
، انها قوية ولديها من العقل ما يسند قوتها هذه
وعليها نسيان ما حصل وطي صفحة نزار للابد ،
التفكير المنطقي يقول انها اولا يجب ان تثبت
نفسها بالعمل وان تقدم افضل ما لديها لتحظى
بترقية مثلا او زيادة تستحقها في الراتب وربما
في المستقبل ستقدم على دراسة مسائية اخرى
في تخصص ما ..

صوت ضحكات اختيها وهما تتهامسان عن بعض
ما حدث معهما في المدرسة جعلها تبتسم ..

انقلبت على جانبها وافكارها تسرح فيه ... هو
... ماهر الغازي ....

عيناه المهتمتان تداعبان مخيلتها ، صوته
المبحوح لم يعد يستفزها ، بل اصبح له تأثيرا
من نوع ما ليجعلها تسترخي بشكل عجيب !

ابتلعت ريقها وهي تهمس لنفسها " هذا يحدث
فقط عندما لايحاول التكلم باسلوبه المبطن
عن المشاعر !"

عقدت حاجبيها وهي تطوي ذراعها لتتوسدها
تحت رأسها ثم همست " هل يجب ان اواجه نفسي
بما استشعره منه و... له ؟!! "

رنين هاتفها فاجأها .. مدت يدها لتلقطه من على المنضدة الجانبية ليطالعها رقم تعرفه لكن أبت ان تسجل اسم صاحبه ... هل هي تعانده ام تعاند نفسها ؟!!! انها .. لاتعلم ..

فتحت الهاتف وهي تغادر سريرها لتترك الغرفة متوجهة نحو الصالة المظلمة بينما صوته المبحوح يصلها برعشة مثيرة " هل كنت نائمة ؟"

ردت وعيناها تلتقطان الضوء المطفئ في غرفة والدتها واخيها طه " كنت على وشك .."

قال برقة " مساء الخير ..."

عضت شفتها رافضة تلك الخفقات المتسارعة لمجرد ان القى لها تحية مساء عابرة ...

ردت بجدية معاندة " مساء الخير ..."

سألها بنفس النبرة " هل انت بخير الآن ؟ رأيتك تغادرين الشركة وبدوتِ افضل حقا .."

قالت وهي تمرر اصابعها بين خصل شعرها بارتباك " اجل انا بخير ، لاتقلق .. كانت مجرد صدمة .. لم اتوقع منه ما فعل .."

صمت للحظات قبل ان يهمس " علي ان اعترف اني اشعر بغيرة وحشية لمجرد ذكرك له "

خفقات قلبها خنقتها ولم تجد ما تقوله الا " شكرا .. لكل شيء .. انا ... تصبح على خير .."

ضحكته الناعمة كانت آخر ما سمعته وهي تغلق الخط ...

شعرت بتوهج وجهها فذهبت للحمام لتبرده بالماء قليلا وهناك ... وامام المرآة ... هالها ان ترى خديها كحبتي طماطم هكذا !

صوت وصول رسالة نصية جعلها تنظر للهاتف الذي ما زال في يدها ، فتحته بارتعاش وقرأت الرسالة (لو شعرت بخفقة قلب واحدة افلتت منك فتذكري من تتخبط خفقات قلبه على الدوام ... تصبحين على خير يا .. غازية !)

نظرت لوجهها في المرآة لتقرأ ملامح التشتت ... لا ... ليس التشتت فقط ... اغمضت عينيها ورفعت يدها لقلبها الخافق وهي تهمس باضطراب " يا الهي لاتجعل هذا يحدث لي ... لااريد ... لااريد ..."

صباح اليوم التالي

كانت نادية تهز رأسه وهي تبتسم بينما نجلاء تكلم نهى عن خيبة املها بابنتها حوراء !

قالت نجلاء باحباط " هل تتصورين تلك الفتاة التي ستقتلني غيظا تترك زوجها يغادر بمفرده لادخل صباحا غرفتها فاجدها غارقة بالنوم وهي تتشبث ببلوزته القطنية ! لاافهم ما بها ؟! اذهبي اليه .. دلليه ... وتدللي عليه ... ماذا افعل بها يا ربي ... اكلمها فتتخضب وجنتيها وتواري نظراتها عني !!"

اطلقت نهى ضحكة ناعمة ثم قالت " اصبري عليها يا نجلاء ، ليس ذنبها انها مختلفة عنك

ولاتملك جرأتك ... كما انه لم يمض الا بضعة اشهر على الزواج "

رفعت نادية حاجبيها وهي تقول ببداهة " اخبريها نهى ! اخبريها انها لاتملك العامل الوراثي الخاص بجنون آل الغازي "

عبست نجلاء بعدم رضا ثم امسكت بذراع نهى وهي تقول بجدية " ابنتي بحاجة لبعض المساعدة وانت خير من سيعينني "

ضحكت نهى مرة اخرى بينما نادية تخلع نظارتها الطبية وتقول بتحذير " لاتضغطي عليها نجلاء ، دعيها تستكشف حياتها الزوجية بنفسها ، انها خجولة فقط وليست غبية ! كما انها قوية الشخصية وسترين ان قوتها هذه ستظهر يوما ما بشكل يصدمك لتكتشفي انها ورثت الكثير من عنفوانك ..."

لكن نجلاء اصرت قائلة " انا لن اتدخل بالكلام .." ثم التفتت لنهى وهي تحرك حاجبيها مضيفة " ساتدخل بالفعل ! "

قالت نهى بفضول " ماذا تنتوين يا ابنة خالتي المجنونة .."

ضحكت نجلاء وهي تقول " شراء جهاز عرس (حقيقي) متأخر جدا ... هذه المرة لن تكون معي لتمنعني من شراء كل ما ارغب به لها ..." ثم غمزت مضيفة " لهما معا ..."

ضربت نادية كفا بكف وهي تقول " لاتبالغي نجلاء ، كما الامر لايحتاج لتخطيط ! هذه النوعية من الملابس تغرق المحلات ، مع اني لااتصور حوراء سترتدي مثلها ابدا !"

هنا تدخلت نهى لتقول بلهجة محترفة " اخالفك الرأي نادية ، ما يغرق الاسواق حاليا مبتذل بصراحة لايرقى للرومانسية بصلة ، قد يكون مثيرا لكن بطريقة فجة ! ولا ألوم حوراء اذا رفضت شراء هذه النوعية "

حولت نهى نظراتها لنجلاء وهي تكمل بابتسامة حلوة " اعتمدي علي .. هناك فن خاص اسميه فن الانتقاء ! لكل انثى لها ما يناسبها .. ليس شكلا فقط ولكن يناسب شخصيتها ايضا .."

تنهدت نجلاء وهي تدمدم " هذا يعني ان المسكين ظافر سيعاني الى الابد !"

اغرقت كل من نادية ونهى في الضحك بينما نجلاء تمط شفتيها بتذمر !

خارج باب مكتب شاهر الغازي وقفت صفية تتنفس الصعداء ! اخيرا جرأت على الذهاب لمكتبه وشكره .. بل حتى اعتذرت عن التأخر وهو لم يخذلها .. كان متفهما بشكل لايصدق ... همست في سرها بابتسامة صافية

" شاهر الغازي ... ليتك كنت أبي !"

وجهت ابتسامتها لمساعدته وهي تشكرها لتغادر المكتب على عجل وتلحق بعملها فالاستاذ حكمت عاد ولديه الكثير من الاعمال المتراكمة ...

" صباح الخير .."

جملة القاها اليها آسر الغازي وهي تلتقيه في طريقها للمصعد ... بدى وكأنه ينتظرها بشكل ما وهذا وترها ! لماذا تظن ان آسر الغازي ينتظرها هي ؟!!! ومن تكون بالنسبة له ليوليها اهتماما كهذا ؟!!!

تطلعت لعينيه فلم تصل لشيء من نظراته اليها فردت بلطف " صباح الخير سيد آسر "

ضيّق عينيه قليلا فوترها اكثر ، حتى ابتسامته جعلتها تشعر انها تقف على صفيح ساخن !

قال بغموض مرح " تبدين مختلفة ! "

احمرت ! ولا تعلم سببا بالضبط لاحمرارها السخيف هذا !

لكن تلك النظرات الذكية التي لاتعرف الحواجز حدودا ، تتسلل الى دواخل من تترصده وتستكشف اعماقا مجهولة حتى لصاحبها ....

قالت صفية بهدوء وثقة " اتمنى ان يعني هذا اني ابدو افضل !"

التمع اعجاب في عينيه ليقول بمراوغة " الافضل انت من تحددينه ... انا اقول ما اراه فقط يا ... صغيرة .. اليس هذا ما يدعوك به اخي شاهر ؟!"

ابتلعت ريقها وتلك النظرات الحاذقة لاترحمها بينما ابتسامته الصغيرة اربكتها ليفاجئها بأن تركها قائلا " سعدت برؤيتك .. مختلفة .. هذا اليوم ..."

كانت خطواته هادئة بينما افكاره تنتظم ...

انه حاليا متفرج مترقب ...

ظافر ... مهدي ... ماهر ...

انهم عماد مستقبل آل الغازي .. عليه ان يقرأ خطواتهم قبل ان يخطوها ليدعم هذا العماد عند الضرورة ...

دخل مكتبه ليجد ظرفا قرأه محتواه بالامس ..

جلس على كرسيه ومد يده ليستخرج تلك الصورة التي التقطتها كاميرات الشركة عند المدخل ، تطلع آسر لصورة تلك الشقراء المغوية وهمس بصوت ينضح قساوة فطرية لمن يهدد ما يخصه " ساتركك تلعبين .. فقد تكونين كارتا كاسبا في النهاية .. لنرى "

وبسلاسة اعاد الصورة للظرف ثم وضعه في احد الادراج ليستعيد ذهنه حيويته التي يخصصها للاعمال ...

عند الآلة الناسخة وقفت صفية تنظر بجزع وحنق للاوراق التي حشرت فيه بعد عدة محاولات فاشلة للتعامل مع هذا الجهاز اللعين !

تأففت وهي تتطلع خلفها بانتظار ان يظهر احدهم ليساعدها لكن لايوجد الا بضع موظفين كل يركز في اعماله ...

عاودت النظر للجهاز وحاولت مرة اخرى معالجة المشكلة لكنها فشلت ! كزت على اسنانها وقالت بحنق طفولي " اقسم باللّه سارفسك بقدمي حتى تعاني سكرات الموت الحقيقي !"

ضحكات من خلفها اقتربت وهي تستدير بشعور مخجل !

رأته ... هو من زار احلامها بالامس !

همست " اللعنة !"

فضحك ماهر مرة اخرى وهو يقف قريبا جدا منها ليرتكز بيده على حافة الجهاز وعيناه تتفحصان وجهها بجذل ثم قال بنعومة " لم اكن اعلم ان الاجهزة الالكترونية قد تعاني سكرات الموت في يومٍ ما !"

احمرت اكثر وهي تقول بارتباك " اسفة .. لكن هل تستطيع مساعدتي ؟!"

للحظات لم يرد وهو يحدق فيها بتلك الطريقة المقلقة ! ثم قالت واثر الابتسامة على شفتيه " مؤكد استطيع يا غزالة .."

تنحت جانبا لتعطيه المجال حتى يحاول مع الجهاز ، عيناها تركزتا على يديه وهو يتعامل مع الاوراق المحشورة بسلاسة غريبة !

عبست وهي تفكر انها هي من اصبحت غريبة الاطوار ! ترى هل هذا ما قصده آسر الغازي عن كونها تبدو مختلفة !!

بحّته المميزة اتتها مع انفاسه وهو يهمس " الجهاز يعمل الآن .."

مدت يدها لتضعها على الجهاز بعفوية وهي تقول " هل انا من كنت اضغط على الخيار الخطأ ؟!"

لم تشعر الا بيده تمسك يدها تلك وهو يهمس بحرارة " لااخطاء بعد اليوم يا صفية .."

رفعت عينيها اليه وهي تحاول بجزع تخليص يدها منه هامسة " اترك يدي... لايجب ان تفعل هذا والـ ... الموظفون .. سيرونك .. ارجوك ..."

قال بنبرة مؤثرة " لااحد يستطيع ان يرى يدي تمسك يدك اذا كان هذا ما يقلقك ، انا اجيد الحفاظ على ما يهمني ..."

كانت تبحث عن شيء من الغضب ليكون وقودا لها لكنها لم تجد ! حتى عنفوانها تراخى وهي تواجه نظراته المشتعلة اليها ...

شفتاه تحركتا بأسمها بطريقة لم تألفها من قبل ! وكأنه لايلفظ اسمها هي بل كأنه يخلق اسما جديدا من اسمها !!

" صباح الخير بنيّ ..."

صوت انثوي ناعم اخترق عليهما ضبابية اللحظة فتلاشت الحروف ....

الفصل الحادي عشر

اجاد ماهر الاستدارة بسلاسة طبيعية لاتشوبها شوائب الارتباك مخفيا صفية خلف ظهره ليرد على امه بابتسامة بشوشة وهو يتقدم نحوها " صباح الخير امي "

مال برأسه حالما وصل اليها ليطبع قبلة على خدها بينما يلمح نظراتها الفضولية التي عبرت كتفه نحو صفية ، قالت نهى بصوت منخفض " من هذه الفتاة ؟"

لف ماهر ذراعه حول كتفي امه ليقودها برقة خارج الغرفة وهو يقول " انها تعمل عند الاستاذ حكمت "

ثم اضاف غامزا " ما الذي اتى بك يا جميلة ؟ هل اشتقت لشاهر الغازي ؟؟"

ضحكات الام الرقيقة كان اخر ما وصل اذني صفية وهي تعافر للسيطرة على ارتباكها وخجلها المضني !

ما زالت تقف عند جهاز النسخ ، يدها التي كان ماهر يمسكها قبل قليل وهو يهمس باسمها ما زالت متراخية على سطح الجهاز وهي عاجزة عن تحريكها حتى الآن !

ابتلعت ريقها بصعوبة وارتعاش لذيذ يغيظها !

ماذا حصل للتو ؟!! هل عجزت عن التعامل مع ماهر الغازي ؟

هل حقا لاول مرة تشعر بالخجل لانها كانت تقف معه ثم باحساس مخزٍ بفعل شيء خاطئ تجنبت النظر نحو والدته وهي تدعي انهماكها بسحب الاوراق ؟!!

لامست جبينها باطراف اصابعها وهي تهمس " ماذا يحصل لك يا صفية ؟؟ توقفي ... هذا الطريق اخطر مما تتخيلينه .. انه ماهر الغازي .. وانت ... صفية ! فقط صفية ... اسم تحاولين ايجاد مكان له وسط ملايين الاسماء التي تسبقك بمراحل ! اما هو .. فأسمه يسبقه ليعرّف عنه بتوهج واضح دون ان يكلفه الامر بذل اي مجهود او عناء ..."

عبوس جعد جبينها وحنق ملأها وفي معظمه موجه لشخصها ! ثم بسيطرة متأخرة على النفس عزلت اي تفكير آخر بعيدا عن ..... التعامل مع هذا الجهاز العنيد !.....

تأففت سالي وهي تنقل الهاتف لاذنها الاخرى تضغطه بجانب رأسها على كتفها بينما تهتم بصبغ اظافر قدميها باحترافية واضحة ..

قالت اخيرا بتضجر لابيها الغاضب عبر الهاتف " ابي توقف ... انت تزعجني حقا !"

تبدلت لهجة الاب وقد اعياه افلات الامر منه ليقول بتخاذل " اتوسل اليك يا سالي .. عودي .. لو علم آسر الغازي ستكون كارثة علي .. علينا جميعا!"

ردت بلامبالاة " لايهمني ... تهديد اسر الغازي لك لم يعد له تأثير علي منذ زواجي ، كما اني لم اعد بحاجة لاسنادك المادي الذي اذللتني به وجعلتني اتخلى عن فرصتي مع ظافر .."

هتف بها والدها وقد اغاظه جنوح افكارها " انت مجنونة ! الا كرامة لك ؟!! لااعرف كيف ربيتك لتكوني هكذا ؟!! دوما كنت تترفعين على الجميع لماذا تبدين لذلك الشاب مثل هذا الهوس ؟!!"

ارتعشت يدها فتلطخ اصبعها باللون الاحمر !

قالت بحشرجة " لا علاقة بالكرامة ... انا اريد ظافر الغازي وانتهينا .."

رد ابوها مصعوقا " رباااه ... لكنك متزوجة ! وهو ايضا ..." ابتلع ريقه ليضيف بجزع " زوجك لن ..."

قاطعته بحدة وهي تمسح اصبعها بعنف " زوجي لايعدو ان يكون صورة جميلة منقمة اضعها باطار انيق واعلقها على الحائط !"

اضطرب الاب اكثر ! لم يتصورها قد وصلت لهذه الدرجة !! ماذا يحصل لها ؟؟؟

قال في محاولة اخيرة لثنيها عن خططها ووضع مزيدا من المخاوف في طريقها " لكن والد زوجك مختلف ! اذا علم بما تفعلينه من وراء ظهر ابنه المغفل ستكون كارثة اخرى .."

عادت لتقول ببرود " لايهمني ايضا ! انا اريد ان اكون زوجة ظافر وسأكون ... رغما عنكم جميعا ...!"

تقدمت نهى لتعانق زوجها بينما ماهر يبتسم بجذل لرؤيتهما معا ...

احساس بالضيق تملكه للحظات ثم ...

" ما بك تعبس هكذا بنيّ ؟!"

رد ماهر بسلاسة على امه " لاشيء امي .. تذكرت عملا مهما .."

لف شاهر ذراعه حول خصر زوجته وهو يقول لابنه بغموض " حسنا .. ضع في بالك انك ان تنهيه الآن وباسرع وقت لانك ستسافر خلال ساعة لفرعنا الجنوبي ، هناك بعض الامور التي لاتعجبني واريد تقريرا مفصلا امام مكتبي في اقرب وقت ، قد يطول بقاؤك حتى يوم الخميس ..."

تردد طفيف التقطه شاهر في عيني ابنه لكن شبيه عمه تداركه سريعا ليقول ببساطة " امرك ابي ... ساذهب لانهي ما لدي هنا اولا .."

قالت نهى وهي تتطلع لابنها بتدقيق " هل لديك مساعدات بني ؟ .."

ابتسم ماهر وهو يسبل اهدابه ثم قال " مساعد واحد فقط ... امي ... ولااحتاجه معظم الوقت !"

ثم استأذن ليغادر فسارعت امه لتقول " حاول ان تأتي باكرا يوم الخميس بني ، فعمتك نجلاء تعد مأدبة عشاء للعائلة كلها..."

اكتفى بهز رأسه وهو يغادر مغلقا الباب خلفه ..

رفعت نهى رأسها لزوجها وهي تقول بحاجبين معقودين " الا يبدو ماهر مختلفا ؟!"

غمغم شاهر وافكاره تتشكل اكثر " نعم .."

وجدها تكب على عملها باهتمام مبالغ فيه ، ابتسامة جانبية داعبت ثغره ثم ناداها وهو يدخل المكتب

" صفية ..."

رأى بوضوح كيف تجمدت يدها ثم ردت بصوت بارد دون ان ترفع عينيها اليه " نعم سيد ماهر ..."

تمتم بتسلية وهو يقترب من مكتبها " سيد ماهر ...... اممممممممم "

ايضا لم تنظر نحوه بينما قال بصوت منخفض ناعم " سيد ماهر جاء ليودعك قبل سفره الذي سيطول ليومين ..."

يدها الجميلة الرقيقة تقبضت فقال بنبرة عتاب مرح " لن اراك حتى نهاية يوم الخميس هذا اذا لحقت اصلا ... والآن ... الا استحق ولو نظرة ؟! "

بدلا من ان ترفع راسها اطرقت به اكثر فهمس لها بصوت مبحوح " صفية .. انظري الي ..."

ردت همسه بهمس مختنق " لااريد ..."

همس متنهدا " يالَ صراحتك القاسية ! "

رفعت يدها بارتباك واضح لشعرها ثم قالت وعيناها تتجهان نحو الباب الذي يفصلهما عن مكتب الاستاذ حكمت " ارجوك ... الاستاذ حكمت في الداخل ، وانا ... انا ... لاارغب ان ..."

انحنى قليلا ليهمس قريبا منها بلهجة حارة " ولكني اكثر من راغب ! "

عضت شفتيها حنقا وقد عجزت عن مجاراته ! لاتعرف ما يحصل لها لكنها تشعر بضعف ناعم يتملكها نحوه وهذا لايعجبها ! لايعجبها ابدا ...

انه يستشري فيها كالحمى الشرسة التي لاتستجيب للدواء !

قال برقة " بعض الشوق لن يضيرك اذا ابديته ... سيكون زادي في رحلة السفر يا غزالة .."

اخذت نفسا عميقا وتحركت شفتاها بالارقام الخمس ثم اخيرا رفعت وجهها اليه لتقول بلهجة جدية يشوبها التوتر والارتباك " انا لست .. ارجوك ... هذا كله لايهم ... انه ليس حقيقيا .. "

التمعت عيناه وهو يقول بهدوء شديد " انه حقيقي .. انا لاالعب معك .. انا جدي تماما "

همست وهي تهز رأسها سلبا " يا الهي ... هذا هو التلاعب بعينه ، يكفي ان تنظر لوالدتك وتقارنها بي ! نحن من عالمين مختلفين .. انا اناديك سيد ماهر ... هل تدرك معنى هذا ؟!"

رد بابتسامة مغيظة " ولكنك ناديتني ماهر سابقا وستتعودين قريبا على مناداتي دون القاب يا غزالة ..."

لم يفسح لها مجالا للاعتراض وهو يرفع معصمه لينظر لساعته ويقول " لقد تأخرت جدا ، اراك غدا .."

غادرها ... تاركا خلفه شذا عطره يثبت وجود صاحبه الدائم حولها ....

في اليوم التالي

تطلعت حوراء بانبهار لكل هذه الملابس الجميلة التي نثرتها امها على سريرها ،

كانت عينا نجلاء تلتمعان بالفخر وهي تنظر لردة فعل حوراء الايجابية ...

على الاقل لم تحمر كأنها فتاة مراهقة ! بل تصرفت بعفوية انثوية تبشر بالخير .

تمتمت نجلاء في سرها بشكر لنهى على حسن اختيارها لابنتها الخجول ...

جلست حوراء على السرير وهي تمرر يدها على قمصان النوم الناعمة بالوانها الاقرب لقلبها

وهناك بعض الملابس البيتية ايضا قد تكون كاشفة للجسم قليلا لكنها رقيقة التفصيل ومحببة للقلب ...

رفعت رأسها لامها وهي تقول بابتسامة جميلة " انها رائعة امي ، انا احب الوان العسل التي اختارتها خالتي نهى .."

ردت نجلاء بضحكة شقية " انها قارورة العسل فما تتوقعين غير العسل منها ؟! كما انها قالت ان هذا اللون يليق بلون بشرتك ويعكس لون شعرك الكستنائي ... "

ضحكت حوراء ويدها ترفع احدى القطع لتسرح بخيالها نحو حبيب الروح الذي تفتقده لابعد حد ..

عيناها التمعتا بهذا الشوق الذي يثير الشجن وهي تتذكر زيارته لها ليلة الامس وقد اكتفى ببعض القبل العاطفية ليغادرها عائدا لبيتهما رافضا دعوتها الخجولة ليبقى ...

لكنها تحضر له مفاجأة وما احضرته لها والدتها اليوم شجعها اكثر وحمسها لتفرح قلبه ..

التفتت نحو والدتها وهي تقول " هل اخبرت الجميع عن عشاء الغد امي ؟!"

هزت نجلاء رأسها ب(نعم) وهي تجلس بجانبها وتقول " بنيتي اريد التكلم معك قليلا .."

تنبهت حوريا لامها بينما قالت نجلاء وهي تربت على يد ابنتها " اريدك ان تفهمي ان هذه الملابس ليس لمجرد الاغراء ، لانك مع ظافر لاتحتاجين اصلا لتغريه !"

احمرت حوراء بشدة وهي تتطرق برأسها لتضحك نجلاء بخفة ثم اكملت ببعض الجدية " الرجال يتشابهون في شيء انهم يريدون امورا معينة من زوجاتهم ويعطونها اكبر الاهمية وتكون اساس توثيق الارتباط الزوجي "

صمتت نجلاء للحظة ثم تبسمت وهي تكمل " انظري الينا ... اسر كان يريد امرأة جامحة قوية ذكية .. تعامله بندية .. تبهره بشخصيتها التي لاتعرف الرضوخ وبنفس الوقت لديها عاطفية ... وهذا سر تألق علاقته بنادية ...

بينما شاهر مختلف ، احب نهى بكل انوثتها الناعمة وشخصيتها الحنونة التي تظهرها لاولادها وزوجها ولكل من تحب فتوليهم كل الاهتمام والدعم والحرص "

اسبلت نجلاء اهدابها وهي تقول " ربما نهى بالغت في فترة ما بالاهتمام بنفسها على حساب اهتمامها به لكنها استعادت تألقها في عينيه "

ابتسمت حوراء وهي تسأل " وماذا عنك امي ؟!"

ردت نجلاء بضحكة بشوشة " انا ... كما انا ... احبني والدك هكذا لذلك اعطيته ما اراد لكني اعترف ان هناك امورا غيرتها لاجله كاهتمامي بالدين لانها كانت من اولوياته وانا حرصت لارضيه في هذا الجانب بالذات وكان فيه سعادتي لارضي ربي واتقرب اليه اكثر "

اطرقت حوراء قليلا فنظرت اليها نجلاء لتقول بتأنٍ " ظافر يعشقك بطريقة لم ارها سابقا ، وهذا قد يكون خانقا لك احيانا لكن حاولي ان تتعاملي معه بطريقة مختلفة .."

رفعت حوراء عينيها لامها باستفهام لتكمل الام وهي تلامس ملابس النوم الجديدة المنتشرة على السرير " هذه الملابس ليست لاغرائه ، هذه الملابس لتدفعي نفسك نحوه وتكسري احدى حواجز الخجل ، عندما تسعين اليه بارضائه سيستشعر تمسكك به ، سيشعر انك قادرة على التعامل معه فتعطيه كما يعطيك ،

اريدها ان تكون بداية حقيقية لتقتربي منه حقا لانه يحتاج لهذه الخطوات منك ليهدأ ويستكين "

شردت حوراء بنظراتها وهي تغرق بافكارها بينما نجلاء تدعو لها بالسعادة ...

يوم الخميس

صباحا

قالت صفية على عجالى وهي تنظر للاوراق في يدها " هل استطيع الدخول ؟ هناك اوراق مهمة يحتاج الاستاذ حكمت لقرار من السيد شاهر عليها .."

ردت المساعدة باسلوب عملي هادئ " اسفة لديه جلسة عمل حاليا ، اتركيها هنا وسادخلها له حالما يفرغ .."

ردت صفية تحاول التماس التفهم منها قائلة " ارجوك سيدة نجوان ، يجب ان اطلع السيد شاهر بنفسي على بعض النقاط واعود للاستاذ حكمت الآن بالقرار الاخير منه ، لن يتطلب الامر سوى خمس دقائق فقط "

قالت السيدة نجوان " حسنا ساستأذنه .."

بعد محادثة قصيرة قالت المساعدة وهي تشير بيدها للباب " تفضلي انسة .."

ابتسمت صفية بامتنان وهي تحاول التركيز على ما ستقوله للسيد شاهر كما شرح لها الاستاذ حكمت ، انها تشعر بارهاق رهيب وصداع لم يهدأ ! وكيف لايصيبها الارهاق ولايعتريها هذا الصداع وهي قضت ليلتين تتقلب في سريرها مسهدة وكأنها تنام على اشواك !

طوال اليومين الماضيين عيناها ابيتا الانصياع لها وهما تراقبان هاتفها النقال ، لكنها اوصدت كل الابواب في وجه عقلها لتمنع تفكيرها من الانزلاق حول تفسير اسبابها نظراتها المنتظرة المحدقة بتلك الشاشة الصغيرة ، ترى هل تعمد عدم الاتصال ؟ هل يريد اثارة غيظها ؟ ام كان يرجو ان تتصل به هي ! انه يعلم انه من المستحيل ان تفعل هذا ...

اخذت نفسا ... رسمت ابتسامة على وجهها ...

ثم طرقت الباب لتدخل وهي تقول

" صباح الــ.... الخير ..."

تعثرت الكلمة الثانية على لسانها وعيناها تلتقطان وجود السيدين شاهر وآسر جالسان جنب بعضهما على احدى الارائك الجلدية وامامهما اوراق متعددة بينما يقف في ظهرهما .... هو ...

قلبها يدق يدق ... لايهدأ .. لايتوقف عن استنزاف تماسكها ...

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تدعو الله ان لاتحمر وجنتاها ...

تلكأت كلماتها وهي تهرب من نظراته التي تسعى لالتهامها عن بعد " عفوا سيد شاهر ، هناك .. نقاط .. اقصد الاستاذ حكمت ... يريدك .. ان تعطي قرارا ... بشأن هذا الموضوع "

حركة منه جذبت عيناها رغما عنها ، رأته يرفع يده اليمنى في قبضة مغلقة ليضعها على صدره مكان القلب ! للحظة ما تفهم ما يرمي اليه وهو ينظر اليها بتلك الطريقة حتى رأته يحرك تلك القبضة الى الامام ثم الخلف وكأنه ... وكأنه قلب ينبض !

اطرقت سريعا ووجهها يتوهج بينما تقدمت نحو السيد شاهر وهي تمد يدها بالاوراق ..

تحرك اسر الغازي راجعا بظهره للخلف ملتقطا بيده فنجان قهوته وهو يقول بابتسامة مستفزة " ما اجمل الاسترخاء بمواجهة ممتعة وسط العمل"

انحنت صفية ويدها ترتعش رغما عنها وهي تقدم الورقتين للسيد شاهر ، تحاشت النظر في وجهه وتجاهلت ذلك الخيال الذي يقف بظهره اما آسر الغازي فكان مستمتعا على حسابها هي مما اثار غيظها والهب غضبها لكنها كتمت مشاعرها بشق الانفس ...

قال شاهر بلطف وهو يقرأ في الاوراق ويمنحها نظرات جانبية " كيف حالك يا صغيرة ؟ تبدين ..."

قاطعه آسر وهي يقول بتشدق " لذيذة..!!"

ارتد رأس صفية لتنظر نحو آسر الغازي بغضب متأجج متفاقم فمنحها ابتسامة متسلية ونظرات مستمتعة وهو يرفع فنجانه وكأن القهوة مقصده بوصف الـ(لذيذة)..

غلبها طبعها الناري لتحدق في وجهه مباشرة وكانها تتحداه بينما آسر يتطلع بسخرية لوجنتيها المحمرتين !

كتم شاهر ضحكة اوشكت ان تفلت منه وجذب انظار صفية وهو يتكلم معها باسلوب عملي لطيف حول الاوراق التي جاءت من اجلها ..

بعدها تحركت صفية لتغادر وهي تعتذر للسيد شاهر عن اي ازعاج وخصته وحده بالتحية متجاهلة ذلك المزعج وابن اخيه !

حالما اغلقت صفية الباب انطلق صوت شاهر وهو يدير رأسه للخلف نحو ولده ليقول بشكل مباشر " اريد ان افهم والآن ... ماذا تريد من هذه الفتاة بالضبط ؟!! ولن تفلت بمراوغتك المعتادة .."

رفع ماهر ذقنه ليقول ببساطة " انا اريدها ..." انفجر آسر ضاحكا بينما حدجه شاهر بنظرة غاضبة مؤنبة وهو يقول من بين اسنانه " توقف عن لهوك آسر .. اننا نتكلم عن فتاة حقيقية هنا وليست لعبة.."

قال آسر بابتسامة وهو يرتشف من فنجانه مرة اخرى " كان سيخيب ظني لو قال (انا اريدها) هذه لاجل لعبة !!"

نهره شاهر مرة اخرى " آسر .. توقف .."

لكن آسر التفت لماهر وهو يرفع حاجبا واحدا ليقول " انها لذيذة يا ابن اخي ... قوية جامحة ... لم ترمش للحظة وهو تتطلع الي بعنفوان هكذا ! "

ضرب شاهر كفا بكف وهو يقول " يا الهي ! لااصدق انك تشجعه على التمادي ! الا نستطيع ان نتكلم ببعض العقلانية هنا ؟! "

واصل آسر كلامه وهو يوجهه لابن اخيه الذي التزم الصمت الغامض " تريدها بنيّ .. خذها ... هذا شأن الغوازي دائما... يجيدون اختيار نسائهم ولايتنازلون ابدا ..."

هذه المرة كان شاهر مذهولا من اخيه الاكبر وهو يقول بعجب " آسر ماذا تقول ؟! " ثم التفت لابنه وهو يقف على قدميه ليواجهه بقوة قائلا " هل انت جاد مع هذه الفتاة ؟؟ هل حقا ...."

قاطعه ماهر ليقول بهدوء " اجل ابي ، انا جاد ... لكن دعني اتصرف بطريقتي .. على الاقل اذا لم يكن لديك اعتراض عليها .."

هنا اسبل آسر اهدابه واكتنفه الغموض بينما شاهر يصمت للحظات قبل ان يقول " الامر ليس بالسهولة التي تتخيلها ، انت تنسى طرفا مهما آخر في هذه الموضوع ... طرفا لن يعجبه الامر على الاطلاق "

همس آسر وكأنه يفكر بصوت عالٍ " نهى ..."

غادر ماهر مكتب والده متجاهلا الى حين تلك المخاوف وذلك القلق الذي اثاراه ابوه وعمه ، لكنه سيصبر حتى يتصرف والده ، الآن كل ما يريده ... ان يذهب اليها ... يراها ... لقد اكتشف ان لديه ارادة حديدية وهو يمنع نفسه من الاتصال بها خلال اليومين السابقين ..

دخل المصعد وضغط الزر المناسب ليغمض عينيه متنهدا ثم ابتسم وهو يستعيد صورتها عندما دخلت مكتب ابيه ..

تلك الغزالة تحمر بطريقة تخطف الانفاس ..

كاد قلبه يخترق صدره ليصل اليها ، شعور متدفق انه لم يعد قادرا على الصبر لتكون له ! يجب ان تكون له قريبا والا سيجن ... انه يردي قلبها ، يريد امتلاكه وامتلاك كل خفقاته لن يرضيه اقل من هذا ....

انفتح باب المصعد وغادره ماهر بهدوء ظاهري بينما عيناه تدوران في الانحاء تبحثان عنها بضراوة ..

اقترب من مكتب الاستاذ حكمت فلم يجدها على مكتبها ، تطلع نحو باب الاستاذ حكمت الداخلي فوجده مواربا ..

تقدم دون تردد وابتسامته تتسع واذناه تلتقطان صوتها ، طرق الباب بخفة وهو يدخل قائلا " صباح الخير .."

لم ينظر نحو هيئتها التي انكمشت بحضوره وركز على وجه الاستاذ حكمت الباسم وهو يقول له " مرحبا سيد ماهر ، سمعت انك كنت مسافرا "

رد ماهر وهو ما زال يتجنب النظر نحو صفية ليقول " نعم .. وكان يفترض ان اتأخر اكثر لكني عملت المستحيل لاعود فجر اليوم ..."

اوقعت اوراقا من يدها فانحنت لتلتقطها بينما ماهر يكتم ضحكته وهو يلتفت نحوها ليقول بلطف مستفز " كيف حالك انسة صفية ؟ "

لم تنظر اليه وهي تعيد ترتيب الاوراق وتغمغم " بخير .. شكرا لك سيد ماهر .."

عاود ماهر الالتفات للاستاذ حكمت قائلا " لو سمحت استاذ حكمت والدي طلب مني مراجعة بعض الامور مع الانسة صفية لذلك ساستعيرها منك لنصف ساعة فقط .."

اتسعت ابتسامة الاستاذ حكمت ليقول ببشاشة " انها لك ... ليس لدي شيء مستعجل الان "

كان ماهر مستمتعا لابعد حد وهو يرى عينيها المحدقتين في صدمة بينما استدار ماهر وهو يقول " هيا آنستي ..."

حالما دخلا المصعد هتفت به وهو يضغط على الزر " اياك ان تفعلها مرة اخرى ..."

ضحك بفكاهة وهو يتكتف لينظر اليه بتفحص حار وهو يهمس بحشرجة " لن اوقف المصعد لاتقلقي ..."

اشاحت بوجهها جانبا بينما ضحكته الخافتة تزيد من اضطرابها !

قالت بقلق وهي تلامس جبينها " ماذا يريد السيد شاهر ؟ "

أمال رأسه جانبا وهو يقول بغموض " ستعرفين حالما نصل لمكتبي .."

تمتمت " حسنا .." ثم التزمت الصمت وهي تغادر المصعد معه لترافقه لمكتبه ..

اغلق باب مكتبه واستند اليه بينما يتطلع لوقفتها المرتبكة ..

قال بعينين تفيضان شوقا " كيف كنت خلال هذين اليومين بدوني يا غزالة .."

تحشرجت انفاسها والارتباك يسيطر عليها اكثر لكنها قالت بتقطع " حسنا ... ماذا يريد السيد شاهر .."

تقدم نحوها وعيناها تتسعان في وجل ولم تشعر انها تتراجع للخلف حتى اصطدم جسدها بحافة مكتبه ...

وقف امامها وهو يقول بهمس ناعم " ابن السيد شاهر من يريد ..."

ابتلعت ريقها وهي تحاول ان تتماسك لتقول ببعض القوة المتراخية " ارجوك ابتعد ، لايجوز ان تحتجزني في مكتبك و...."

قال بنفس الهمس " صفية ... فقط قولي انك افتقدتني ، لااريد اكثر من هذا .. فقط قوليها .. "

احنت رأسها وهي تقاوم ارتعاشها ، رفع يده ولامس ذراعها فانتفضت مبتعدة لتتجاوزه في لحظة وتخرج عن نطاق حصاره الجسدي دون حصاره العاطفي !

لحق بها قبل ان تصل الباب ليقطع عليها الطريق وهو يقول بصوت مبحوح " لم اكن ساتجاوز الحدود معك ، فقط كنت سالمسك .. انا بعكسك ... اشتقت اليك كالمجنون .."

همست وهي تحني رأسها اكثر " ارجوك لاتستغل احساسي بالامتنان نحوك لكل ما فعلته معي "

رد بحشرجة " انا مستعد لاستغلال اي شيء لاحصل على ما اريد ، لكن الامتنان ليس ما اريده يا غازية ..."

ابتلعت ريقها بشكل واضح لترفع راسها اليه وتقول ببعض القوة " دعني اخرج من فضلك "

عض شفته السفلى وهو يهمس بابتسامة " ليس قبل ان تقولي كلمة السر ..."

رفعت يدها لشعرها في حركة ارتباك يعرفها منها وهي تقول " ارجوك توقف ، انا .. "

قاطعها ليقول بعذوبة " كلمة السر ناديني باسمي يا غزالة ... فقط قولي .. ماهر .. واقسم بالله سادعك تخرجين ..."

صمت وهي تتململ في وقفتها بينما يداعبها قائلا " اربعة حروف فقط ... ميم ... الف ... هاء ...راء ..."

اطلقت نفسا عميقا ثم رفعت وجهها الجميل اليه لتنظر في عينيه بتلك الشجاعة التي يعشقها فيها لتقول بتحدٍ " ماهر ..."

غامت عيناه وهو يهمس " كل الابواب مفتوحة الآن ... مشرعة امامك و... لك ..."

عند العصر

استرخى مهدي في هذا الكرسي المنفوخ المضحك ليستكين غارقا فيه بينما يراقب بابتسامة ناعسة اخاه ماهر وهو يجلس على الارض مع التوأم ويشاركهما اللعب باحدى الالعاب الالكترونية ...

ضجيجهم كان مريحا بالنسبة له بل انه حتى كان كمن يهدهده لينام ...

النوم ... نعمة محروم منها منذ يومين ... ما بين ذكرى ما حصل عند البحر وما بين شرط تلك الامازونية ... نارين تتوقدان في داخله ولاترحماه ....

تطلع للسقف بشرود ... كيف سيشرح لها ؟!
كيف سيجعلها تفهم ؟؟ وكيف سيجعلها ...
توافق ؟؟؟!!!

انه فعلا لم يعد ينظر لما حصل مع رياض بذات الطريقة او ... الاصح بنفس الغضب ...

شيء ما استكان في داخله عندما غادرها بعد اعلانها لذلك الشرط الذي تمسكت به دون تراجع ...

قاد سيارته عائدا لبيته وصورتها الشامخة لاتفارق مخيلته ، امازونيته اعلنت عليه الحرب وجعلته يقف ترقبا على اطراف اصابعه ..

صرخة مبتهجة لماهر اجفلته قليلا لتقطع عليه استرساله بتلك الليلة ، نظر لوجه اخيه ببعض العجب ! هل يبدو غريبا اليوم ام انه يتوهم ؟؟

يبدو في قمة الابتهاج .. انه مختلف ... مختلف جدا .. ترى ماذا يحصل معه ؟؟

صوت باب الغرفة يفتح ... التفت مهدي متوقعا رؤية العمة نجلاء بوجهها الغاضب لتؤنبهم جميعا على اعتزالهم بغرفة الانطلاق الخاصة بالتوأم تاركين كل العمل عليها هي !

همس بتحشرج وعيناه تتسعان بفرح اللقيا " آآآه يا قلبي ..."

لم تكن العمة نجلاء ... فقط .. كانت ... سلسبيل .....

تعثرت خطواتها بتأثر واضح لرؤيته وتعثرت معها دقات قلبه ... اتسعت ابتسامته ، ها هي العمة نجلاء تلاعبهما مرة اخرى وترسلها اليه كما ارسلته سابقا اليها ...

انه واثق ان سلسبيل لم تكن تعرف بوجوده هنا خصوصا ان سيارته في الصيانة وقد حضر مع ماهر ..

لكنها كانت مسيطرة بعض الشيء وهي تلقي التحية " مرحبا ..."

رد عليها ماهر التحية وكذلك فعل الصبيان بينما مهدي فنظراته تعلقت بفستانها ... القصير !

عبس وهو ينظر لحافة فستانها التي ارتفعت لما فوق ركبتيها وقد التقطت سلسبيل عبوسه فشمخت بذقنها ثم قالت للصبيين وهي تتجاهله " عمتي نجلاء غاضبة جدا ايها القردان ! اذهبا حالا وساعداها بامور البيت والتحضير لشواء الليلة .."

تذمر محمود ومحمد في نفس واحد بينما ماهر يستلقي بظهره على الارض وهو يقول بارهاق مرح " احتاج للنوم بضع ساعات ...."

تعمدت سلسبيل ان تخطو بخطوات جذابة امام عيني مهدي وهي تأمر الصبيين " الآن يا فتيان ... الى العمل ..."

وقف الصبيان بينما محمود يهمس لماهر " ساحدثك عن تلك الشقراء فيما بعد !"

ضحك ماهر من قلبه وهو يغلق عينيه باسترخاء بينما محمد يناكف اخاه " سأخبر ابي هذه المرة !"

خرج الصبيان وهو يتناكفان وعندما حاولت سلسبيل اللحاق بهما شعرت بيده تتمسك بمعصمها ليقول بصوت مدغدغ بشراسته " ألم اطلب منك الاهتمام بطريقة اختيارك لملابسك ؟!"

هزّت كتفيها بلا مبالاة وهي لاتبدي اي محاولة لتخليص يدها ثم قالت بتنهيدة ناعمة مصطنعة

" انا ارتديت الفستان هنا في محيط عائلتي ، لم اخرج به .. "

عقد مهدي حاجبيه وهو يقول " ما معنى لم تخرجي به ؟!!! صحيح انه لايوجد غريب بيننا لكن مع ذلك ..."

قاطعته وقد بدأت تفقد قناعها اللامبالي " مع ذلك ماذا ؟!! ها ؟؟ قل لي ؟!!!؟ هل سينظر لساقي العم بلال مثلا ؟!!!"

اطلق ماهر ضحكة مجلجلة وهو يقول بعينيه المغمضتين في استرخاء " اشك ان العم بلال حتى في مراهقته لم ينظر لساقي فتاة !"

هدر صوت مهدي معنفا اخاه بغيظ " اصمت ماهر ..."

فرفع ماهر ذراعيه للاعلى باستسلام ثم عاود الاسترخاء في استلقائه على الارض ومهدي يشتعل غيظا !

تطلع مهدي لسلسبيل بغضب حارق ليقول بمشاكسة " وماذا عن ماهر ؟! الا يفترض بعض الحشمة امامه ؟!"

شهقت سلسبيل استهجانا بينما اغرق ماهر بالضحك ثم قال ببراءة مصطنعة " انا اغلق عيني يا اخي !"

كزّ مهدي على اسنانه وهو يأمر ماهر بصوت قاطع " غادر الآن ماهر ...."

هبّ ماهر على قدميه وهو يضحك بخفة ثم مال للارض يلتقط سترته التي رماها بوقت سابق قبل ان يشارك التوأم في تلك اللعبة ...

تحرك بتكاسل متعمد وعندما مر بهما غمز لسلسبيل وهو يقول بابتسامة مغيظة " فستان جميل ...و ... قصير جدا!"

عبست سلسبيل بينما اخذت لاشعوريا تحاول تخليص معصمها من قيد مهدي الا انه لم يفلتها ...

ما ان غادر ماهر واغلق خلفه الباب حتى شهقت سلسبيل ومهدي يسحبها اليه لتقع على حجره ..

اخذت تقاوم لتقف على قدميها مرة اخرى لكنه كان يطوقها بقوة ثم اخذ يهمس لها بعاطفة مشتعلة " ارحميني وتوقفي على تحركك المضني هذا ..."

استكانت سلسبيل وشعرت بالخجل وهي تتطلع في عينيه الملتمعتين بذكرى ما حصل عند شاطئ البحر ...

قال بصوت مبحوح وهو يطوقها اكثر ضاما اياها لصدره " كم احبك ... يا الهي كم اعشقك واود لو اخطفك في التو واللحظة ... بعيدا عن الجميع ... فقط لتكوني لي .."

اخذت تقاومه بحركات خرقاء بينما تشعر باطرافها كالهلام ، تنهد وهو يهمس قرب اذنها " دعيني اتكلم معك قليلا حبيبتي ، هذه المرة دون غضب .. دون شروط ... دون اتهامات ... دون .. عتب ..."

استكانت مجبرة وقد خنقتها العبرة ومزقها الشوق لتحظى به كما تتمنى .. كما تمنت طوال حياتها ...

طبع قبلة اسفل اذنها وهو يواصل همسه " هناك امر لاتعرفينه ... " صمت للحظة قبل ان يهمس مرة اخرى " تلك الليلة في بيت عمتي نجلاء .. بعد ان تشاجرنا .. انا ... ذهبت اليه ... وضربته .."

اطلقت سلسبيل صوتا مخنوقا بينما مهدي يواصل بوحه " اجل ... لم احتمل ... قلت له (ساقتلك ان اقتربت من سلسبيل مرة اخرى) .. انا كنت كالمجنون تلك الليلة .. كنت انت غاضبة مني وانا انازع غضبا من نوع آخر ... "

صمت ... وهي استكانت برأسها على صدره تخفي تعابير الألم ... تستمع لدقات قلبه فتناغشها ! جعلتها تبتسم ... تلك الدقات الحبيبة ....

وضع ذقنه على اعلى رأسها وهو يقول " لااستطيع تحقيق شرطك يا سلسبيل ... ليس بعد ما حصل بيني وبينه ... انا ... فكرت كثيرا في اليومين السابقين .. لكني لااستطيع .. لااستطيع حبيبتي ... ولاكن اكثر صراحة حتى لو لم اضربه واهدده سابقا لااستطيع ... لقد كان حمل لك عاطفة سلسبيل ! هل انت تحتملين ان تحضر عرسنا فتاة احبتني سابقا ؟! هل تحتملين يا سلسبيل ؟! "

همست بشراسة " كنت سامزق وجهها قبل ان تخطو خطوة !"

ضحك برقة بينما تضيف سلسبيل بتوجس " لكن الامر مختلف ، انت ... "

قاطعها ليقول بنبرة خجولة " سلسبيل ، انا قلت لك سابقا لااجيد الكلمات ، قد يتعبك هذا الامر معي لكني لااعرف الا اني اريدك في حياتي .. طوال حياتي .. لكن لاتجعليني اعاني .. لاتطلبي مني ما يجرح كرامتي وكبريائي في العمق ... هل ترضين لي بهذا ؟! "

رفعت رأسها لتنظر لعينيه مباشرة وقالت بغصة مخنوقة " افضل ان اموت قبلها !"

همسة تأوه قبل ان تاخذه العاطفة وهو يقبلها باحتراق ...

همس وهو يحاول ان يبعد نفسه عنها " انا آسف ... آسف ..."

كانت ترتعش بين ذراعيه وهو يشدد من احتضانها ويهمس " دعيني اشتري فستان العرس .. ارجوك سلسبيل ... انا لم يعد يهمني كل ما حصل .. انا اريدك انت .. بحبك هذا الذي تحملينه نحوي فيجعلني اختنق من فرط السعادة .. "

هطلت دمعتان من عينيها وهي تنظر اليه بضعف لم يره فيها سابقا لتقول بصوت مبحوح " حسنا ... امنحني فقط مزيدا من الوقت ... انا بحاجة لاطمئن مهدي ... ارجوك ... فقط بضعة ايام اخر ..."

اخذ يلامس خصلات شعرها برقة ثم قال " حسنا يا امازونية ... وحتى ذلك الوقت سأتولى بنفسي موضوع فستان الزفاف .."

دخل ظافر لبيت عمه بلال ليجد حوراء امامه مباشرة تعبر الصالة ، ابتسمت له بشغف ولم يتوانَ عن سحبها من ذراعها ليضمها اليه هامسا " مولاتي .."

ردت عليه همساً وهي تلف ذراعيها حول جذعه " ظافر ... اشتقت اليك .."

شتم بصوت منخفض وهو يبتعد عنها بينما صوت التوأم يضج بصخب اعلى الدرج...

في وقت لاحق همست حوراء قرب اذن ماهر " اريد منك خدمة .."

رفع ماهر حاجبيها بابتسامة ماكرة فردت له ابتسامة تآمرية بينما عيناها تلتقطان عند بعد نظرات ظافر الغيورة لتقول لماهر بمشاكسة ناعمة " انها خدمة توصيل للمنازل !"

كان ظافر يقترب من بيته وهو ما زال يشعر بذلك الاحساس المقيت بالوحدة البشعة !

همس بلوعة " متى ستعودين الي مولاتي ... متى ..؟! لقد بدات اكره البيت والسرير وانا اعيش هذا الحرمان منك .... "

عبس قليلا وعيناه تلتقطان تلك السيارة الحمراء واقفة على الجانب الآخر من بيته ... انها المرة الثانية التي يراها .. البارحة ايضا كانت موجودة ولكنه لم يعرها انتباها ، رغم انها اثارت فضوله خصوصا مع غموض نوافذها الداكنة ...

اثاره الفضول ليوقف سيارته امام بيته وبدلا من ان يفتح البوابة الالكترونية بالجهاز الصغير للتحكم عن بعد استكان وهو يطفئ محرك السيارة وعيناه تنظران مباشرة لتلك السيارة ..

الحي كان هادئا جدا كالمعتاد والظلمة تلقي بمزيد من الهدوء على الاجواء ...

ترجل ظافر من سيارته ليحدق في السيارة وكأنه يستنطقها ! ثم تفاجأ وباب السيارة يفتح من جانب السائق البعيد عن مرمى رؤيته ..

لكن ... ذلك الشعر الاشقر !

انه يميزه ... يميزه بشدة !

بتنورة قصيرة حمراء حتى منتصف الفخذ وبلوزة سوداء متدلية عند الكتف لتكشف عن اغرائه الابيض المشع بوضوح ، وكأنها تحتاج للمزيد من الاغراء ؟!!

بشعرها الاشقر الذي ترفعه عاليا كاشفة عن عنق مرمري ووجهها الذي لم تدع خبيرة تجميل دون ان تعلمها كيف تظهر ملامحه المميزة ...

همست سالي في سرها وهي تتحرك بخطوات مغوية نحوه " اجل ... انظر الى جمالي المبهر .. اشعر به وتذكره .. انت محروم من النساء اكاد اقرأ الحرمان في عينيك ، كل يوم اراك واتشبع بحرمانك الذي يعكسه حرماني منك .. وتلك الغبية تتركك لتنام وحدك ! وهل مثلك يترك ولو ليلة واحدة ؟!!!"

وصلت اليه في وقفته التي تخفي معالمها ظلمة الشارع لتقول بصوت وضع الشيطان فيه كل اغواء ابتدعه منذ بدا الخليقة " انا ملكك ظافر ... ملكك ويعود اليك ..."

رمت نفسها على صدره دون ان يتنبه الاثنان لتلك السيارة التي اقتربت لتقف فجأة على مسافة منهما ....

الفصل الثاني عشر

" حوراء ..."

صوت ماهر القلق كان بعيدا جدا عن ادراكها حتى انها لم تشعر به عندما اوقف السيارة جانبا !

عيناها المذهولتان معلقتان فقط بتلك الشقراء المألوفة التي تتقدم من ظافر ثم .....

شهقت لتضع يدها على فمها بينما ترى الشقراء ترمي بنفسها على صدره !!

صوت ماهر اكثر صلابة وهو يقول بحزم

" حوراء .. انها .."

لم تسمع باقي الكلمات فقط وجدت نفسها تنفض عنها ذلك الخدر وتستجيب لانين قلبها وهي تفتح باب السيارة لتترجل منها بخطى مترنحة لكن ... عازمة ..

امسك ظافر بمعصمي سالي ليبعدها بشراسة عنه وهو يهدر بعنف " اذا لمستني مرة اخرى فاقسم ...."

تشتت ذهنه وانقطعت كلماته وهو يلتفت جانبا نحو مصدر الصوت المخنوق الذي يعرف نبراته من بين مئات الاصوات ...

في داخله همس برعب لحظي " حوراء ..."

بينما يسمعها تقول بتلك النبرة الممزقة "
ابتعدي ... عن ..زوجي ..."

لم يشعر كيف دفع سالي بعيدا بينما يخطو
نصف خطوة نحو حورائه للتتلاقى خطاهما دون
ان يتلامسا !

لم تنظر اليه وهي تكاد تلامسه بجسدها ،
نظراتها كانت موجهة نحو سالي اما نظراته هو
فلم تتزحزح عنها ..

صوت سالي نضح بالحقارة وهي تتأوه بسخرية "
اوه ! لقد تم ضبطنا بالجرم! الان عرفت لماذا
ادّعيت الغضب ودفعتني ..."

قلبه كان يتمزق اربا وهو ينظر لارتعاش جسدها
لكنه ... صمت ! كان كمقاتل شرس يصارع
رغبات عنيفة تدعوه لقتل تلك الحقيرة بيديه
المجردتين ثم حمل حوراء بين ذراعيه واخذها
بعيدا عن كل تلك القذارة !

لكن المقاتل انتصر ... وصمت .... صمت والقلب
يئن ... رعبا مما سيحصل وهلعا من تأثيره عليها
و... عليه ...

قالت حوراء بانفاس متحشرجة " انت لاشيء ..
لاشيء ... ولن تكوني يوما شيئا يستحق النظر
اليه مرتين ! فلست اكثر من بائعة هوى
بضاعتها تعفنت فعافت الانفس عنها رغم كل
محاولاتها لاخفاء رائحتها النتنة !"

شهقت سالي بينما حوراء تأخذ نفسا عميقا تصارع ذلك الدوار والغثيان ..

(لا ... ليس الان حوراء ... ليس امام من تحاول سرقة ظافر منك ، انه ملككِ انتِ ... ملككِ وحدكِ ...)

اخذت نفسا آخر ثم لفت ذراعها حول بطنها تتلمس مؤازرة جنينها لتقول بصوت حازم لكن منهك ! " غادري الآن .. فورا .."

هل الارض تميد بها ؟! لم تشعر الا بذراعه حولها وهمسه الملهوف يداعب اذنها عبر الحجاب " يكفي مولاتي ... لااريد اكثر من هذا .. يا قلب ظافر النابض انت ..."

استكانت بشكل عجائبي ! واخذت دموع غريبة بمعانيها تسرح على خديها دون ان تشعر بها حتى !

قادها ظافر للداخل بينما صوت ماهر جاء حادا قاطعا صمت الليل " لاتضطريني لحملك بنفسي ككيس القمامة ورميك في اقرب مكب للنفايات ! غادري ... الآن ... "

كانت سالي تنظر بجمود نحو الباب الذي اختفى ظافر خلفه مع .... تلك الـ... لم يرهبها كل الكلام الذي قيل رغم بشاعته ، ما ارهبها حقا هو تلك النظرات التي بثها ظافر نحو زوجته !

انه عاشق حتى النخاع ! هكذا ببساطة ....

لم تره يوما ضعيفا هكذا ! لم تره بهذه الملامح ابدا ، بدى كمن تعلقت انفاسه بانفاس تلك الفتاة ! يا الهي ... ماذا فعلت لتتملكه بهذه الطريقة ؟!

صوت الشاب جعلها ترتعش وهي تتطلع لوقفته التي تنبض بالغضب الاسود ، ثم ودون ان تفاصل معه التفتت لتغادر وهي تتعثر لاول مرة بكعبها العالي !

في غرفة نومهما لم يستطع ظافر الابتعاد عنها وهو يمسك جسدها المرتعش بين ذراعيه ويهمس لها بقلب متوجع " لماذا تبكين يا قلب ظافر ومليكة روحه ؟! لقد كنت شجاعة .. انا .. فخور بك "

لم ترفع نظراتها اليه فقط رفعت كفها المرتعش كباقي جسدها لتهمس بشجن وهي تلامس خده ورقبته " لقد ... لامستك ! "

شهقات مخنوقة تقطع كلماتها وهي تقول بتشنج " لاتدعها تلمسك مرة اخرى .. لاتدعها تقترب منك هكذا .. هذا يؤلمني ... يمزق قلبي غيرة .. لااحتمل هذا ..."

دموعها ما زالت تجري وصوتها يختنق فيصيبه باختناق مماثل ، اخذ يقبل وجهها بعاطفة حانية ملتاعة وهو يهمس لها " وانا لااحتمل ان اراك هكذا مولاتي .."

همست بتشنج مؤلم " رائحتها عالقة بك !"

في لحظة ابتعد ! نصف خطوة فقط وهو ينظر لملامحها المجروحة ..."

صوت ماهر اتاهما من بعيد وهو يقول " ظافر .. وضعت حقيبة حوراء على الدرج ، تعال فقط واغلق الابواب خلفي .."

اطرق ظافر وهو يقول بصوت مبحوح " استلقي على السرير وارتاي قليلا ، ساعود اليك حالا ..."

ركب ماهر سيارته وهو يتمتم عبر هاتفه النقّال " حسنا عمي ... فهمت ... سيتم الامر غدا صباحا"

وبوجه هادئ تطلع ماهر حوله ليتأكد من خلو المكان ثم شغل سيارته وانطلق لكن بدلا من ان يعود للبيت حام حول المنطقة عدة مرات حتى اطمأن لعدم وجود تلك السيارة الحمراء ..

عاد ظافر لغرفة نومه ليجد حوراء مستلقية على السرير بوضع جانبي بكامل ملابسها فقط خلعت حجابها ورمته ارضا ..

اقترب بضع خطوات لترفع عينيها الفاتنتين اليه فبدتا لامعتين جدا والدموع ما زالت عالقة بهما .

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يتراجع نحو الحمام ويقول بتحشرج " خمس دقائق فقط وساعود اليك "

هزّت برأسها بينما ترخي اهدابها ....

عندما عاد كانت رائحته كما تعرفها ففتحت عينيها لتبتسم له بوهن وهي تراه قد اغتسل وجسده ما زال رطبا تفوح منه رائحته الخاصة التي تحبها ..

ابتسم لابتسامتها تلك واقترب ..

تسلل للسرير بجانبها ثم دس احدى ذراعيه تحتها ليجذبها اليه ويطوقها بذراعه الاخرى وهي مستسلمة له تماما بل كانت تنتظر منه هذا الاحتواء لتتنفس الراحة اخيرا !

لم يقل شيئا ، فقط يداه حلّتا شعرها المربوط ليفرده بينما تنهداتها تريحه وتجعله يسترخي .. مد يده ليطفئ الاضاءة من زر بجانبه ثم عاد ليحتضنها وخلال لحظات غرقا معا في نوم عميق دون ان يتبادلا ولو كلمة واحدة ..

كانت صفية على وشك الدخول لغرفة النوم عندما اوقفتها كلمات زينب التي تسللت اليها عبر الباب الموارب !

" هل تعتقدين ان من الممكن لصفية ان تتزوج ذلك المزعج ماهر "

اضطربت صفية وعيناها تتسعان دهشة بينما تسمع فاطمة تقول باستنكار " لماذا تقولين عنه مزعج ؟! انه لطيف ومرح ... ليته يتزوج اختي حقا .."

قالت زينب بانزعاج حانق " انت تقولين هذا لانه يبتسم في وجهك دائما "

فردت لها فاطمة " وانت تعبسين فكيف تريدين منه الابتسام ؟!"

قالت زينب بصراحة فظّة " لااعلم ... احيانا يضايقني ! ربما لانه يبدو غنيا ونحن فقراء ! وهذا يزعجني ويجعلني اشعر بالضيق والغضب .."

كتمت صفية تنهيدتها بينما تلتقط حنو فاطمة وهي تقول لزينب " اختي لاتكوني هكذا ! نحن بخير الآن .."

اوشكت ان تدخل صفية حتى تنهي هذا الحوار الذي اربكها عندما سمعت زينب تقول بقلق " ربما بشكل مؤقت نحن بخير ! فلا يعلم الا الله متى نجد انفسنا مجبرين لاخلاء هذا المكان ايضا عندما يطالب به اصحابه الحقيقيون .."

ردت فاطمة ببعض الضيق " انت دوما متشائمة هكذا !"

ثم كانت مفاجأة صفية الكبرى عندما سمعت زينب تقول بتردد " انا اخشى ان تفكر صفية بالزواج منه فقط لاجل ان نبقى في ملك والده !"

صعقت صفية من افكار زينب بينما يأتيها سؤال فاطمة " هل تأكدت ان ماهر فعلا ابن السيد شاهر ؟"

ردت زينب " اجل .. لقد سألت صفية وهي اكدت لي الامر ووجهها يتورد قليلا .."

لاشعوريا رفعت صفية يدها لخديها بينما فاطمة تقول بمرح " انه شاب وسيم لهذا يتورد وجهها .."

عندها عبست صفية وقررت انه هذا الحوار انتهى ! دخلت بحركة عنيفة بعض الشيء لتقول بصرامة " ايتها الفتيات الى النوم ، كفى ثرثرة .."

انتقلت زينب من سرير صفية للسرير الذي تتشاركه مع فاطمة لتقول فاطمة وهي تشارك زينب الغطاء " اختي ... امي كانت تبكي اليوم !"

عقدت صفية حاجبيها وهي تتسلل لسريرها لتسأل بقلق " ماذا ؟! لماذا ؟!!"

تنهدت فاطمة وهي تقول بحيرة " لااعلم .. لكنها قالت انها تفتقد بيتنا وحيّنا القديم ..."

تذكرت صفية وجه امها عندما عادت من العمل ، بدت حزينة فعلا ومرتبكة وهي تنتقل بين المطبخ وغرفة الطعام الصغيرة ! تنهدت وهي تستشعر عجزها عن ابداء المزيد من الدعم لامها ، انها حتى لاتعرف ماذا تستطيع ان تقدم لها اكثر من ذلك ، لاتعرف حقا !

خلع شاهر سترته ليعلقها في الخزانة وهو شارد بعض الشيء ، خرجت نهى من الحمام فرأته على هذه الحالة فاقتربت منه تسأله ببعض العبوس " ما بك شاهر ؟ طوال السهرة لم تعجبني ! بدوت شاردا وترمقني بنظرات غريبة !"

تطلع شاهر نحو زوجته لبضع ثوان ثم اسبل اهدابه ويده تفتح ازرار قميصه وهو يقول بغموض " كنت افكر كيف ستكون ردة فعلك اذا علمت ان ماهر يرغب بالزواج .."

ارتفع حاجبا نهى وهي تقول بدهشة " هل هذا ما يشغل ولدي ؟!! " ثم ابتسمت لتضيف ببعض الحيرة " لم يخطر ببالي صراحة .. لم اتخيله يتزوج بهذا العمر المبكر ! انه في الثالثة والعشرين ..."

تطلع اليها شاهر ليسأل بهدوء " لماذا لاتتصورينه يتزوج بهذا السن ؟! ان شاب مسؤول وناضج "

هزّت نهى كتفيها برقة وهي تقول " لا اتكلم عن نضوجه .. لااعلم ... ربما لكنه مختلف عن مهدي مثلا ، فماهر لديه عنفوان الشباب وحبهم للحياة والتمرد والانطلاق .."

صمتت للحظة ثم اضافت " كما انه ليس كظافر ومهدي اللذين احبا منذ صغرهما فكان امرا طبيعيا رغبتهما بالزواج "

كان شاهر يستمع لها بانتباه وقد توقف عن خلع ملابسه ليقول الآن ببعض الغموض " ربما ماهر احب هو الآخر .."

فمطت نهى شفتيها لتقول بحيرة ودهشة " لااعلم لماذا لااتصوره ممن يعشقون !"

ضيّق شاهر عينيه وهو يتساءل " لماذا انه فتى رائع "

ابتسمت نهى بحنان لتقول " اعلم انه عاطفي فيما يخصنا كعائلة ويذكرني بك في هذا الجانب رغم اختلافه عنك في كل شيء اخر "

اطرق شاهر قليلا بينما نهى تسأله بعفوية " لم تخبرني .. من اختار ؟ هل نعرف الفتاة ؟ من اي عائلة ؟؟"

استشعرت نهى من زوجها بعض التردد قبل ان يقول " الفتاة اعرفها.. لكن انت لن تعرفيها ابدا كما اظن .."

عقدت نهى حاجبيها وهي تقول بفكاهة " هل هي احجية من نوع ما ؟!"

ردد شاهر باسلوب غامض " لا .. لكنك لاتتنبهين لكل موظفي الشركة ؟"

شعرت نهى بالقلق بينما تسأل زوجها " موظفي الشركة ؟! هل تعمل كموظفة ؟ ما تخصصها بالضبط ؟ لابد انها في القسم الهندسي اليس كذلك ؟"

قبل ان يرد شاهر اضافت نهى بعبوس متزايد " مع اني لااحبذ فتاة تعمل عندنا فهذا قد يوحي انها غير مكافئة له اجتماعيا ..."

اطلق شاهر نفسا ثم قال بتأنٍ " نهى اسمعيني ... ولدك يريد هذه الفتاة " ثم اضاف بتأكيد " يريدها بشكل جدي "

تطلعت نهى لشاهر وهي تقول بارتياب" لماذا نبرتك لاتريحني ! ما عمل هذه الفتاة بالضبط ومن اي عائلة ؟"

تذمر شاهر قائلا " لماذا تصرين على تكرار نفس السؤال (من اي عائلة) ؟!!"

تفاجأت نهى بعض الشيء من ردة فعل زوجها لترفع كفيها في حركة تعبيرية وتقول " انه امر طبيعي وبديهي ! لماذا تحنق علي ؟! "

عندها قال شاهر بصلابة " ماذا ان قلت لك انها من اصل متواضع ، والدها متوفٍ وقد كان موظف بسيط اما امها فهي ربة بيت عادية وبسيطة "

كانت عينا نهى تتسعان مع توافد هذه المعلومات لاذنيها ليكمل شاهر " والفتاة رائعة تكافح من اجل عائلتها "

همست نهى " تكافح ؟! والدها متوفٍ ؟!!! امها بسيطة ؟؟ "

سكنت ملامح شاهر وهو يتطلع لوجه زوجته المصدوم والتي افاقت سريعا من صدمتها لتقول باستنكار واضح " لماذا يتزوج ماهر من فتاة تنتمي لهذه الطبقة ؟! "

ثم وضعت يدها على فمها وعيناها تشردان بينما تردد برفض واضح للفكرة " يا الهي ! ظافر يتزوج ابنة بلال الناجي ومهدي يتزوج ابنة آسر الغازي وماهر ....؟؟ " رفعت عيناها لزوجها وهي تقول باستهجان هذه المرة " ماهر يتزوج نكرة ؟!! "

رد شاهر بغضب بارد " لاتقولي عنها نكرة ! انها فتاة مميزة "

لمحت نهى نظرات شاهر الباردة اليها فانزعجت بشدة لتقول مدافعة عن نفسها " لاتنظر الي هكذا شاهر وكأني اتكلم بشكل غير منطقي ، الزواج ليس لعبة يجب ان يكون هناك تكافؤ بين الطرفين "

قال شاهر وهو يرفع سبابته في وجهها " نادية تزوجت آسر وكانت من طبقة دون المتوسط حتى وها انت ترين مدى نجاح زواجهما "

زمّت نهى شفتيها لتصر على رأيها قائلة " آسر كان ناضجا وكذلك نادية ، الامر مختلف لان حالتهما خاصة .."

تنهد شاهر وهو يقول " ثقي بولدك نهى .. ثقي به ..."

لكنها كانت تعقد حاجبيها وملامحها تنطق بالرفض فاضاف شاهر " وثقي بي انا الآخر لان لي نظرة عنها ، احيانا الطموح يرفع البشر لاعلى الدرجات "

رددت نهى بسخرية غاضبة " مؤكد تبدو بطموح عالٍ وقد اوقعت شابا مميزا كماهر في شباكها ! "

عاود شاهر الغضب ليقول هادرا " لاتتكلمي عنها بهذه الطريقة ولاتحقري من شانها ابدا ، انا اعتبرها كابنة لي ، انها فخر لكل من تنتمي له ، ليس سهلا ان تولدي في عائلة فقيرة وتجدي نفسك مسؤولة عنها وانت فتاة ضعيفة في العشرين ... "

رمشت نهى تحاول استيعاب ثورة زوجها لكنه تركها ليخلع ملابسه ويرتدي منامته ثم توجه للسرير دون ان يتطلع نحوها فقط اكتفى بالقول " تصبحين على خير .. "

شعر بقشعريرة تنبهه عن تسرب دفئها منه ! نفض النوم عنه دفعة واحدة وهو يهب في سريره باحثا عنها !

همس بهلع وهو يضغط على زر الانارة " حوراء ! "

لكن لامجيب ! ...

تطلع للساعة المنضدية بجانبه ليجدها تشير الى الثالثة بعد منتصف الليل !

تحرك من سريره والهلع يعتصر قلبه وهو لايسمع اي اصوات قادمة من الحمام !!

مع ذلك اقترب من الباب المغلق وحالما وضع يده على مقبضه حاول ادارته ليتنفس الصعداء عندما وجده .. مغلقا !

قال بهمس رقيق " حوراء ... انت في الداخل ؟!"

مرت لحظات مقلقة قبل ان ترد بصوت منخفض " نعم .."

شعر بالقلق لاجابتها المختصرة ! فسألها وهو يعاني ليخفي قلقه " هل انت بخير حبيبتي ؟؟"

مرت لحظات اخرى لتقول بعدها بصوت مرتبك " انا بخير ... فقط ..."

ابتلع ريقه ليسأل " فقط ماذا ؟"

ردت بصوت مبحوح " انا خجلة !"

رقّت ملامحه وهو يقول " لماذا تخجلين ؟! هل ... بسبب ما حدث ؟!"

انفاسها وصلته عبر الباب فادرك انها الآن تقف خلفه مباشرة وهي تقول " لا ... ليس بسبب هذا .. انا .. انا حقا ... احتاج ... ان .... تغمض عينيك لاخرج !"

ضحك ظافر عاليا ثم قال بمداعبة " لاتقولي انك دخلت لتأخذي حماما ونسيت ان تأخذي معك قميص نومك القطني المغيظ !"

تفاجأ بنبرة صوتها وهي تقول بهمس " استدر ظافر من فضلك ... اريد الخروج .."

تنهد وهو يستدير ويقول " استدرت ... يمكنك ارتداء مبذل الحمام فهو اكثر احتشاما من قميص نومك حتى "

انفتح الباب وشعر بوجودها خلفه فابتسم ..
وبحركة مفاجئة التفت وبدلا من ان يقهقه
عاليا لشهقتها المعترضة وجد نفسه يحملق فيها
مشدوها ببلاهة !

لفّت ذراعيها حول جسدها بحركة عفوية بينما
وجنتاها تتخضبان وهي تحملق فيه بغضب هامسة
" قلت لك ان لا تستدير !"

لم يلتفت لما قالته وعيناه تنهمان فيها من قمة
رأسها حتى قدميها المتواريين بخف عسلي رقيق !

حدق بعينين جاحظتين في قميص النوم
الحريري بالوان متدرجة من العسلي والاصفر
والبني ، انسدل على جسدها المغري فكان
كريشة فنان مرهف تلامس انحناءاته المميزة ..

كاشفا عن ذراعيها وبفتحة رقبة كبيرة ...
كبيرة ..جدا !

همست بخجل فظيع " لاتنظر الي هكذا ظافر !"

مد يديه نحوها فانكمشت قليلا لكنه لم
يتراجع وهو يلامس ساعديها ويقول بصوت
مخنوق من شدة التأثر " هل كل هذا لاجلي ؟!
هل لهذا عدت ليلة الامس ؟! كنت تحضرين لي
مفاجأة اليس كذلك ؟"

عضت شفتيها وهي تشيح بوجهها جانبا بينما
يقربها ظافر منه وهو يهمس " متى اشتريت هذه
الشعلة المسماة قميص نوم !"

ارتعشت وهو يغمر وجهه في رقبتها وبين ثنايا شعرها المتموج ، لم تستطع الرد بشيء وشعرت انها سيغمى عليها بينما يلامسها بطريقة ... مكبوتة !

تنبهت حواسها في لحظة ! فشعرت انها لاتفعل شيئا حقا ! لاتتقدم خطوة حقيقية حتى بارتدائها قميص النوم هذا !

تصارع خجلها وهي تلف ذراعيها حوله تضمه اليها ثم همست بارتعاش تبثه دواخلها المستعرة " انت لي ظافر اليس كذلك ؟! لي وحدي ..."

رفع رأسه بحدة نحوها ينظر لعينيها المضببتين بالعاطفة فقال بحشرجة عنيفة " دوما كنت لك .. ولن اكون لغيرك .. دوما .... دوما .."

لم يصبر وهو يرفعها بين ذراعيه ليقول بعاطفة " الشوق اضناني طوال الايام السابقة ... فقط قولي انك تسامحيني لكل شيء .. لكل شيء حوراء ، منذ ان جرحت قلبك الصغير وانت تريني مع فتيات اخريات ، فقط ثقي اني كنت بدونك مبتلى بالشوق وعذاباته .. و عندما اصبحت معك بعد طول عناء .. فأنا مرعوب مرتبك من العودة لنفس الابتلاء ! معك لا اكون انا كما انا ! وكأني افقد ذاتي! "

وضعها على سريرها برقة ليجثو على ركبتيه على الارض ورأسه مشرف فوقها ، مد كفه ليلامس بطنها وهو يهمس بعينين تفيضان عشقا وهياما " لااصدق انك ستنجبين لي طفلا ... لااصدق حوراء.."

ترقرقت عيناها بالدموع وهي ترد بتحشرج " ولكنك لاتريد حقيقة ..."

تحركت يده لتلامس خدها وتداعب خصلات شعرها وهو يهمس " لاتقولي هذا .. كل شيء منك اريده ... فقط كوني معي .. فقط لاتبتعدي ... لاتبعديني ... لاني لااحتمل ... عندما تكونين معي استطيع فعل الكثير حوراء ... الكثير الكثير الذي يفوق حتى قدرتك على تخيله .."

ابتسمت له ابتسامة مشعة فمال نحوها تخنقه المشاعر وقبل ان يمسها سألها بارتباك يدمي القلب " هل ... يمكنني .. اقصد انت .. حامل .."

ضحكت وهي تسبل اهدابها وتهز رأسها ب(نعم) ثم همست بوجنتين تحترقان خجلا " يمكنك .. ويمكنك ترك النور مضاء ايضا !"

عند الصباح ...

صداع .. صداع شديد اثقل عليه رنين جرس لاينتهي ! تحركت من سريرها بتثاقل والرنين لايمهلها لتغادره ...

مدت يدها تلتقط روبا حريريا مرمي على كرسي قريب ثم لفته باحكام حول منامتها الرقيقة ،

اخذتها خطاها نحو الباب وهي تتذمر من هذا الالحاح بضعط الجرس وكانت في حالة لامبالاة غريبة لتحاول استكشاف من الطارق قبل ان تفتح له !

ما الذي جرى لها منذ ليلة الامس لاتعرف !

فتحت الباب بتثاقل وقبل ان تدرك ما يحصل كان رجل غريب يدفعها بقسوة وقبل ان تصرخ كان قد دخل واغلق الباب خلفه بعد ان سمح لرجل اخر بالدخول ..

تطلعت سالي برعب في وجهي هذين الرجلين الضخمين ، منظرهما ارعبها لابعد حد ! وجهيهما لايعكسان اي تعابير وقد اخفيا عينيهما بنظارات سوداء كسواد بدلتيهما الرسمية ..

وقفا جنبا الى جنب والباب خلفهما وقد ضاق بهما مدخل الشقة كما ضاقت انفاس سالي وتصلبت حنجرتها !

ابتدأ احدهما قائلا بصوت بارد وحاد اقشعر له بدن سالي " امامك نصف ساعة لتستعدي للمغادرة ، نحن سنرافقك الى المطار متى ما كنت جاهزة "

وجدت بعض الارادة وهي تقول بصوت كبله الرعب " من ... من .. أنتـــ؟!!"

بنفس الملامح الميتة رد الآخر " السيد آسر الغازي يأمرك بالمغادرة اليوم تحديدا وعدم العودة .."

عبست ورأسها ارتج ليخرج صوتها الغاضب همسا رغما عنها وهي تقول " ومن هو ليأمرني ؟!"

ابتسم الاول ابتسامة جمدت الدماء في عروقها ليقول بنبرة لن تنساها طوال حياتها " كلمي السيد بنفسك ..."

مد يده لجيبه الداخلي واخرج هاتفه النقّال ليضغط بضعة ازرار ثم تكلم باحترام شديد " مرحبا سيدي .. اجل ... معك الآن "

ثم مد يده بالهاتف نحو سالي التي جحظت عيناها وهي لاتستوعب ما يحصل !

اخذت الهاتف منه بيد مرتعشة وحالما قالت (نعم) اتاها صوت تسمعه لاول مرة ذكرها بصوت ظافر لكنه مختلف ... مختلف بطريقة تلوت معدتها رعبا منه ...

قال لها بشكل مباشر " قد تحبين اللعب بالقذارة والتمرغ فيها ، وقد تحلو لك اللعبة وتتصورين انك لوحدك القادرة عليها لكن ... صدقيني استطيع ان العب معك بقذارة اكبر دون حتى ان تتلوث اطراف اصابعي .."

تعثر صوتها وهي تهمس باختناق " سيد آسر ...أنا .."

قاطعها بهدوء شديد وهو يكمل بتهديد مباشر " استطيع تلفيق قضية دعارة لك مثلا الآن ومع احد هذين الرجلين امامك ولن اشعر بالذنب ولا للحظة ! لانك تنتمين وبامتياز لهذه المهنة ،

استطيع تحطيم والدك دون اي تردد فقط لمجرد انه اوجدك بهذا النفس المريضة الخليعة واستطيع ارسال بعض الصور المميزة لك لحماك المهيب لمجرد الفضول حتى اعرف ما شعوره اذا وصلت لغرمائه في عالم الاسواق !"

جف فمها وانسحبت كل قطرة دم من وجهها وهي تتلمس بوضوح شديد انه جدي تماما ولايطلق تهديدات كلامية جزافا ! انه ينفذ ما يقول دون تردد ...

تطلعت نحو الرجلين فبديا كتمثالين قُدا من القسوة والجبروت ... همست اخيرا بانهزام " ساغادر .."

بعد خمس دقائق كانت تضع ملابسها في حقيبتها بهدوء ظاهري، في داخلها تشعر بالخواء بشكل غريب ! لاول مرة تستشعر بكل هذا الرخص ! رخص من نوع آخر لم تعرفه من قبل ! ....

رخص تحوكه تلك النظرات التي اطلت من عيني ظافر وهو ينظر لزوجته ليلة الامس ...

ابدا ... ابدا .. لن تحظى بمثلها منه ...

تلمست يد صفية طريقها نحو مصدر الصوت لتمسك هاتفها النقال وترفعه لاذنها بحركة تلقائية بينما عيناها ما زالتا مغمضتين لتقول بنعاس " من ؟!"

رد صوت مبحوح " صباح الخير .."

فتحت عينيها بقوة لتهتف بقلق " يا الهي ! كم الساعة الان ؟! "

وبينما تبحث عن الساعة رد ماهر ضاحكا " لاتقلقي يا غزالة انه يوم الجمعة "

تنفست الصعداء وهي تعاود الاسترخاء على سريرها لتسأل بعفوية محببة " كم الساعة ؟"

رد هامسا " الثامنة صباحا .."

عيناها التقطتا فراغ السرير المجاور لها بينما ماهر لم يمهلها لتقول شيئا عندما سارع ليقول بنبرة مستمتعة " لقد احضرت الشطائر "

رمشت وهي تسأل " اي شطائر ؟!"

قال برقة " شطائر القشطة بالعسل وهناك شطائر الجبنة والزعتر.. هل تحبين الزعتر ؟ "

هزّت راسها وهي تقول ببلاهة " انا لاافهم !"

ضحك من قلبه وهو يغيظها قائلا " انا اسفل البناية .."

رددت وهي تهب في سريرها " اسفل البناية ؟!!"

همس " نعم ... " سألت بغباء " انت في حينا ؟"

ضحك مرة اخرى وهو يقول " اجل منذ الصباح الباكر ، لقد التقطت منذ فترة مطعما لبيع الشطائر على ناصية الشارع "

شعرت انها النوم ما زال يسيطر على ادراكها لتسأله دون تفكير " اي مطعم ؟!"

ابدى دهشة مصطنعة وهو يقول " لاتقولي انك لم تكتشفيه لحد الآن ؟!!"

ثم اضاف متسليا " انا خبير باكتشافات من هذا النوع .. ولاتخافي المطعم نظيف جدا "

صمتت بعجز عن مجاراته ليتنحنح قائلا " احم .. الا اذا كنت ممن لديهم هوس بالنظافة ويدققون في كل شبر وزاوية !"

قالت وهي تلامس جبينها " أنا ..." قاطعها وهو يسال ببراءة غير حقيقية " انت مهووسة نظافة ؟! " ليهمس بعدها بصوت مبحوح مؤثر " لابأس ... انا راض استطيع ان اعود نفسي .."

اخذت نفسا وزفرته ثم نادته بحزم " ماهر .."

رد عليها بنفس النبرة التي تؤثر فيها " عيون ماهر .."

تجاهلت ما يفعله معها لتسأل بنفس الحزم " هل تقف بالاسفل وانت تحمل شطائر لي ؟"

رد مستمتعا " بل لنا جميعا !"

قالت وهي تكز على اسنانها غيظا منه " انت جننت حتما ! هل تعتقد اني ساغادر سريري الان لافتح لك الباب ثم ادعك تدخل لتشاركني وعائلتي الافطار ؟!!"

تفكه قائلا " امممممممم حقيقة لم يشطح خيالي لهذه الدرجة " ثم اضاف بمشاكسة " فيما عدا ما يخص مغادرتك السرير "

تنهدت تنهيدة عميقة تعبر عن ضيقها مما يحدث ليقول بعذوبة " هذه التنهيدة لاتعطيني انطباعا جيدا وتجرح مشاعري في الواقع .." واصلت الصمت ليقول بضحكة خافتة " الن تأتي لاستلام طلب الافطار يا غزالة ؟! فخدمة التوصيل للمنازل اصبحت مهمتي هذه الايام !"

عاندته لتحاول اغاظته " انا لم اطلب شيئا "

فرد باستفزاز بريء " لكني طلبته نيابة عنك ..."

زمجرت وهي تقول " انت تحلم اني قد انزل اليك الآن .." تنهد بنعومة وهو يقول بحشرجة عاطفية " لاتحدثيني عن الاحلام فقد امتلأت بها ليلتي بالامس وكلها تدور حولك .."

ثم اضاف بصوت هامس" كنت ترتكزين بمرفقك على وسائد حريرية وتنظرين الي بتحدٍ كله اغراء وفتنة بينما ابتسامة ماكرة معذبة تعلقت بشفتيك "

قاومته وهي تقول بعناد غاضب " لن انزل ..."

رد باحباط " هل هذا يعني اني لن اراك حتى صباح الغد ؟"

فعبست وهي ترد بتصلب " او انك ستأكل الشطائر كلها بمفردك "

قال وهو يدعي الحزن " حسنا ... ارسلي توتة لتأخذها .."

اغاظها ان يطلب فاطمة بهذه الاريحية فعاندت اكثر وهي تقول " لا .. سارسل لك طه وانتهينا .."

انبها بمرح " انت صعبة في التعامل صفصف "

زمجرت" لاتناديني صفصف .."

فرد باستفزاز" حسنا صفصف ... افطارا هنيئا ..." ..

صباح اليوم التالي

همست في سرها " يا الهي ألن يكف عن ملاحقتي بنظراته هذه ؟!"

تعثرت فاوشكت ان تشتم بينما تلمح نظراته تعبر عن الابتهاج ! منذ الصباح وهو يحوم في الطابق الذي تعمل فيه وهي تتحرك هنا وهناك رغما عنها لتقضي بعض الاعمال للاستاذ حكمت مما جعلها تتوتر اكثر وخطواتها تتعثر باستمرار !

تنفست الصعداء وهي تنهي اخر عمل فجمعت الاوراق وتوجهت ناحية مكتب الاستاذ حكمت في اخر الممر ، ابتلعت ريقها وهي تراه يتحرك باتجاهها من الجانب المعاكس ، ضغطت على نفسها كي لاتنظر اليه وتلتزم بنظرات جامدة غير محددة الهدف لكن ما ان مر بها حتى شعرت بظاهر يده يلامس ظاهر يدها ...

كان متعمدا ! انها تعرف ... هذا المحتال لايكف !

التفتت اليه بحنق فابتسم لها وهو يهمس " آسف .."

كزّت على اسنانها غيظا وتحركت بخطوات اوسع لتختبئ هناك بعيدا عن مرمى نظراته ..

ما ان جلست على كرسيها حتى اوقف تنفسها رؤية ذلك التمثال الصغير الذي استقر على سطح مكتبها ! احمرت بشدة وهي تمد يدها لتلامسه دون ان يكون لها ادنى شك عمّن وضعه لها هنا ، ومن سيهديها هذا (الغزال) غيره ؟!

تحرك ماهر على عجل مغادرا مكتبه ليحاول اللحاق بصفية قبل مغادرتها عندما اصطدمت نظراته بهيئة يعرفها جيدا ....

اقترب من المرأة وهو يقول " مرحبا سيدة ريمة " التفتت اليه ريمة ولم تكلف نفسها رسم ابتسامة له وهي ترد تحيته " اهلا سيد ماهر كيف حالك ؟"

قال بنفس هدوئها " بخير ... شكرا لك ،
كيف حالك انت ؟"

ردت " بخير الحمد للّه .."

تردد قليلا قبل ان يسألها " و... يسرا ؟"

ارتفع حاجبا ريمة قليلا تعبيرا عن دهشتها لسؤاله ثم قالت بنبرة فخورة " يسرا بالف خير ، لقد تقدم لخطبتها استاذ جامعي وربما ستمنحه الموافقة " تمتم ماهر وهو يسبل اهدابه " سعيد لاجلها "

سألت بلهجة باردة " هل ما زلت تشعر بالذنب نحوها ؟!"

رفع عينيه اليها دون ان تستطيع قراءتهما !

دوما هذا الفتى اثار مخاوفها بطريقة لاتعرف التعبير عنها !!

وجدت نفسها تقول بغضب مكبوت قديم " اتمنى ان تكون تعلمت درسك ولم تعد تخدع الفتيات البريئات باسم الحب ..."

شمخ ماهر بذقنه قليلا ليقول " هل استطيع خدمتك بشيء سيدة ريمة ؟"

ابتسامة ساخرة على فمها بينما ترد عليه قائلة " لاتقلق لم احضر الا لبعض العمل المستعجل وساغادر دون ان التقي بالسيد شاهر "

شعر بالضيق وهو يعاود الاتصال بها لتأتيه نفس الاجابة (الهاتف مغلق) !

شتم وهي يتوجه نحو غرفة نومه ليحاول للمرة الاخيرة ، بسبب حواره السخيف مع ريمة لم يلحق بصفية قبل خروجها هذا اليوم وقد كان يريد دعوتها لمكان ما حتى يتكلمان بصراحة ...

اتاه صوت امه من الخلف وهي تقول " ماهر ... اخيرا استطعت ايجادك ! تعال .. اريد مكالمتك بنيّ "

التفت ماهر لامه وهو يرسم ابتسامة شقية على وجهه ويقول " تكلمي يا جميلة كلي اذان صاغية "

اقترب من امه ليرافقها الى مجلس جانبي انيق مكون من اريكة صغيرة وكرسيين ، انتظر امه لتجلس قبل ان يجلس هو بجانبها ..

وضعت نهى يدها على يد ابنها وقالت بلهجة مترددة " هل حقا تريد الزواج من فتاة بسيطة الحال والنسب ؟"

اطرق ماهر قليلا وهو يستعيد كلمات والده ، نصحه ان يكون صريحا مع امه لتستوعب جديته ..

قال ماهر ببعض الضيق " لااحب ان تصفيها بهذه الطريقة "

رفعت نهى حاجبيها ببعض الترفع لتقول " هل قلت شيئا خاطئا ؟ اليست هي كذلك فعلا ؟"

رد ماهر ببعض البرود " نعم هي كذلك لكن لهجتك فيها استهانة هي لاتستحقها منك امي "

كزّت نهى على اسنانها وهي تقول بغيظ " هل انت مدرك حقا اي شاب انت وبكل مميزاتك الشخصية هناك مميزات عائلتك العريقة "

وقف ماهر على قدميه ليقول ببعض الحنق " امي ارجوك لاتبدأي الكلام عن الفوارق الطبقية "

اصرت نهى وهي تتطلع عاليا اليه " انها الحقيقة والتكافؤ مهم بين الطرفين "

نظر ماهر لامه وهو يقول بجدية وقناعة " هي تكافؤني بكل ما احتاجه منها "

وقفت نهى على قدميها ايضا لتقول بحيرة " انت ما زلت شابا يافعا لم التسرع بالاختيار ؟! "

رد بثقة " انا لااتسرع الاختيار ، انها فتاة احلامي .... لن اجد فتاة مثلها ابدا "

اربكها اصراره لكنها اصرت هي الاخرى لتقول " ماهر .. هذا الكلام لايصدر من شاب بذكائك "

ابتسم ابتسامة صغيرة ليضع كفه على خدها وهو يقول " لاني ذكي كما تقولين فلن اضيعها من يدي "

ثم ابتعد عنها وهو يقول " تصبحين على خير امي .."

تطلع مهدي ببعض الاستغراب لرقم الهاتف الغريب الذي يطلبه ، فتح الخط فجاءه صوته ميزه منذ اول حرف " مرحبا مهدي .."

رد مهدي بهدوء ظاهري " مرحبا .."

تنحنح رياض قبل ان يقول " اسف لاتصالي بك بوقت متأخر .."

اجابه مهدي " لابأس .."

قال رياض بعزم واضح " اريد التكلم معك قليلا .. هلا سمحت باعطائي القليل من وقتك غدا ؟"

صمت مهدي ولم يرد ...

فقال رياض بصراحة شديدة " اعلم انك لاتريد لكن ضروري ان اتحدث معك "

قال مهدي اخيرا " حسنا .. الساعة العاشرة صباحا ، هل تريد في مكان معين "

رد رياض براحة ظاهرة " لا .. انا ساحضر بنفسي لمكتبك في الشركة "

صباح جديد آخر

رآها حالما غادرت باب المبنى فانتظرها لتخرج للشارع قبل ان يقترب منها وقد ملأه الغيظ وهو يلقي التحية " صباح الخير "

للحظة شعر بارتجافها وهي تتطلع اليه ! لكنه رجح انها لم تتنبه له في وقفته المنتظرة هذه !

اطرقت وهي ترد بهمس غامض " صباح الخير "

عاتبها قائلا " لماذا تغلقين هاتفك منذ الامس ؟! قلقت عليك .."

رفعت يدها لشعرها وهي تقول بارتباك واضح " اسفة .. كنت .."

تلكأت الكلمات على شفتيها وهو كان متحمسا جدا ليستكشف حالتها فقال على عجل " لايهم ... المهم انك بخير .."

اشاحت بوجهها فعبس قائلا وهو يتطلع لملامحها " وجهك مرهق ! هل لديك اعراض زكام او ما شابه ؟!"

قالت وهي ما زالت ترفض النظر نحوه " لا ... انا فقط ... لم انم جيدا ليلة الامس "

ثم فاجاته بأن ابتعدت خطوة وهي تقول " اعذرني يجب ان الحق بالحافلة "

اقترب خطوتين وهو يقول حانقا " توقفي صفية ما بك ؟! اريد التكلم معك قليلا "

ارتبكت اكثر فاشفق عليها قلبه ليقول برقة وعاطفة تفلت منه رغما عنه " صفية .. انا لم اعد استطيع الاحتمال "

احمرت فارتجف قلبه ليقول بصوت مبحوح "انا احبك صفية ... ولااحتمل بعدك عني بعد الان .. لقد صبرت كثيرا .. انا "

فاجأته هذه المرة وهي تقاطع اعترافاته النارية

لتقول بهدوء ضايقه " انا... اسفة "

لم يفهم !! فسأل بتوجس " ماذا ؟!"

هنا ... اذهلته وهي ترفع اليه عينين واسعتين

صافيتين مباشرتين لكن ... لاروح فيها !

قالت بتلكؤ " انا ... لااحبك ماهر ! قد اكون

اعجبت بك وممتنة لوقوفك بجانبي "

الصدمة شلّته واستيعابه تباطأ بينما تكمل

ببساطة " اعترف ايضا انك شاب مربك ..

لكن الحب ؟ .. لا ... لم اشعر نحوك باكثر مما

شعرت به نحو نزار ... "

وختمت كلماتها بالقول " انا اسفة ...! "

رحلت .. خطاها تبتعد عنه ...

تركته خلفها واقفا على الرصيف ينظر اليها

بجمود مخيف !

الفصل الثالث عشر

" اجل تحركي صفية ولاتنهاري الآن ، انت لم تكوني بعد مستعدة لرؤيته لكن لابأس .. لابأس ، حصل ما حصل وفعلت ما يجب فعله ، لاترتخي وتتراجعي ... لاتضعفي امام ذلك الجرح العميق الغائر الذي فاضت به تعابيره فعكس ألم الجرح الغائر في اعماقك انت .. لكن جرحه هو قد يكون مجرد تمثيل ... اجل تمثيل .. اصمدي صفية .. اصمدي وستتجاوزين هذه المحنة ايضا .. "

تسلقت عتبتي الحافلة لتأخذ مكانها بين الجموع الواقفة دون المحظوظة بالتحصل على مقعد للجلوس ...

هامت بعيدا عن كل هؤلاء ... هامت في ذكرى يوم الامس ... كم كان شاقا وقاسيا وكم كانت ليلته خانقة ثقيلة ..

يوم امس ابتدأ برفرفة قلبها لتواجده حولها ومناغشته لها بالنظرات واللمس الرقيق ليدها ، ثم ... ذلك التمثال الصغير .... اغمضت صفية عينيها تحاول مقاومة احساس الاختناق مرة اخرى ... ليتها تبكي وترتاح !

ذلك التمثال اثر فيها اكثر مما ينبغي ، حتى انها خافت وارتعبت مما تملكها من شعور جارف لم ينتبها يوما ، وخوفها هذا جعل اجراس التعقل تقرع بقوة ! فوجدت نفسها اخر النهار تعزم على اعادة التمثال اليه ... ويا ليتها لم تفعل !

" اتمنى ان تكون تعلمت درسك ولم تعد تخدع الفتيات البريئات باسم الحب ..."

جملة التقطتها اذناها عندما اقتربت بعفوية منه وهي يقف مع تلك السيدة التي تعرفت عليها كمساعدة سابقة للسيد شاهر ..

كانت خطاها تتلكأ بانتظار ان تغادره السيدة ريمة بينما تقترب من خلف ظهره فلم يتنبه لوجودها ... ثم سمعت تلك الجملة ..

تأوهت بصوت مسموع حتى التفت نحوها رجل خمسيني كان من (المحظوظين) فاشفق عليها وهو ينهض قائلا " تعالي يا ابنتي واجلسي مكاني تبدين مرهقة جدا "

ارتجفت شفتاها ودون اعتراض اخذت مقعده وهي تتمتم بشكر ... جلست وهي تشعر بارهاق فعلا ، ارهاق رأت انعكاسه صباحا في المرآة على ملامحها ولون بشرتها وحتى ارتعاشة يديها تعبر عنه ... وكيف لاترهق هكذا بعدما سمعته ؟! ثم رده البارد المتجاهل وهو يقول للسيدة ريمة (هل استطيع تقديم خدمة لك سيدة ريمة)

نبرة صوته جعلتها تشعر بنفور رهيب منه ومن اي شعور يفرض عليها وجوده ناحيته !

لم تسمع رد السيدة وهي تتراجع للخلف لتعود من حيث اتت ، وفي مكتب الاستاذ حكمت تحاملت على نفسها وهي تستأذن للمغادرة بتماسك عجيب ثم حملت حقيبتها وخرجت تحث خطاها ان تبعدها عنه .... عن اي مكان يتواجد فيه ..

ما ان دخلت الشقة ورأت زينب وهي تناكف كعادتها حتى تذكرت كلماتها بالامس !

اختنقت وتسمرت في مكانها بينما تطلعت اليها وجوههم بقلق واضح فاقتربت امها لتقول " تبدين شاحبة ، هل اعد لك الطعام ؟"

لاتعرف ما حصل لها ! كان فوق طاقتها على التحمل فقالت باحباط مخنوق " لااريد الطعام فقط دعوني لنفسي .."

ثم تحركت نحو غرفة النوم لتستلقي على السرير تعاني شعورا مدمرا انها على حافة الانهيار !

كم هي غبية ... ولماذا تنهار ؟! ماذا ان كان اعتقادها القديم حول ماهر الغازي اثبت صحته ؟ مجرد شاب يتلاعب بالفتيات ، صوت خبيث يتسرب بهمس ساحر يخبرها

(ولكنك مختلفة ..)

نفضت رأسها فشعرت بالرجل الذي اعطاها مقعده ينحني نحوها ويقول بقلق " هل انت بخير يا ابنتي ؟"

رفعت عينيها نحوه وهمست بتحشرج " انا ... لدي صداع فقط .. لاتقلق .."

لم تصدق ان الحافلة وصلت لمقصدها وها هي تحتاج لحافلة اخرى فقط وتصل وجهتها ...
مجموعة الغازي ...

في الحافلة الثانية لم تجد رحيم القلب الذي يتبرع بمقعده ولكنها لم تهتم ، لقد اعتادت التعب تقبلت الارهاق كضيف دائم يحل على جسدها وروحها ...

على الاقل الآن لاتحتاج الا لحافلتين بينما في سكنها السابق كانت تتجاوز الثلاثة احيانا ..

ترجلت من الحافلة وتوجس حذر سيطر عليها ، ترى هل ستجده بانتظارها غاضبا مطالبا بتفسير ؟؟ لكن التوجس والحذر ارتحلا خاسرين
ليهاجمها رغما عنها شعور بالألم وخيبة الامل !

عيناها مشطتا الشارع طولا وعرضا فلم تجد له أثر ....

ارتحلت الحافلة بحملها الجديد وتحرك من شاركوها النزول كل لوجهته بينما هي تقف مسمرة لتهمس باحساس موجع " لست سوى فتاة اخرى بالنسبة له !"

وباستسلام مرير تحركت ساقاها بارتعاش بينما تتذكر ليلتها المسهدة وهي تحدق في سترته المعلقة وكأنها تنتظر منها النطق لتدافع عن صاحبها !

انفاس متلا حقة بجنون قبضتان تهتزان بانفعال شديد لم يخف رغم كل الضربات التي وجهها ماهر لمقود سيارته !

(انا ..لااحبك ... لااحبك ... لااحبك ..)

لايستطيع السيطرة على عقله ليخرج من دائرة هاتين الكلمتين وتلك النظرات الخاوية من عينيها ... يحاول جهده السيطرة على غضب مجنون ليكبته وألم متدفق ليخفف عنه ..

ان يعزل المشاعر ليجعل العقل هو القائد فهذا جزء من شخصيته .. حتى غضبه وجموحه كانا تحت السيطرة دوما يطلقهما متى ما اراد وبالقدر الذي يريده !

لكنه .. لاول مرة يشعر بهذا العجز وفقدان السيطرة .. لاول مرة يشعر بهذا الألم .. ألم .. اجل انه الألم الذي يسيطر عليه اكثر من الغضب ..

ألم يتوجع له الجسد والروح و... القلب ..

ألم يعزلك عمّا حولك ويجعلك تعيش لحظة متوقفة من الزمن تظن انك انفصلت بها عن الواقع بطريقة ضبابية ، حتى تصبح تحركات الناس حولك واصواتهم كهمهات غير مفهومة لادراكك ...

اخذ ماهر يضرب على صدغه ويهمس بصوت حاد " يا الهي يجب ان أجد طريقة لأهدأ ، لأستعيد توازني .."

اخرج هاتفه النقال واتصل دون تردد وحالما أتاه صوت والده الهادئ قال باقصى سيطرة على النفس يملكها " مرحبا ابي ، اردت ابلاغك اني لن احضر اليوم للشركة ؟"

التقط ذبذبات القلق من والده وهو يسأل " لماذا ؟! ماذا حصل ؟!"

رد ماهر وهو يعتصر مقود سيارته بيده " احتاج ليوم اجازة ..."

صمت والده للحظة قبل ان يسأل بهدوء " هل ازعجتك امك بموضوع صفية ؟!"

مجرد ذكر اسمها كانت ضربة قاصمة لقلبه الموجوع فعلا صوته رغما عنه وهو يقول بحدة " لاوجود لموضوع صفية !"

صوت والده جاء مذهولا وهو يسأل " ماذا تعني ؟!" اغمض ماهر عينيه وهو يضرب على المقود مرة اخرى مستقبلا امواجا جديدة من الألم حطت على شواطئ قلبه ....

عندما طال الصمت قال والده بقلق واضح " ماهر .. ماذا يحدث معك ؟ لماذا اشعر ان صفية هي من ضايقتك وليست امك ! "

اختنق ... وضاق بكل شيء حتى سمع اباه يقول بتأنٍ " هل هي صفية ؟ هل حصل شيء سيء بينكما ، اجبني ماهر .. والا سأسألها بنفسي "

عندها انتفض ماهر ليقول بغضب مكبوت "
عدني ابي انك لن تكلمها ابدا .."

همس والده " لكن .."

فقاطعه ماهر ليقول بلهجة فاضت بألم لم
يستطع كبته " عدني ارجوك .. مهما حصل
لاتفتح هذا الموضوع مع صفية .. عدني ابي .."

كانت يد ماهر متقبضة بشدة بينما يده الاخرى
تعتصر الهاتف النقال ضاغطة اياه على اذنه
حتى اطلق انفاسه وصوت ابيه يتناهى اليه
بهدوئه المطمئن " حسنا .. اعدك ..."

بعد مكالمة ابيه شغل سيارته ليقودها بسرعة
مرعبة بين شوارع المدينة حتى وصل لبيتهم
وهناك دخل وتوجه مباشرة نحو السلم ومنه
للطابق الثاني حيث غرفته ابدل ملابسه الانيقة
بملابس بسيطة مجرد بنطال جينز وبلوزة
قطنية زرقاء............

عندما غادر بوابة البيت هذه المرة لم يكن
يستخدم سيارته بل كان يرتدي خوذته ويعتلي
دراجته النارية ....

اختار احدى الطرق السريعة ليقود دراجته
بجنون يسعى اليه وتهور لايعرف الانضباط غير
عابئ بأي شيء حوله .. انه كالغرق في خضم
امواج عاتية وكأنه يقارع الألم بسلاح الخطر !

لا احبك .. لا احبك ......

عادت الكلمتان لتزلزلا كيانه فتزيدا جنون غضبه ، زمجر قائلا وهو يتجنب احدى السيارات برعونة ارعبت سائقها " ساقتل هذا الألم .. سأقتله !"

بابتسامة هادئة دخل رياض لمكتب مهدي مادّا يده بالمصافحة قائلا " السلام عليكم .."

بدى مهدي هادئا تماما وهو يمد يده في المقابل مصافحا اياه ورادا تحيته ... لكن بعض التردد انتاب تلك اليد فضح توتر صاحبها ..

لم يهتم رياض كثيرا بتوتر مهدي فلديه هو من التوتر ما يكفيه ، ويجب ان يصلح هذا الامر ليس لاجل العائلة فقط ولكن لاجله هو شخصيا ، لن يسجن نفسه في حكاية سخيفة من مشاعر حملها رغما عنه نحو سلسبيل الغازي ..

انه رجل ناضج وهو يحترم نفسه ويقدرها لذلك لن يهين نفسه اكثر بتجنب هذه المواجهة والاعتراف انه ... اخطأ ...

اشار له مهدي ليجلس على كرسي مقابل له ثم جلس هو الآخر ملتزما الصمت الحذر ...

اختار رياض ان يكون مباشرا في الكلام متجاهلا هذه المرة تعابير متشنجة توشحتها ملامح مهدي !

قال رياض بهدوء وهو يطرق برأسه قليلا " انا مدين لك باعتذار .." ثم ابتسم قليلا وهو يكمل " رغم انك اخذت حقك مني بتلك .. اللكمة !"

رفع رياض رأسه لمهدي فوجده يرتدي هذا القناع المغلق من الهدوء الغامض ...

لقد جاء ليفعل الشيء الصحيح ويجب ان يتمه للنهاية ... قال رياض بثبات " اعذرني لاني ساضطر للتكلم بصراحة .."

عندها قاطعه مهدي بنبرة حادة " اياك ان تذكر اسمها ..تريد الاعتذار ؟ اعتذر ... لكن دون ذكر اسمها على لسانك .."

سكنت ملامح رياض للحظات ثم قال مجازفا " مهدي انا احترمك جدا واحترم فيك هدوءك وعقلك واتزانك ، لايفترض ان ندع المشاعر تسيطر علينا فتمنعنا من فعل الصحيح ، الموضوع كله كان خاطئا من البداية ويجب ان نحله ، على الاقل لاننا عائلة واحدة .."

صمت مهدي وشفتاه مزمومتان بينما اكمل رياض " اولا يجب ان تعرف اني لم افعل شيئا خاطئا ، هي لم تكن مخطوبة لك حتى عندما شعرت نحوها بـ .. الاعجاب ..."

صوت داخلي سخر منه " هل هو الاعجاب يا رياض ؟! ها أنت تحاول انقاذ كرامتك كرجل بالتواري خلف كلمة مضحكة كـ(إعجاب) !"

تغاضى رياض بصعوبة عن افكاره التي تسخر منه كما تغاضى عن لغة جسد مهدي التي تعبر عن غضب مستعر فأكمل وهو يعاني من كبت مشاعره قائلا بابتسامة هادئة " الامر عادي جدا مهدي ، فتاة لطيفة ومرحة ومؤكد ان هناك غيري من اعجب بها "

اطرق مرة اخرى يحاول السيطرة اكثر على حيادية كلماته التي ينتقيها بحذر شديد قائلا " لذلك انا لااعتبر نفسي اخطأت بشيء من هذه الناحية لاني لم اتجاوز اي حدود "

اخذ نفسا قبل ان يكمل بنفس الحذر" انا شبه متأكد انك تعلم بزيارتها لي في الشركة ، فغضبك مني لايمكن الا بمعرفتك لهذه الزيارة "

رفع رأسه مرة اخرى يتطلع بشجاعة في عيني مهدي الغامضتين ليواصل " اعترف اني فرحت للوهلة الاولى عندما رأيتها وتصورت انها تبادلني الاعجاب لكني اكتشفت سريعا اني مخطئ تماما وانها لم تأتي الا لاجل ثنيي عن خطبتي لحوراء واقناعي ان ظافر هو الاحق بها " وبنفس الشجاعة اكمل رياض " كما انني ايقنت بطريقة غير مباشرة ان مشاعرها بكليتها متوجهة.. نحوك انت .... وهكذا ... انتهى الامر ... "

ألم شديد اعتصر قلبه لكنه يجب ان يكمل .. يجب ان يستعيد كرامته واحترامه لذاته الذي تخلخل بسبب كل هذه الفوضى التي حدثت ..

قال اخيرا " اعترف اني اخطأت فقط بحديثي معها في بيت خالي بلال تلك الليلة ، كان تصرف غير لائق مني وقد اثار غضبك وانا لن الومك ..."

ما زال مهدي صامتا لينهي رياض كلامه قائلا " هذا كل ما لدي مهدي ، اتمنى ان نتصافى ونتعامل باحترام يليق بصلة القربى التي تربطنا ، لن اقول ان نعود كما كنا على الاقل في هذه الفترة لكن يجب ان نطوي هذه الصفحة وننساها "

لحظة صمت اخرى ليقول مهدي بعدها " انا مقدر لصعوبة مجيئك هنا وقولك لكل هذا ، اعترف ان مشاعري السلبية تطغى اكثر لكني لن ارضخ لها ، وما حصل قد حصل .. وكما قلت ... نحن تربطنا صلة قرابة يمثلها رجل احبه واحترمه من اعماقي .. عمي بلال ..."

هذه المرة كان رياض من يلتزم الصمت ليكمل مهدي بثبات " اعتقد اننا يجب ان نجد منطقة ترضينا نحن الاثنين لنرفع فيها غصن الزيتون ! هذه المنطقة قد تتسع بمرور الوقت وربما يوما ما سنعود كما كنا ..."

هنا وقف رياض على قدميه وقال برحابة صدر " وانا سعيد بأي مساحة ترتضيها لهذه المنطقة .."

وقف مهدي هو الآخر بينما يلتقط يد رياض التي مدها نحوه ليقول " شكرا لزيارتك .."

فرد رياض بابتسامة غير ثابتة " مبارك لكما الزواج واعتقد اني لن الحق العرس لاني مسافر خلال يومين في اجازة لعدة اشهر ازور بها عائلتي ..."

رد مهدي وهو يسبل اهدابه " شكرا لك ... و.. نراك بخير ان شاء اللّه .."

مضت ربع ساعة منذ رحيل رياض ومهدي يتأرجح يمينا ويسارا في كرسيه بينما عيناه ثابتتان على هاتفه النقال ...

اخيرا مد يده ليلتقطه ثم استقر في كرسيه ليضغط على زرين ثم ينتظر الرد ..

جاءه صوتها المرح وهي تقول " مرحبا يا وسيمي !"

ضحك بجذل وهو يقول بصوت مبحوح " اصبحت وسيمك الآن ؟!"

ردت بتملك " نعم ... وهل يجرؤ من يظن .. او لنقل ... من تظن غير ذلك ؟!!"

قهقه مهدي عاليا ثم قال " كم احب وحشيتك هذه التي تخفيها باتقان رقة بنيتك "

ضحكت هي الاخرى قائلة " اخبرني يا وسيمي لماذا تتصل الآن ؟ اعلم انه وقت مزدحم بالعمل "

قال لها برقة " هناك من اتى لزيارتي .."

شعر انها عبست من نبرة صوتها المتوجسة " من أتت لزيارتك ؟؟"

عاد ليضحك وهو يقول " انا قلت (أتت) ؟!! انا قلت (أتى) ... لاعرف لماذا تؤنثين كل شيء يدور حولي !"

ردت بتنهيدة ناعمة " لان كل مؤنث ينجذب اليك ..."

قال بمشاعر فياضة " آآآه يا سلسبيل لو تعرفين ماذا تفعلين بي ... "

صمتت للحظة قبل ان تقول بحشرجة " قل لي من اتى لزيارتك لاني على وشك دخول المحاضرة "

رد بسلاسة لم يتوقعها من نفسه " انه رياض .."

الصمت التام كان ردة الفعل الوحيدة التي حصل عليها منها فقال مهدي برقة " لاتقلقي حبيبتي ، كل شيء على ما يرام .."

سألت بهمس متعثر " ماذا ...كان يريد ..؟"

رد مهدي " جاء لنفتح صفحة جديدة .."

تنحنحت لتجلي صوتها حتى تسأل بثبات هذه المرة " وهل فتحتها مهدي ؟!"

قال باتزان " اتفقنا اننا سنفتحها في المستقبل ، المهم اننا تجاوزنا العقبة الاولى وطوينا صفحة الماضي ..."

اذناه المرهفتان التقطتا حشرجتها المخنوقة فادرك انها تكتم بكاءها ..

اشتاق كالمجنون اليها فقال بهمس حار " امازونيتي ... انا عطشااااان .."

ضحكت ضحكة مرحة لكنها تكشف التوتر الذي عانت منه وهي تقول " اشرب من البحر !"

بادرها لمزحة عاطفية " اشرب .. من البحر .. أم جنب البحر ؟! "

ضحكت برقة هذه المرة وكان خجلها واضحا في نبراتها المرتعشة وهي تهمس " ربما ... ربما فقط ساخبرك غدا او بعد غد او .. لنقل بعد اسبوع .. ساخبرك ان توصي على فستان العرس ... لكن المؤكد.. لن اقولها لك اليوم .."

جلجلت ضحكة مهدي بينما سلسبيل تنهي المكالمة على عجل لتلحق بمحاضرتها ...

خمسة ايام ...

خمسة ايام مرت وهي لاتراه ... حرصت على ان لاتراه وهو كان ..كما يبدو .. اشد حرصا !

لكن رغم هذا نفحات من موجات غضبه تلامسها من بعيد...

لقد اصبح حديث الموظفين بوجهه الجامد وغضبه المفاجئ المتفجر اذا لم يتم ما يطلبه على اكمل وجه ...

لم تكن هذه طريقته معهم ، كان حازما نعم لكن في هدوء ، مما جعله يكتسب احتراما ومهابة سريعين عاكسا انتماءه الواضح لعرق آل الغازي ...

" صفية .."

اجفلت صفية وهي تلتفت نحو الاستاذ حكمت عند باب مكتبه ليقول لها بابتسامته الودودة " اسف اجفلتك ايتها الفتاة السارحة ! "

توردت وجنتا صفية بينما اكمل الاستاذ حكمت كلامه وهو يقترب منها واضعا بضع اوراق على مكتبها وهو يقول بلطفه المعهود " عزيزتي خذي هذه الاوراق واعملي اربعة نسخ لكل واحدة منها ... "

ثم تحرك مبتعدا وهو يقول " انا ساخرج لبعض الاعمال قد اغيب ساعة او ساعتين على اكثر تقدير .."

ثم ابتسم قائلا " اراك لاحقا يا فتاة وكم اتمنى ان اعرف سر شحوبك هذا ! كنتِ دوما بوجه صحي متورد "

لم ينتظر رداً بينما يلوح لها مودعا..

للحظات طويلة اخذت صفية تتطلع للاوراق امامها دون تركيز ، لخمسة ايام كاملة وهي تجاهد لتحصل على الصمود بشق الانفس ...

في البيت تتباعد عن عائلتها حتى لاتكشف آلامها التي تتجاهل اسبابها بعزم ، فما كان منهم جميعا الا الاستكانة للهدوء والتوجس ..

زينب تطالعها بحاجبين معقودين تنمان عن رغبة الفهم ! فاطمة ترمقها بحيرة وتساؤل لم تفهمه !

اما طه فحاول ان يكلمها بصراحته المباشرة المعهودة ليسألها ان كانت متضايقة من شيء فترد عليه انها مرهقة من العمل فقط !

اما امها فلاول مرة تخرج من نطاق تفكيرها المحدد بابسط معالم الحياة لتعبر عن قلقها من شحوبها وقلة نومها ... بدت امها تائهة كعادتها لكنها على الاقل تحاول جهدها اسنادها بطريقتها ...

ارتعشت يد صفية وهي تمدها للاوراق لتتراجع وتعيدها حيث كانت ..

شردت وهي تفكر بانهاك من نوع جديد عليها .... انهاك لايعتقها منذ خمسة ايام ... بل ابتدأ منذ ست ....

لاتعلم ايهما اطول ... الليل وهي تقضيه مسهدة في سريرها تتجنب التقلب حتى لاتقلق نوم اختيها ام النهار وهي تتحاشى التحرك خارج مكتبها وتتفنن بابتداع الطرق والاساليب ...

تخشى لقاءه وتخشى اكثر لقاء السيد شاهر واكثر منهما تخشى لقاء ... آسر الغازي ...

فالاول قد يثير ألمها بتجاهله المتوقع لها والثاني قد يثير احتياجها للبوح والتفهم ... لكن الثالث لن يرحمها ... سيفتح ابواب عقلها وقلبها على حد السواء ويعريهما ليكتشف الكثير مما تخفيه حتى عن نفسها ...

ولاجل كل هذا تباعدت عن الجميع بشكل مبالغ فيه وحصرت تعاملها المباشر مع الاستاذ حكمت فقط كي لا تغادر مكتبها قدر المستطاع ، وقد نجحت الى حد كبير وفي المرات التي اضطرت للخروج فيها خارج حدود قوقعتها في هذا المكتب كانت ترتعش داخليا خشية لقاء لاتعرف كيف ستواجهه ..

انها مستنزفة ... مستنزفة وبحاجة لمزيد من الوقت لتستعيد روحها القديمة التي غادرتها .. وكأنها عندما قالت له (لاحبك) قد قتلت فيها شيئا ما لاتعرف ماهيته ...

عيناها حادتا النظر نحو تلك الاوراق وهي تفكر ها هي يجب ان تجازف مرة اخرى ..

تحركت بهدوء وهي تنفض عنها هذا الشعور بانها تختبئ ! شعور لاتريده بل تكرهه لم تكن يوما ممن يختبئون ! لكنها مجبرة عليه ... على الاقل الآن ...

تحركت نحو المصاعد وهي تحارب هذا الارتعاش القلق ... لا .. ليس هذا فحسب .. هناك .. هناك جزء ملتاع من مشاعرها .. انها تشتاقه !

انفتحت باب المصعد فاتسعت عيناها وافلتت منها شهقة بينما تصدمها رؤيته امامها .. بطوله الفارع وعطره الذي هبّ عليها فضاق صدرها بحنين غريب ..

للحظات طالت ام قصرت ظلا يتطلعان ببعض ..

عيناه تلمعان بشدة ووجهه متحجر ، شفتاه شاحبتان مزمومتان ... جسده كله ينضح بالتوتر وكأنه يمنع نفسه عن فعل شيء !

فاجأها الآن وهو يسبل اهدابه ويرفع يده ضاغطا على احد الازرار لتنغلق باب المصعد بينهما فيختفي عن ناظريها دون ان ينطق بحرف !

لم تشعر الا بصوت ارتطام قوي اجفلها حتى اوقعت الاوراق من يدها ... انحنت بشكل آلي لتلتقط الاوراق ورقة بعد ورقة ... دمعة بعد دمعة ... تساقطت على يدها ولطخت اوراقها ثم انهارت لتقودها خطواتها نحو الحمام هذه المرة فتنهار هناك ببكاء مرير ! بدت كطفلة تائهة تريد فقط العودة للبيت ....

نظر ماهر لقبضته المتشنجة ، كان جسده يئن بخيانة الشوق وغضب الرغبة الوحشية بالانتقام ! فلم يجد متنفسا الا ضرب جدار المصعد بحرقة ...

انفاسه تلاحقت وهو يحاول السيطرة على هدوئه الظاهري ... لقد مرت خمسة ايام وهو يعاني ليمسك بتلابيب هذا الهدوء عسى ان يستجلب له بعض الهدوء الداخلي ..

انه غير قادر على التفكير بمنطقية لحد الآن ، لم يستطع ... لم يستطع ان يخرج نفسه من دائرة الرفض المقيتة التي احاطته بها كلمتان فقط قالتها شفتاها بثبات يمزقه ...

يشحذ ذهنه ليستعيد صفاءه ولكنه يعجز ،
الألم ما زال حارا نابضا ...

تمر الايام .. نهارا يغرق نفسه بالعمل مبتعدا عن
اي طريق قد يلتقيها فيه وحالما يخرج من
الشركة لايطيق البقاء ساكنا في اي مكان
فيفضل ركوب الخطر على دراجته النارية بعيدا
عن كل شيء ...

حتى امه استسلمت لحالته وتوقفت عن حمحماتها
القلقة حوله ، والده صامت ... بانتظار ... عمه
آسر .. صامت ...لكن بغموض ... وكأنه يدرك
بطريقة ما كيف يشعر ! ولايعرف هل والده
اخبره بشيء ام هو من يتنبأ بما يراه منه ...

حتى ظافر ومهدي حاولا التكلم معه مستغربين
طباعه المتقلبة لكنه كان يرفض تدخلاتهم
جميعا بنفس الانغلاق ...

انفتح باب المصعد فغادره بخطوات نارية ثم دون
ابطاء توجه نحو مكتبه انهى اعماله الضرورية
لهذا اليوم ثم استدعى مساعده ووجهه ليكمل
الباقي وبعدها ترك الشركة وما فيها ....!

بعد منتصف الليل

تخبئ وجهها بالوسادة وتبكي بصمت مخنوق ، لاتحتمل هذا الألم ... لاتحتمل ... يا الهي انها تحبه ... تحبه جدا .. لاتريد ان تحبه هكذا .. لكنها لاتستطيع فعل شيء اخر ...

لقد هربت لايام من مواجهة ما فعلته معه لانها تعلم في قرارة نفسها انها ستواجه مشاعرها نحوه ايضا ، هذا ما كان يرعبها ... هذا ما دفعها لفعل ما فعلت معه اصلا لتتجرع مرارة النتائج وهي تتخبط تحاول ان لاتفسر ردود افعاله حتى لاتعطي نفسها الأمل ...

انه فقط غاضب .. ولاتعرف هل غضبه ناتج عن مشاعر حقيقية ام كبرياء جريحة ام ... لان مخططاته معها فشلت !

هل يعقل ان يكون كل ما رأته في عينيه هذا اليوم من غضب وألم لمجرد انه لم يحصل على مبتغاه منها كفتاة صعبت عليه ؟! الا يمكن ان يكون احبها في المقابل ، ان تكون تلك الكلمة التي قالها في لحظة عاطفة حقيقية فعلا ؟!

" صفية ... صفية .."

لم تستطع كتم شهقاتها الآن وصوت فاطمة يلامسها كالبلسم ...

عاد صوتها الحنون لتقول بتأثر متحشرج

" صفية .. لاتبكي .. "

كتمت صفية نشيجها لتهمس من تحت وسادتها " نامي بجانبي حبيبتي .."

بهدوئها الناعم تسللت تلك الصغيرة الى السرير لتلصق جسدها بجسد اختها الكبرى وتلف ذراعها النحيلة حولها ...

ورغم البلسم ... فالوجع لم يهدأ !

هل بقي شارع في المدينة لم يذهب اليه ؟!

اجل ... هناك شارع واحد ... حيث تسكن هي !

زمجرت دراجته النارية مع ضغط يديه وترك اختياراته للعشوائية تقوده بين شوارع شاركته جنونه ليلة بعد ليلة ... وها هي اطلت ليلة جنونه السادسة .. بل انها الليلة الاكثر جنوناً ..

اغمض عينيه وهو يتذكر رؤيتها صباح اليوم ..

يا الهي .. كم بدت ضعيفة .. لتخترق قلبه الغاضب بهذا الضعف !

للحظة تاه عقله واوشك ان يضيع كبرياؤه منه فيفقد زمام نفسه فيختطفها بعيدا ويفرض عليها قبول عشقه شاءت ام ابت لتنسى كلمة (لا) التي اسبغتها بقساوة على كلمة (احبك) ...

عيناها .... تأوه ... هل بدتا مشتاقتين ام هو شوقه الذي انعكس فيهما ؟!!

زمجرت دراجته مرة اخرى واختطفته الريح وهي تتخلل قميصه الخفيف ... تفاصيلها تسللت اليه ... رباه كم اشتاق لتلك التفاصيل ...

عقله تتبع تلك التفاصيل من ذاكرته .. ما بين صباح اليوم وبين ذلك الصباح الباكر قبل خمسة ايام ....

عقد حاجبيه وافكاره تسترسل بالتمعن بذلك الارهاق الذي رسم محياها ... ذلك الصباح قبل ايام بدت غريبة الاطوار بهدوئها الشاحب وهي تواجهه بقول (لا) بينما هذا الصباح بدت بطريقة ما انعكاسا لما يعانيه !

هزّ رأسه وهو ينحني بجذعه ويميل بدراجته يمينا ويسارا ... هذا التمايل يمنحه انتعاشا وصفاء نادرين ...

اجل ... ذلك الصباح ... المؤلم...

قبل يوم واحد فقط منه كان يلاحقها في الطابق الذي تعمل فيه ، مستمتعا بخجلها وحنقها من نظراته وعندما وضع لها تمثال الغزال كان يمني قلبه انه سيصارحها بعواطفه اخيرا ...

فما الذي تغير منذ ان لمس يدها بيده؟؟ لقد تركها مستجيبة ومتوردة مرتبكة بخجل ناعم وانفاس متسارعة ...

هل يعقل انها ببساطة عادت للبيت وفكرت فقط ان توقف كل شيء يحدث بينهما ؟!

اتسعت عيناه وهو يهمس لنفسه بادراك متأخر لحقيقة ما " ايها الغبي ! ان كانت تريد ايقاف ما يحدث فهذا يعني انه حدث اصلا ! لكن لماذا .. لماذا ...فعلت هذا ؟!! "

وبجنون لحظي قرر الذهاب لذلك الشارع الذي يتجنبه منذ ايام فاقدم على حركة رعناء بدراجته وهو ينوي الالتفاف لتغيير طريقه ..

وفي اللحظة التالية بوق سيارة عالٍ ... صدمة ... ثم طار جسده عاليا .... في الهواء ... ليرتطم بقوة على الارض الصلبة ..

صباح اليوم التالي

ما ان دخلت عبر بوابة الشركة الالكترونية حتى شعرت ان حركة الموظفين ابتداء من حرس الامن كلها غير طبيعية !

لم تفهم ما يحدث وللحظة تصورت انها هلوسات الارهاق ! فليلة الامس لم تذق طعم النوم الا لماما !

اقترب منها احد الحراس وقد كان يبدو عليه الاثارة وهو يقول بنبرة تعكس اثارته " صفية .. هل علمت بما حدث ليلة الامس ؟!"

ضيّقت صفية عينيها تحاول التقليل من تأثير الصداع الذي يهاجمها منذ الصباح بينما تنظر لوجه الحارس الشاب فتعرفت عليه بعد عناء !

قالت وهي تفرك صدغها الايمن ونوبة دوار تسيطر عليها " ماذا حصل راجح ؟! "

قال راجح بتساؤل قلق " ما بك صفية ؟! وجهك شديد الشحوب !!"

ردت والمطارق في رأسها لاتهدأ " انا بخير ، فقط ليلة نوم سيئة "

ارادت التحرك نحو المصاعد عندما لاحقها الشاب قائلا بخيبة امل " الا تريدين معرفة ما حصل ؟"

تحاملت صفية على نفسها وهي تلتفت نحوه لتقول بارهاق " اسفة راجح لكني اشعر بصداع شديد ودوار في آن واحد "

لكنه كان متحمسا وهو يتقدم نحوها ناقلا اخباره المثيرة دفعة واحدة " السيد ماهر الغازي تعرض لحادث بدراجته النارية ليلة الامس !"

حالما اخترقت الكلمات طبلتي اذنيها ووصلت لادراك عقلها شعرت بترنح وباحساس غريب غير مألوف لها انها تتمايل بينما قلبها يكاد ينفجر بهديره !

في المستشفى ..

تطلع آسر لوجه شاهر الشاحب بينما نهى منهارة في البكاء بين احضان نادية ..

نجلاء تستند لصدر بلال وقد توقفت عن البكاء واخذت تحمد الله بانهيار عاطفي حالما اعلن الطبيب ان ماهر بخير ... وان خشيتهم من وجود نزف داخلي لم تكن بمحلها .. لكن هذا لايقلل من حجم اصابته ...

كسر في ضلع وفطر في ضلعين عدا الرضوض ..

لحسن الحظ انه لم يكن غبيا جدا بعدم ارتداء خوذته والا كان العاقبة وخيمة جدا ...

تقدم ظافر من ابيه ليقول بوجه مرهق " ابي سآخذ التوأم وحوراء وسلسبيل معي ، لافائدة من بقائهم هنا وقد اطمأنينا عن ماهر ..."

هزّ آسر رأسه موافقا ثم اضاف بهدوء " حسنا والحق بعدها بمهدي للشركة ، انه مرهق ايضا وعانى ما عانى فهو اول من تلقى اتصال الطوارئ ولم ينم منذ ليلة الامس ، اذهب اليه وانا سألحق بكما بعد قليل .."

همهم ظافر بنعم بينما يتحرك نحو حوراء التي تحتضن سلسبيل وقد توقفتا اخيرا عن البكاء ..

احتضنهما هما الاثنتين وتمتم برقة لهما وعندما حاولتا الاعتراض اقنعهما ان هذا لاجل التوأم فقد بديا فزعين ومرتبكين !

غادر ظافر مع من صحبهم وتحرك آسر بخفة
هامسا قرب اذن شاهر " تعال معي شاهر .."

تحرك شاهر وبعض اثار التشتت على وجهه ،
ابتعد به آسر حتى نهاية الممر الطويل ليقول له
" شاهر ما حصل لماهر لايجب ان نسكت عليه
اكثر من ذلك ، لقد طالت حالته الغاضبة
اكثر مما يجب ، في الشركة يتصرف وكأنه
قنبلة موقوتة على وشك الانفجار في اية
لحظة ، وفي الليل يخرج كمتهور مجنون يجوب
شوارع المدينة بدراجته النارية ... حان الوقت
لنفهم ما حصل له مع تلك الفتاة ..."

رد شاهر وهو يمرر يده في شعره بيأس " انا لاافهم
.. لاافهم ... ما الذي جرى بينهما ليصبح هكذا
ويعرض حياته للخطر ؟!"

رد آسر بصلابة " سنعرف اخي .. فقط قل لي مرة
اخرى كل ما قاله لك ذلك الصباح ..."

وبهمهات منخفضة اعاد شاهر كلام ابنه الاصغر
على مسامع اخيه والغصة تخنق كلماته ...

كم يستطيع المرء الكبت ؟! كم يستطيع
ادعاء تأثر عادي لما يستحوذ عليه بالتأثير ؟!
لاتعلم كيف استطاعت ! حقا لاتعرف ...

ربما لتغطي على ردة فعلها المنهارة حالما
استعادت سيطرتها على جسدها ، فتمايلها جعل
راجح يسارع بامساكها من ساعدها ليسندها
واخذ ينادي بارتباك على موظفة الاستقبال ...

وحالما وصلت اليهما تلك الشابة الصغيرة حتى ساعدت راجح لاجلاسها على اقرب كرسي بينما غمغم راجح بكلام لم تفهمه وهو يهرول مبتعدا اما هي فلم تحتمل اكثر لتلتفت نحو الموظفة وسؤال يتيم يرتجف على شفتيها " هل .. هو .. بخير ؟"

للحظة لم تفهم الفتاة فسألتها وملامح الغباء ترتسم على وجهها المنمش " من بخير ؟! تقصدين راجح ؟! لقد ذهب لاحضار عصير الليمون لك .."

هزّت صفية رأسها باعياء وهي تقول بضعف وتعثر " لا .. را..جح قال ... هناك ..حادث .. ليلة الامس ..."

ضربت الفتاة براحتها على جبينها وهي تقول " آآآ فهمت الآن ... يال قلبك الرقيق ! هل لهذا شعرت بدوار مفاجئ ؟! لابد ان ضغطك انخفض .."

كادت ان تتوسل صفية وهي تعاود السؤال " هل هو ... بخير .."

ردت الموظفة بابتسامة بلهاء " اجل ... لقد سمعت الحرس يسألون السيد مهدي عندما اتى الشركة قبل نصف ساعة وطمأنهم ان الامور كلها جيدة ولكن السيد ماهر لديه كسر في ضلع او ضلعين لااذكر بالضبط كم ضلعا ذكر !"

عندها فقط عاد راجح حاملا العصير بيده وهو يقول بشعور طافح بالذنب " الحمد للّه انك بخير الآن ، اسف لاني لم اقدر حالتك جيدا وفاجأتك بالحادث ، انا اعلم انك تقدرين السيد شاهر جدا .. ولابد قلقتِ من اجل ولده .."

صمتت صفية واخفت مشاعرها خلف استار جفنيها ...

ليلة بكاء اخرى ... وهذه المرة لم تكتم شهقاتها فما كان من فاطمة الا ان اخذت تبكي معها وهي تحتضنها بقوة لتتسلل زينب بعدها وتشاركهما السرير الصغير محتضنة صفية من الجانب الآخر وهي تهمس لها ببكاء مخنوق " ما بك اختي .. فقط قولي لنا ما بك ... "

لكن صفية لم ترد وهي تخبئ رأسها جيدا تحت الوسادة وتدعو له من قلبها ان يكون بخير فعلا ..

تذكرت كيف قضت بقية النهار بعد استعادتها لتماسكها تستقصي اخباره هنا وهناك !

حتى انها لم تتوانَ آخر النهار عن اللحاق بآسر الغازي نفسه عندما رأته يخطو عبر بهو الشركة لتسأله عن ماهر وهي تدعي الثبات لكن نظراته النافذة اخترقتها ليقول لها بهدوء " ماهر بخير ، لقد استيقظ وكلمناه .."

ثم تجاوزها موليا اياها ظهره وهو يقول " لقد رفض ان يبيت معه احد ... حتى امه لم تستطع اقناعه ...تصوري ذلك العنيد ! " ثم تلكأ بتعمد واضح وهو يضيف "ام تراه .....؟!"

وترك جملته مقطوعة ثم تحركها مبتعدا..

خرجت من الشركة وقد تمكنت من معرفة في اي مستشفى هو ، لكنها لم تستطع التجرؤ على الذهاب في هذا الوقت حرجا من لقاء متوقع باحد افراد عائلته فعادت محطمة لبيتها ..
محطمة لانها يفترض ان تكون معه رغم كل شيء ، فهو لم يتخلَ عنها يوما ...

صباح اليوم التالي

نظرت لساعتها على عجل ما زال امامها الوقت لتتسلل لرؤيته اذا سنحت لها الفرصة دون ان يراها احد ثم تنسحب لتلحق بالعمل ، شعرت بالذنب لتلك الكذبة التي اختلقتها للاستاذ حكمت حول مشكلة افتعلتها اختها زينب والتي قد تؤخرها بعض الوقت !

عبست وهي تهمس لنفسها " لماذا يرتبط اسم زينب دوما بالمشاكل حتى في كذبات مختلقة ؟!! "

تنهدت وهي تنظر للممرضة عند الاستعلامات وتحضرت لاختلاق مزيدا من الاكاذيب !!

كانت يدها ترتعش وهي تفتح باب غرفته ،
الممرضة اكدت لها انه لن يستيقظ قبل نصف
ساعة على الاقل وهي ادعت ان الاوراق التي
تحتاج لتوقيعه تستحق الانتظار !

تأكدت من خلو المكان من اي فرد من عائلته
وجازفت و ... دخلت غرفته ... دون ان تطرق الباب
حتى ...

قلبها ينتفض بقوة ... رأته ممدا على السرير
الابيض والرباطات الطبية تحيط بصدره العاري

كم ضلعا كسر هذا المجنون ؟!! اثنان ام كم
بالضبط ؟؟!

ضغطت على شفتيها بقوة تمنع ارتجافة تأثر
بينما اخذت تقترب منه على اطراف اصابعها
وضغطها على شفتيها يزداد ، اطلقت تنهيدة
مرتعشة رغما عنها وهي تنظر لوجهه الشاحب

ترقرقرت الدموع في عينيها ويدها تحركت دون
شعورها نحو تلك الضمادات..

اخذت تهمس " ماذا فعلت بنفسك يا غبي ! الن
تكف عن تهورك هذا ؟! هل يجب ان تقود
دراجتك الغبية بهذا الجنون ؟!! ماذا لو ... لو
....." افلت زمام الامر منها وشهقة بكاء فتحت
الباب على مصراعيه امام شلالات الدموع ...

تبكي بشهقات متتالية وهي تضع يدها على صدره وتهمس بتقطع " ماذا كنت سافعل لو حصل لك مكروه ؟!! قضيت الليل ابكي كحمقاء سخيفة منهارة وابكيت فاطمة وزينب معي " ثم اضافت بحنق بالغ وهي تتطلع لوجهه الشاحب النائم " انت انسان... لامسؤول ... ولااعرف لماذا ... احبك اصلا ؟! "

شهقة صدمة هذه المرة ويده تحركت بلمح البصر لتمسك يدها تحتجزها على صدره .. تعتصرها حتى اوجعتها ... ليهمس بصوت قاس " انا لن اسامحك ابدا !"

الفصل الرابع عشر

شهقة صدمة هذه المرة ويده تحركت بلمح البصر لتمسك يدها تحتجزها على صدره .. تعتصرها حتى اوجعتها ... ليهمس بصوت قاس " انا لن اسامحك ابدا ؟"

اتسعت عيناها في صدمة وهي تحدق في عينيه المشتعلتين بينما شفتاه الشاحبتان تهمسان بصوت مبحوح " ابدا ابدا ..."

شعور الصدمة يتراجع ببطئ مخجل وهي تنظر اليه وتلمس ذلك الغضب المتأجج منه ؟

اخيرا قالت واثار الصدمة تعثر كلماتها " انا .. اسفة .. اعلم اني .. كان يجب ان آتي .... حالما علمت .. لكن .. آآآه .."

شهقة الألم اصدرتها وهي يضغط على يدها المأسورة بقبضته ليقول بحشرجة غاضبة من بين اسنانه " هذا لاشيء ... لاشيء ... كنت استطيع مسامحتك لاني اعرف صعوبة حضورك لكن ما لن اسامحك عليه تلك الكلمتان التي ادميتِ قلبي بهما ذلك الصباح .. هل تذكرينهما صفية ... لا .... احبك ؟"

نظراتها اعلنت بوضوح عن اضطرابها وانتثرت على وجنتيها بتلات ورد احمر في كشف سافر عما يختلجها من خجل وحتى شعور بالخزي ؟

اخذت تحاول سحب يدها بوهن وهي تهمس باختناق " اترك ... يدي .. اتركها ماهر .."

ترك يدها ليفاجئها هذه المرة بامساك ساعدها و هو يسحبها اليه بعنف فمالت شاهقة نحوه وتساقط شعرها على وجهه فاظلمت عيناه بالعاطفة للحظات ليستعيد شعلتهما الغاضبة وهو يهمس لوجهها القريب " (لا .. احبك) صفية ؟!!! .. قلتها بكل برود وثقة وانت تنظرين مباشرة لعيني ! وماذا حصل قبل قليل ؟! تتسللين لغرفتي وتظهرين قلقا علي ودموعك المضطربة سقطت على ذراعي ثم ... تفاجئينني بكلمة وحيدة منعتها عني متعمدة ... (احبك) ... "

انفاسها عذبته وقربها اضناه وهو ينظر لهذا الوجه الذي يحب بعينيها المسبلتي الاهداب تخفي نظراتهما القاتلة عنه كما اخفت مشاعرها نحوه... يا الهي ... همس بحنق " لماذا فعلت هذا ؟؟ لماذا صفية ؟ لماذا كذبتِ ؟ لم اعرفك كاذبة ابدا "

اخيرا رفعت تلك الاستار المكللة برموش كثيفة فتكشف عن التماعة عينيها الحبيبتين ثم همست بحشرجة " هذا .. ليس الوقت المناسب ، انت ..."

هتف بها باصرار متهور حانق " لاتتعلّلي بالوقت غير المناسب ! لن تهربي الان من المواجهة ، كوني شجاعة كما عهدتك واخبريني لماذا فعلت هذا ؟"

همست وعيناها تتوسلانه " اترك ذراعي ماهر ، قد يدخل احد ويرانا هكذا ويظن بنا الظنون "

ضحك ضحكة قاسية ثم قال ساخرا " يظن بنا الظنون ؟!!! ماذا يفترض ان يظن ؟ اننا نحب بعضنا مثلا ؟! يا له من ظن كاذب ! "

حاولت نزع ذراعها منه وهي تهمس باضطراب " ماهر ... ارجوك ... انا .. اخطأت بالمجيء .. ما كا..."

في لحظة سحبها اليه فسقطت شفتاها على شفتيه ولم يترك شوقه اليها تقتله الحسرة اكثر من ذلك !

كانت مجرد لحظة ذهول واستسلام منها لتدفعه في صدره في اللحظة التي تلتها فتأوه متوجعا محررا اياها " آآآآآآآه .."

ابتعدت عنه بخطوة للخلف بوجه غاضب لترفع يدها لفمها تمسحه بظاهر كفها بكل عنف بينما ماهر يغمض عينيه متوجعا واضعا يده على صدره ويعض طرف شفته السفلى باسنانه مع ابتسامة مشرقة تداعب ثغره ...

هدرت صفية قائلة بغضب سافر" انك بلا اخلاق ! اقسم بالله العظيم لولا انك بضلعين مكسورين لكنت .."

قاطعها بضحكة خافتة وهو يقاوم توجعه " ليس ضلعين .. آآه ... بل ضلع واحد ..."

اطلقت صفية اصواتا مزمجرة لتبتعد عنه متوجهة نحو الباب بينما كلماته تلاحقها " الكلام لم ينتهِ بيننا يا غازية وسأنهيه عندما اشاء .. أما ثأري منك فلن اتنازل عنه ! "

تنهدت نهى بينما تستمع لكلمات نجلاء الحانقة عبر الهاتف " نهى الوقت غير مناسب الآن للتكلم في هذا الموضوع ، لاتثيريه مع ماهر وتلحي عليه وهو في حالته هذه "

تطلعت عينا نهى عبر زجاج نافذتها الجانبية بينما السيارة التي يقودها سائقها تتهادى ببطئ يفرضه زحام الصباح ثم قالت لنجلاء بضيق " يجب ان اعرف نجلاء .. يجب .. انه ولدي .. لماذا لاتشعرون بي جميعكم ؟! لماذا تنتقدوني وكأني مجرد تافهة ! كل هذا لاني اخشى عليه من فتاة قد تكون غير مناسبة له ؟ فتاة لااعرف ماذا فعلت له لتجعله يمر بايام عصيبة انتهت بحادث مروع كاد .. ان ... ان ..."

ترقرقت الدموع في عيني نهى ولم تستطع اكمال جملتها فاشفقت عليها نجلاء قائلة بلطف " هوني عليك نهى ، ان كنا نختلف معك في الرأي لايعني اننا نعتبرك تافهة ، كما اني لم اقل اني مؤيدة تماما للفتاة كل ما قلته انك يجب ان تتعرفي عليها وعلى ظروفها ولاتسارعي في الحكم على مدى تناسبها مع ماهر "

تنهدت نهى مرة اخرى وهي تمسح دمعة افلتت على خدها لتقول " حسنا نجلاء .. سنرى ماذا سيحدث مستقبلا " ثم اضافت بتردد " هل نادية ما زالت متضايقة مني ؟"

ردت نجلاء بضحكة ناعمة " لاتقلقي انها نارية الطباع احيانا وانت لم تكوني حذرة وانت تحدثيننا قبل ايام عن تلك الفتاة "

ردت نهى بلهجة مدافعة " انا لم اقصد سوءا ! كنت منفعلة بعد اجباري شاهر بأن يخبرني بكل شيء عن تلك الفتاة ، انت تعرفين اني احب نادية جدا واحترمها واقدرها لكن نجلاء نادية حالتها مختلفة مع آسر ، ثم انها تملك شهادة جامعية وكانت تعمل رئيسة لقسم الحسابات في شركة محترمة بينما صفية مجرد سكرتيرة ! لم تنهي الا شهادة في السكرتارية من معهد مسائي مغمور ! وهناك امر آخر مهم جدا تتغافلون عنه جميعكم .. "

سألت نجلاء بتوجس " ما هو ؟!"

قالت نهى مفسرة " نادية كانت بمفردها نجلاء ، لم نضطر للتعامل مع عائلتها ، هي شخصية مميزة واستطاعت الاندماج معنا بينما صفية هذه لديها عائلة كاملة ، ام واختين واخ ... كيف سيندمجون معنا وهم من طبقة اخرى تماما ؟! اعتادوا نمط حياة مختلف ، كيف سنقدمهم لاصدقائنا ومعارفنا ؟ كيف سـ.."

قاطعتها نجلاء لتقول بهدوء " نهى ان ما تقولينه قد يكون صحيحا الى حد ما لكن اندماجهم ليس مستحيلا خصوصا ان اخوتها ما زالوا صغار !
"

صمتت نهى بعجز عن المتابعة او الاقتناع لتنهي نجلاء المكالمة وهي تقول بصوت منخفض " سأغلق الآن فاسمع خطوات نادية قادمة ، طمئنينا عن ماهر عندما تصلين المستشفى "

همست نهى باحباط " نعم .. حسنا .. الى اللقاء "

غادرت صفية المستشفى بخطوات تنضح غضبا ناريا ، استقلت احدى الحافلات في طريقها للشركة بينما تصارع لتكبت حاجتها لان تصرخ حنقا وغيظا !

ترجلت من الحافلة وهي تدمدم بكلمات غاضبة " انا من لن تسامحك يا ماهر ! لن اسامحك على تطاولك علي يا ابن الغازي ! انا .. انا تسحبني بقوة وتقبلني عنوة ! انا تقول لي لن اسامحك ابدا ؟!!! وانا الغبية كنت اتصورك تتكلم عن عدم زيارتك منذ علمت بالحادث السخيف المتهور المجنون ! "

نظرات المارة تحوم حولها في عجب فاوشكت ان تصرخ بهم جميعا وبدلا من ذلك اخذت خطواتها تضرب ارضية الرصيف بعنف لتكمل دمدمتها النارية

" انا تحاسبني وتتوعدني لاني لم ارضي غرورك واقول لك احبك كباقي الفتيات التافهات اللواتي عرفتهن ؟! ومن يلومك ؟ ولساني الغبي لايكف عن ايقاعي في المشاكل ! "

كزّت على اسنانها وهي تهمس بغيظ

" غبية غبية غبية ..."

دخلت الشركة معقودة الحاجبين والشحنات تتطاير منها ، توجهت نحو المصاعد لتستقل واحدا منهم وحالما انغلق عليها الباب ارتعشت شفتاها ودمعت عيناها فهمست باختناق " لماذا قبلتني ؟! لماذا فعلت هذا ؟ الا تعرف بعض الرحمة ؟!!"

بعد اسبوع ...

صباحاً

كانت تغلق ابواب سيارتها الصغيرة الزرقاء عندما لمحته من بعد ...

تألقت عيناها بسعادة امتلاك قلب هذا الوسيم بينما لم تغفل عن الهمسات التي اطلقتها بضعة فتيات وهن يمررن به ..

رفعت ذقنها وهي تتقدم نحوه بينما لم تتغير وقفته المتراخية المستندة على حافة سيارته الانيقة ..

ابتسامة ساحرة شعت منه اليها بينما افتقدت عينيه المختبئتان خلف نظارة شمسية سوداء ..

قالت له وهي تقف امامه مباشرة تقاوم الشوق لغمر نفسها فيه " صباح الخير يا وسيمي "

أمال رأسه جانبا بينما لمحت تلك الارتجافة في شفتيه المبتسمتين ليقول بهمس حار " صباح الخير يا مليكة قلبي "

احمرت قليلا بينما تسبل اهدابها لتهمس " ماذا تفعل هنا ؟ هل تحاول استعادة امجادك السابقة بين فتيات الجامعة ؟!"

ضحك عاليا ثم قال برقة " انت تعلمين ان لاامجاد لي !"

ردت وهي ترفع حاجبيها بكبرياء " حسنا يفترض ان تقول ما اتيت لاجله ثم تغادر سريعا لان امجادا لاتتخيلها على وشك التحقق !"

ضحك مرة اخرى ثم قال بصوت مبحوح " حسنا .. اتمنى ان احقق مجدا معك انت هذا الصباح !"

سألته بشقاوة " على ماذا تنتوي يا وسيمي ؟!"

رد بجدية وابتسامته ينتابها بعض التردد " انوي اقامة عرسي يوم الخميس القادم ! "

رمشت سلسبيل وهي لاتستوعب جديته ! فاضاف وهو يتكتف " ماهر خرج اليوم من المستشفى ولولا الحادث لكنا الآن في ... شهر العسل ! "

رددت ببلاهة " شهر العسل ؟!"

هزّ رأسه موافقا وقد بدأ يستمتع بردود افعالها ليكمل قائلا " فستان عرسك سيصل خلال يومين والقاعة وترتيبات العرس تم تنسيقها بمساعدة امي وعمتنا نجلاء "

ارتبكت سلسبيل اكثر وهي تسأله " مهدي هل تتكلم جديا ؟! "

رد ببساطة " نعم ... منتهى الجدية .."

عبست لتقول " لكن ابي وعمي شاهر .."

قاطعها بابتسامة " يعرفان بكل شيء ومستمتعان بالخطة ! "

ازداد عبوسها وهي تتخصر بحركة متمردة " وماذا عن العروس ؟! هل لها رأي بالامر ؟"

وقبل ان يرد سألته بشعور من وقع ضحية مؤامرة عائلية " هل ظافر وحوراء يعلمان ايضا "

خلع نظراته وحدق في وجهها ليهمس بعذوبة " نعم ... حتى ماهر اخبرته اليوم .."

اطلقت صوتا محتجا قبل ان تقول بحنق " حسنا يبدو اني آخر من يعلم ! "

قال برقة مدغدغة يحاول امتصاص غضبها " هل ترفضين اتمام زواجنا يا امزونية ؟ هل ستكسرين قلبي وتقولين امنحني مزيدا من الوقت ؟! "

احمرت رغما عنها وقالت بتحشرج وهي تهرب من تأثير نظراته عليها " كان يفترض ان .."

قاطعها بهمس حار " قولي نعم حبيبتي ، يكفيك بعدا عني ، لقد حضرت كل شيء لاسعدك .. فقط قولي نعم سلسبيل ... لاتخذليني الآن ..."

احمرت اكثر وهي تعاود النظر اليه وتقرأ ذلك الشوق المطل من عينيه فسلم الرايات واعلنت استسلامها وهي تتنهد هامسة " نعم ..."

حسنا ... لقد ... اشتاقت اليه !

تنهدت ... اجل .. انها مشتاقة فماذا تفعل في قلبها الذي خرج من دائرة سيطرتها ؟!

كل يوم تنظر لهاتفها النقّال تنتظر منه ان يتصل .. ان يرسل رسالة .. اي شيء .. لكن ذلك الاحمق المراوغ لم يفعل !

وما يغيظها اكثر منه هو اسر الغازي ، تلك الابتسامة الخبيثة التي يهديها خصيصا اليها بينما يرمقها بنظرات مرحة تفيض استفزازا !

حتى السيد شاهر يكتفي بابتسامة غامضة لاتفصح عن شيء !

ماذا يحدث ؟! لاتعرف .... ماذا قال لهما عنها ؟؟

لايمكن ان تخدع نفسها وتدّعي انها لاترى نظرة المعرفة في عينيهما معا ..

عقدت حاجبيها وهي تهمس لنفسها " ولكني غاضبة منه ، اجل غاضبة .. انه عديم الحياء وليس لديه اخلاق ولا احترام .. لايعرف معنى الحدود والتزام الادب "

ثم اضافت باضطراب حائر متشكك وهي تملس جبينها " ومن يدريني انه لايتلاعب بي ؟! انه ... شاب .... " صمتت لتطلق تنهيدة عميقة وهي تكمل " مختلف ! "

هزّت رأسها بعنف تقاطع افكارها عنه وهي تقول بحنق موجه نحو ذاتها " توقفي صفية ، ركزي في عملك ولاتضيعي في دهاليز ماهر الغازي الغامضة المعقدة "

انكبت على عملها بتركيز مضاعف علّها توقف سيل تلك الافكار التي تدور حوله باستمرار ..

لم تمر ساعة حتى اضطربت حواسها ملتقطة وجوده ... عطره سبق بحة صوته فرفعت رأسها مع جملته المتراخية من عند الباب ..

" صباح الخير .."

ردت بتعلثم وهي تهب على قدميها كحمقاء مجفلة " صـ..صباح الخير .."

نفس اناقته المعهودة مع ابتسامة غامضة مائلة الى الجانب ، عيناه اكثر غموضا وهدوءا وهما توجهان نظرات غير واضحة المعاني نحوها ليسأل ببرود استفزها " هل الاستاذ حكمت موجود ؟"

عقدت حاجبيها كطفلة منزعجة لكنها ردت بأدب وهي تشير نجو الباب الداخلي للمكتب " نعم .. تفضل .."

تقدم بخطوات متماهلة ليمر من امامها دون ان يعيرها ولا حتى بنظرة جانبية !

حالما دخل واغلق الباب خلفه انهارت على كرسيها وهي تشعر بمزيج من الغيظ المستفز والفرح الاحمق والتوجس المريب و .... خيبة الامل لاحدود لها !

ليلا ... في بيت شاهر

اسر يسبل اهدابه ويتلاعب بكأس العصير بين يديه بينما اخوه شاهر يلتزم هدوءه الذي يخفي الكثير من دواخله بينما نهى تتكلم ببعض الانفعال " انا من حقي ان اعترض على زواج ماهر ، من حقي ان تكون لدي مخاوف ايضا ، انا امه !"

تدخلت نادية التي تشارك آسر الجلوس على نفس الاريكة " مؤكد من حقك نهى ، نحن لم نأت الليلة لندينك او نسلبك هذا الحق "

ردت نهى بضيق وهي تشير لشاهر وآسر " قولي لهما نادية ، يعتبرانني مجرد سخيفة تبحث عن القشور .."

ردت نادية بصبر " هذا غير صحيح نهى ، كل ما في الامر انهما مقتنعان بصحة اختيار ماهر وهذا يعود لانهما يعرفان الفتاة " ثم اضافت ببعض التأنيب " كان يفترض ان تذهبي للشركة وتتعرفي اليها "

ردت نهى بامتعاض " كيف اتعرف عليها وبأي صفة ؟! اذا كنا لانفهم ما يريده ماهر حاليا ! فهو التزم صمتا غاضبا قبل الحادث ليتحول لصمت مبهم مغيظ بعدها !"

عندها قال شاهر بتأن " لاتفكري باسباب صمت ماهر المهم الآن هو صفية ، انا اخبرتك سابقا عنها ، اخبرتك كم هي فتاة مميزة واعتبرها مقربة مني كأبنة ..."

قالت نهى باعتراض " انا لم افهم انها مقربة لهذه الدرجة ! تصورت انك تعطف عليها وتساعد عائلتها لكن ان تزوجها ابنك فهذا لم يخطر في بالي ابدا !"

هنا تدخل آسر وهو ما زال على جلسته المتراخية ليقول ببساطة " انت تهملين نقطة مهمة نهى ، ليس شاهر من يريد تزويجها لماهر !" ثم رفع رأسه لنهى قائلا بعينين حادتين " بل ماهر من يريدها زوجة "

فردت نهى بعبوس طفيف " ماهر ما زال شابا يافعا يا آسر وربما العاطفة سيطرت عليه ولايدرك ما يفعل !"

قال آسر بكبرياء " يبدو انك لاتعرفين ابنك جيدا ! انه من آل الغازي باستحقاق ... وعندما يختار امرأته يختارها بعناية .."

ثم اضاف بثقة وهو يرفع حاجبيه ببرود " وهناك امر آخر ، هل تعتقدين اننا مغفلين ! هل تتصورين انني وشاهر مجرد احمقين نريد تحقيق رغبة ماهر في الزواج من اي فتاة دون ان نكون واثقين انها مناسبة !"

ارتبكت نهى من كلماته بينما وضع آسر كأسه جانبا ليقف على قدميه وهو يقول موجها كلامه اليها " منذ اليوم الاول الذي شككت به باهتمام حقيقي من ماهر نحو صفية واصبحت تلك الفتاة تحت انظاري ، كنت اعلم باهتمام اخي بها كحالة خاصة تبناها نوعا ما ولكن هذا لم يكن كافيا لي فعندما يصل الامر للزواج من احد ابنائنا .. عندما يتعلق بالنسب ومستقبل عائلة الغازي فالامر هنا ... يختلف .."

تدخل شاهر ليضيف بثقة " الفتاة جوهرة ، لديها قوة وصلابة لم ارها عند رجال ناضجين ، ستكون نعم الزوجة لماهر ، ستصونه وتدعمه دوما وتربي اطفالهما بخبرة اكتسبتها باكرا وهي تربي اخوتها ، واذا كنت تخشين عدم التكافؤ الاجتماعي فأنا اطمئنك انها فتاة ذكية جدا وتسعى لان تكون افضل بمجهودها الخاص ، لديها طموح وسعي لتحقيق ذاتها ، فتاة كهذه بمعدنها الاصيل وعزة نفسها وولائها لعائلتها وتحملها لمسؤوليتهم هي اقصى ما اتمناه لماهر "

سكنت ملامح نهى وهي تقلب الكلام في ذهنها ثم تطلعت نحو نادية التي ما زالت تجلس على الاريكة فبادرتها نادية بالقول " اذا كنت تخشين اختلاف المستويات بين العائلتين فهذا ليس بمشكلة كبيرة نهى ! مشكلتك انك تسعين للكمال ولن اقول انه عيب فيك ولكنك تبالغين احيانا ولاترتضين بابداء المرونة المطلوبة للرضا بالامور من وجهة نظر اصحابها "

قالت نهى ببعض التردد والتراجع " لكن رأيي مهم ايضا ، الزواج تعايش بين عائلتين لا بين فردين فقط .."

فرد شاهر ببعض الضيق " هو من سيتزوجها ويتعايش مع اهلها اكثر منا جميعا ، انه ذكي ومرن وعنده طاقات للاستيعاب لاحدود لها كما ان له قلب رجل عطوف لاحتواء من يهمونه بوفاء رائع "

مد آسر يده لنادية فامسكت نادية بها لتقف على قدميها مستندة اليه وهو يقول " احترمي رغبته نهى ولا تفرضي عليه وجهات نظرك ، الفتاة لايعيبها شيء لتكون زوجته "

ثم تحرك آسر وهو يلف ذراعه حول خصر نادية قائلا " لم يعد هناك ما يقال اكثر من ذلك ، تصبحون على خير "

بعد مغادرة اسر ونادية وقف شاهر على قدميه وهو يقول بهدوء " سأذهب لغرفة المكتب "

ثم تحرك مارا بنهى لينحني برأسه نحوها قائلا برقة " تذكري يا قارورة العسل ، قلب ابنك معها ولن نستطيع فعل شيء ، انها لعنة آل الغازي يحبون لمرة واحدة فقط في حياتهم "

رفعت نظراتها اليه وقد بدت مترددة قليلا فابتسم لها مقبلا خدها ثم قال " فكري بعرس مهدي وسلسبيل الآن وسنرى ماذا ينتظرنا مع المشاغب الصغير "

استقام بجذعه ليتركها وحدها تفكر و... تقرر ..

ما ان استقرت نادية على مقعدها في السيارة بجانب آسر حتى رن هاتفها وقبل ان ترد اطلق آسر ضحكة رنانة وهو يقول غامزا " اراهن بعمري ان المتصلة لن تكون الا نجلاء الصغيرة .."

ضحكت نادية وهي تفتح الخط وتقول ببشاشة " مرحبا يا صغيرة اخيك المدللة .."

صوت ضحكة نجلاء الطفولية رنت عبر الهاتف حتى وصلت مسامع آسر فابتسم بحنان ..

قالت نادية بمشاكسة " لماذا تتصلين يا متهربة ؟! كان يفترض حضورك الليلة فانت الاقرب لنهى "

ردت نجلاء بتضجر " ماذا افعل يا نادية التوأم لديهما امتحان مهم ومحمود سيقتلني غيظا ببروده ! يصر ان كل شيء تحت السيطرة ولكنه يكذب علي ليتفرغ لادمانه على الالعاب الالكترونية "

قالت نادية بتسامح " انه ذكي نجلاء لاتضغطي عليه دعيه يتدبر اموره بنفسه "

ردت نجلاء " لاتغيظيني نادية وتكلميني كبلال ! اكاد اجن من هذا الولد المشاكس المتلاعب !"

ضحكت نادية بينما نجلاء تسأل بلهجة فضولية لاتعرف الانتظار " والآن دعينا من هذا الولد وقولي لي ماذا حصل مع عنيدة الرأس تلك .."

ابتسمت نادية بينما ملامح آسر تظهر امتعاضه من نهى لتقول نادية اخيرا " حسنا .. اعتقد اننا نجحنا الى حد ما ..."

علت بهجة نجلاء عبر الهاتف وآسر يضحك ...

بعد ايام ..

دخلت صفية مكتبها وهي تنتفض غضبا !

قالت لنفسها وهي تكز على اسنانها " ايها الغبي المغرور ، تضاحك الفتيات السخيفات وهن يتملقن لك وانت مستمتع كأي شاب تافه "

رمت الملف الذيي كان في يدها على سطح مكتبها وهي تكمل بلهجة متشفية " تستحق ان تشعر بالألم في صدرك كلما ضحكت بمباهاة ذكورية هكذا ؛"

ثم اخذت تقلد بغيظ ضحكة سخيفة سمعتها للتو من احداهن ليجفلها صوت ساخر من خلفها قائلا " هذه الضحكة لاتليق بك ؛"

لم تستسلم لشعور الخجل فالتفتت اليه وهي ترفع ذقنها بتحدٍ متهور قائلة " ولايليق بك الاستمتاع بها من تلك المبتذلة ؛"

تقدم منها وهو يرفع حاجبا واحدا سائلا اياها بتحدٍ " هل تغارين ؟؛ "

ردت عليه بنفس التحدي وعيناها تشتعلان " ولماذا اغار ؟؛ هل يوجد شيء بيننا ؟؛"

عيناه جابتا النظر على ملامح وجهها ثم قال ببحة خاصة " هل يغيظك اني لم اكلمك لحد الآن ؟ "

ضيّقت عيناها ثم قالت ببرود وهي تلتف حول مكتبها لتجلس على كرسيها " هل تحتاج لشيء مني سيد ماهر "

ضحك ماهر من قلبه وهو يضع بضعة اوراق تخص العمل على مكتبها دون ان يتعب نفسه بشرح شيء حولها واكتفى بأن قال ببرود متعمد مستفز " شكرا لك انسة صفية "

ثم استدار موليا اياها ظهره وهو يضيف بخبث " فما احتاجه منك سبق و.... ملكته .."

ثم تركها وابتعد بخطوات تتعمد البطئ وكأنه يتحداها الصمود امام جبروته ..

زمّت شفتيها وهي تفكر انها ستنفجر به قريبا ! قد تخربش وجهه الوسيم الذي يتفاخر به او تصفعه بعنف تاركة معالم خطوط حمراء على خده او ربما ستضربه بخبث على صدره وتجعله يتقافز كطفل من شدة الألم !

لاتعرف ما معنى كل هذا التلاعب الذي يمارسه معها ، يأتي كل يوم يتجاهلها وهو يكلم بقية الموظفين امامها ببشاشة ساحرة ويستسلم لتغزل الجنس الناعم من الموظفات الطامحات للفت نظره ، وما ان يراها حتى تكسو نظراته برود مؤلم ! لكنه يبتسم لها احيانا بطريقة لاتفهمها ! واحيانا ... احيانا ... يطيل النظر لشفتيها وكأنه يذكرها بما حصل في المستشفى !

كزّت على اسنانها وهي تشعر بالتخبط !

ما ان تركها غاضبة خلفه حتى اتسعت ابتسامته ليقول في سره " هذا ثأري منك يا غازية ، حيرة سقيتني اياها لاشهر وانا الاحقك هنا وهناك ، ها أنا اسقيك منها وانت لاتعرفين كيف اشعر نحوك حقا او ماذا اريد منك بالضبط ! "

التمعت عيناه بشدة وهو يدخل المصعد فيهمس لنفسه " لكن لاتقلقي يا غزالة فصبري له حدود ايضا ، ولن احتمل اكثر حتى احتجزك قربي وانت تهمسين لي (احبك) ... فقط الصبر لاسترد بعض ثأري منك ..."

وبينما يغادر المصعد عندما وصل الطابق حيث مكتبه عيناه التقطتا المكان حيث وقف بجوار ريمة ، ملأته ذكرى بعيدة لعينين زرقاوين مجروحتين ... نفس الجرح ونفس الكأس المر تجرعه ومزقه الالم بكل ثانية ...

لقد حان الوقت لتلك الزيارة .. حان الوقت يسرا ..

في اليوم التالي صباحا

رآها عبر الحرم الجامعي تلوح لصديقتها التي فارقتها للتو واخذت تمشي بخطى هادئة وعينين صافيتين بلون السماء ...

لم تتنبه له في البداية لكنه تأثر لتعكر صفاء وجهها حالما لمحته ..

قال بتمالك نفس " مرحبا يسرا .."

وقفت تنظر اليه وهي تردد اسمه باستغراب " ماهر ؟! "

سأل بلطف " هل ازعجك ؟"

رفعت ذقنها لتسأل بكبرياء " ماذا تريد مني ؟!"
اتخذ اقصر الطرق ... الحقيقة المجردة بابسط الكلمات لانه مدين لها بهذا رغم انه قد يكون لاشيء ! قال بهدوء وصدق واضح " جئت لاعتذر يسرا .."

ضحكة بخفة ضحكة جوفاء لتلقي تساؤلات ساخرة " اضحكتني ! هل هي لعبة جديدة ؟! هل العمة ريمة تثير مخاوفك مرة اخرى ؟!"

رد بثبات دون ان يتراجع " ما فعلته معك لايمحوه اعتذار وربما حتى لايقلل من مدى سوئه ، ما مررت به بسببي لم اسامح نفسي عليه ابدا ، اتمنى فقط ان تدركي انك .. لست السبب "

ردت بحدة وعيناها تلتمعان بالقسوة " حقا ! لستُ السبب ؟! اتعني اني يجب ان اقنع نفسي بأني لست السبب في انك اقتربت مني تلك الفترة وبادلتني ولو زيفا العواطف ومع ذلك لم اؤثر بك ! بينما انا همت بك كغبية ! ترى كيف يجب ان اقنع انوثتي المجروحة بكل هذا الرفض والاحتقار !"

رد عليها وهو ينظر لعينيها مباشرة " يسرا انا لم احاول الوصول لاعماقك لاحبك ، كان هدفي محددا فنحيت جانبا اي شيء قد يلهيني عنه "

ارتجفت شفتاها لتقول بمرارة " ماهر ... لافائدة من كل هذا فما حصل قد حصل "

ثم حدقت في وجهه بثبات لتقول بشجاعة وسخرية موجهة لهما معا " وربما ساظل ممتنة منك لانك لم تتمادَ معي خصوصا واني كنت كالبلهاء وانا اعرض عليك زواج سري !"

كأنها لطمته على فمه وهو يتذكر ما حصل فلم يملك الا ان يعبر قائلا بألم حقيقي " أنا آسف... آسف جدا "

توشحت ملامحها ببعض الرضا لتقول بعنفوان وكبرياء " الموضوع انتهى .. سيد ماهر .. "

ثم اضافت بحاجبين مرفوعين " والآن هلا قلت لي لماذا اتيت اليوم ؟! ما الذي جعلك تتذكر اعتذارا متأخرا تدين به الي بعد كل هذه الفترة ؟!! "

رد ماهر بهدوء مخفيا تأثره " انا لم اكن استطيع الاقتراب منك سابقا كان يجب ان اتركك تتجاوزين ما حصل ، كان يجب ان .. اكون بعيدا .."

ابتسمت ببعض السخرية وهي تسأله " والآن تراني تجاوزته ولهذا اتيت ؟!"

صمت ليسبل اهدابه فقالت له بهدوء وصلابة " لااعلم لماذا اتيت الان حقا يا ماهر ! لكني تعلمت من تجربتي معك ان اكون قوية ولااخاف نقاط ضعفي بل احاربها اذا كانت تخالف مبادئي واخلاقي ..."

لتضيف ببساطة " ربما لهذا فقط ساقول لك ... شكرا .."

ثم تحركت لتتجاوزه وهي تقول " بالمناسبة ...
عمتي اخبرتني عن الحادث الذي وقع لك ،
حمدا لله على السلامة .."

ودون ان تنتظر رده تركته واقفا حيث هو وسارت
في دربها تبتسم لوجه الشمس المشرق براحة
عجيبة ...

حالما دخل ماهر لمكتبه وصله اتصال من
مساعدة عمه آسر تبلغه ان يحضر في التو
واللحظة لمكتب عمه ..

دق ماهر على باب المكتب قبل ان يدخل وهو
يقول بابتسامة " صباح الخير.. عمـــ.."

كلمته الاخيرة تلكأت على لسانه وعينان
واسعتان مرتبكتان كانتا بانتظاره ...

لم يتحرج ماهر من وجود عمه آسر وهو يتطلع
بابتسامة رقيقة نحو غزالته التي اتخذت احد
الكرسيين الجلديين مجلسا لها بينما عمه يبدو
مستمتعا بمراقبتهما معا ..

قال آسر بمرح " اجلس ماهر ..."

تقدم ماهر ليجلس على الكرسي المقابل لها
وعيناه لاتفارقان وجهها المتهرب منه ...

تنحنح آسر وهو يقف على قدميه ليقول " عذرا
من صمتكما المؤثر هذا لكن لاوقت لدي
للانتظار ! فاليوم عرس ابنتي ويجب ان انهي
بعض الاعمال .."

اسبلت صفية اهدابها وهي تشعر بحرج لايوصف بينما ماهر يبتسم ليكمل آسر وهو يتحرك مبتعدا عن مكتبه " اترك لكما مكتبي لساعة واحدة فقط تبحثان فيها عن وسيلة لبدأ الكلام بدلا من هذا الصمت غير المجدي ، فالصمت طال اكثر مما يجب !"

رفعت صفية راسها باضطراب تراقب آسر الغازي وهو يتوجه للباب مغادرا فنادته باختناق " سيد آسر ..."

ابتسم لها غامزا وهو يفتح الباب ويقول بمكر " كوني قوية يا فتاة ... شرسة وضارية ايضا .."

ثم تركهما ليغلق الباب خلفه ..

لم يعلم لماذا اختار ان يبدأ الكلام بتلك الجملة " اليوم ... تأخرت عن العمل .."

رفعت نظراتها اليه ليكمل بعينين غائمتين وهو يحاول السيطرة على مشاعره " ذهبت لاحدى الجامعات .."

رفع حاجبيه قليلا بدهشة من تلك الشراسة التي خطفت في عينيها وهي تقول من بين اسنانها " ولماذا ذهبت هناك ؟! لتلتقط فتاة بريئة توقع بها وتتلاعب بقلبها ؟ "

عقد حاجبيه وهو يسألها " ماذا تقصدين ؟!"

ادارت وجهها جانبا وهي تهمس بنبرة حادة " لاشيء .."

ثم فاجأته بأن وقفت على قدميها وتحركت وكأنها تقصد الباب فلحق بها ممسكا بذراعها ليوقفها فقالت بشراسة باردة وهي تحاول تخليص ذراعها من قبضته " اترك ذراعي .. "

رد دون تراجع " ليس قبل ان تخبريني بما اريد معرفته "

فنظرت اليه لتبتسم بسخرية وتقول " ماذا ؟ هل قررت الآن متابعة الكلام ؟!"

ابتسم باستفزاز وهو ينظر اليها بتحدٍ قائلا بلؤم " اجل ... هل اغاظك اني لم اسال طوال تلك الفترة ؟!"

زاد غضبها وهو يذكرها بما فعله معها خلال الاسبوع المنصرم فازداد عنفها وهي تحاول دون جدوى تخليص ذراعها صارخة به " اترك ذراعي ماهر ... الآن ..! "

لكنه كان مصرا وهو يسحبها نحوه ليمسك ذراعها الآخر ويحتجزها وهو يقول بصوت مبحوح " اخبريني لماذا قلت هذه الجملة عن الفتيات البريئات "

رفعت عينيها اليه لتواجهه بقوة وهي تقول " هل تعتقدني اخشى المواجهة ؟! "

للحظات كان يمعن النظر اليها دون ان يبدي انفعالا ثم قال بحشرجة " نعم تخشينها !... والا كنت واجهتني ذلك الصباح بدلا من ادعائك الكاذب انك لاتحبينني "

ارتبكت قليلا فقالت " كنت ..."

قاطعها قائلا " مجروحة ؟ متألمة .. خائفة !"

ردت بحدة وعيناها تلمعان تاثرا " نعم خائفة .. خائفة من نفسي والى اين امضي وعائلتي معلقة باذيالي ان هويت ارضا هووا معي ! خائفة منك وما تعنيه ملاحقتك لي ، خائفة .. ان لااكون الا مجرد فتاة اخرى تتلاعب بقلبها لتحقق انتصارا آخر .. كنت احمي نفسي وكرامتي و.. قلبي ... ماهر ... "

رغم تأثره بكل ما قالت لم يملك الا ان يتساءل بتنهيدة " مرة اخرى تذكرين الامر ، اخبريني ماذا تعنين ؟! فقط قولي كل ما عندك ضدي.."

لمح الألم على محياها قبل ان تطرق براسها لتقول " لقد سمعت كلام السيدة ريمة وهي تقول لك هل ما زلت تتلاعب بقلوب الفتيات البريئات ؟"

يداه تراختا قليلا عن ذراعيها فهمست دون ان تنظر اليه " هل ارتحت الآن وارضيت غرورك .."

عادت قبضتاه لتقسوان على ذراعيها وهو يقول بغضب مكتوم " هل ترينني سافلا صفية ؟! "

ارتبكت من سؤاله غير المتوقع لترفع نظراتها اليه وهي تسأل ببلاهة " ماذا ؟!"

هزها قليلا وهو يقول بصوت يفيض بالألم " هل ترينني سافلا وحقيرا ؟! لان من يفعل هذا بلا رجولة حتى !"

اضطربت وهي تنظر لعينيه العاصفتين لتقول بتلكؤ " هل السيدة ريمة كانت تكذ...."

قاطعها وهو يهدر غاضبا " السيدة ريمة تدعي البراءة امام نفسها وهي تحاسبني على اوزاري نحوها ! السيدة ريمة تبيح لنفسها سرقة رجل من زوجته بعد زواج دام لاكثر من خمس وعشرين سنة لمجرد مرور زواجهما ببعض الصعاب "

اتسعت عينا صفية في ذهول وصدمة وهي تفسر معنى كلماته بينما ابتعد عنها ماهر مستديرا وهو يتمتم بغضب متفجر " اللعنة ..." ثم اخذ يمرر يده في شعره وهو يلوم نفسه بغضب متواصل " ما كان يجب ان اقول هذا ... اللعنة .. اللعنة .."

نادته وهو يولي لها ظهره " ماهر .."

استدار نحوها وهو يقول بملامح لم ترها على وجهه سابقا " انا ارتكبت حماقة صفية .. بل ذنبا لايغتفر واعترف به لكني لم ارتكبه لاجل ان اثبت انتصارا احمقا كأي شاب تافه ! اخطأت وابحت لنفسي التلاعب بقلب فتاة ودفعت الثمن كما دفعت هي الثمن رغم انها لم ترتكب اي سوء او خطأ ! خطأها الوحيد اني اخترتها كورقة ضغط لادافع عمّن احبهم "

واجهها قائلا " اوزاري انا حاملها وانا من اتعايش معها واكفر عن ذنبها بنفسي ، لايحق لك محاسبتي على كل خطأ ارتكبته في حياتي صفية ، انا مجرد بشر ، ما يهم هو هل ترينني شاب سافل ؟! "

همست بتلقائية نابعة من اعماقها " لا ..."

تأثر بعمق لتلك النظرة الواثقة في عينها فهمس بتاثر وهو يقترب منها " صفية .."

لامس ذراعيها وهو يكرر اسمها بلوعة " صفية .."

هذه المرة شعر انها تذوب بينما تحاول ابعاده عنها بوهن " اتركني ماهر .."

همس باختناق عاطفي " انا احبك .."

مال نحوها فابعدت راسها للخلف وهي تتوسله بضعف " ارجوك .."

لكنه استمر بهمسه الحار " انا ... احبك .. احبك .."

رفع يدا مرتعشة تلامس شعرها وهي تحاول الابتعاد بحركات خرقاء ثم قال وهو يبتلع ريقه " تزوجيني صفية .."

الاحمرار طفح على خديها وهي تحاول ابعاد يده عن شعرها " ماهر .. "

كان يدرك اضطرابها ، يدرك حياءها وخجلها لكنه لم يعد قادرا ، همس ببوح من منى القلب " متى تنطقين اسمي والشوق يلهب حروفه .."

شعرت انها تضيع في مشاعر اكبر من تحملها فتمسكت بقشة النجاة " علي ... علي الذهاب .."

امسكها بثبات اكبر وهو يعاود همسه الرقيق ولو ببعض المرح ليخفف عنها " انا اريد الزواج منك صفصف.."

اراد تقبيل خدها فقط فمال نحوها وهي تبتعد وتقول ببعض الحنق الذي تحصلت عليه بشق الانفس " لاتقترب .. اتركني الآن .."

تنهد وهو يدرك ان عليه تركها فعلا ، فقال وهو يفلتها " تعالي لعرس اخي الليلة .."

هزّت برأسها علامة الرفض وهي تتراجع بتعثر نحو الباب لكنه عاود طلبه بلهجة متوسلة " تعالي صفية .. اريدك ان تأتي .. ارجوك "

لكنها خرجت دون ان ترد ...

كغزال يهرب لينجو من فخ الصياد !

و رغم ذلك ... وبينما تترك لخطواتها المترنحة حملها بعيدا عنه الا انها تشعر في قرارة نفسها انها وقعت فعلا في فخ لا فكاك منه ..

اصرت على مسح ارضية البيت بنفسها وامها عاجزة عن ثنيها ! لكنها لم تهتم !

ارتدت غطاء الرأس كوشاح وثنت كمي قميص نومها القطني ورفعت اطرافه السفلى لتلفها بوضع مقلوب حول وسطها فكشفت عن ساقيها حتى ركبتيها ،

ثم اخذت سطل الماء وقطعة القماش الخاصة للمسح وبدأت العمل في ارجاء الشقة بنشاط مبالغ فيه ..

انها بحاجة لعملي بدني منهك قدر الامكان حتى تشغل نفسها عن كلماته العالقة في رأسها ولا تزحزح ! أما قلبها ذلك الحديث العهد بالعشق فقد اختار ان يئن حنينا وشوقا ولوعة ...

رن جرس الباب بينما صوت زينب يعلو وهي تؤنب طه لاخذه مشطها بينما فاطمة تنادي امها لتساعدها بحمل القمامة من المطبخ !

كانوا في حالة هرج ومرج ولم يكن امامها الا ان تفتح الباب بنفسها ..

ذهبت ناحية الباب بينما الجرس يرن للمرة الثانية فتمتمت بحنق " حالا .. سافتح الآن !"

فتحت الباب وهي تخفي نصف جسدها خلفه لكن حالما رأت من في الباب انفكت عقدة حاجبيها الممتعضين ليرتفعا عاليا بينما فمها ينفتح بصدمة و قدرتها على النطق تتلاشى وسط صرخات زينب وطه !

الفصل الخامس عشر

تململ شاهر بينما آسر يدفعه في ظهره ليدخل المصعد الكهربائي ، مصعد يعود لعهد مضى جميل وهادئ فاتخذ المصعد نفس الجمال بزخارفه الناعمة وانسيابه الهادئ المستكين ...

ارتكز آسر على احد جوانب المصعد وتلك الابتسامة الصبيانية المستفزة تلامس ثغره بشقاوة محببة ...

قال شاهر حانقا " لااصدق انك اقنعتني ان نتخلف عن موعد العرس تاركين كل شيء خلفنا لنتسحب من الجميع كمتهورين طائشين ونأتي هنا ونقدم على افعال صبيانية لاتليق الا بتوأم نجلاء ! لقد تخطينا الستين يا رجل ! "

ضحك آسر عاليا بينما عيناه تتطلعان بفضول لطوابق المبنى المكشوفة امامه عبر قضبان المصعد الحديدية بينما شاهر يكمل بضيق وكأنه يحدث نفسه " نهى ستقتلتني حتما !"

رد آسر وهو يهز كتفيه بلا مبالاة مغيظة " ولماذا تقتلك ؟! ألم تقل انها ابدت رضا عن الموضوع ؟! اذن ... انتهينا! "

كزّ شاهر على اسنانه بينما المصعد يتوقف عند الطابق السادس حيث وجهتهم ليقول بغيظ " اجل ...لكنها كانت تريد لقاءها اولا وهذا حقها ! "

حرك آسر حاجبيه صعودا ونزولا ليقول بتلك الابتسامة " فاجئها اخي .. احيانا المفاجأة تقطع خيط الشك وتقوي خيط اليقين ! دعنا نقدمها على طريقتنا ... طريقة آل الغازي "

خرج آسر من المصعد وهو يتلفت بحثا عن الشقة المرادة وهو يقول بحماسة واستمتاع " ما رقم الشقة اخي ؟!"

تبعه شاهر ليمسكه من ساعده يمهله الوقوف قائلا بتردد " لحظة آسر .. انا سبق و وعدت ماهر بعدم مكالمة صفية " رد آسر ببساطة مرحة " انت وعدته اما انا فلم افعل ! "

اتسعت عينا شاهر باستنكار ليقول " ولكني اتيتُ معك "

رفع آسر سبابته ليدق على صدر اخيه قائلا بمداعبة " انت جئت كداعم فاعل لما ابغيه انا فقط ! "

عبس شاهر ليقول بعناد حانق " انها لن ترضى !"

اتسعت ابتسامة آسر وهو يقول بسلاسة " تقصد صفية ؟! ولماذا اذن احضرتك معي يا وسيم ال الغازي (سابقا) "

ثم اضاف غامزا " انها لن تقول لك (لا) بينما انا ..." صمت آسر للحظات وكأنه مستغرقا بالتفكير ليضيف بمشاكسة

" لن اعدد توقعاتي لما يمكن ان تفعله معي تلك الشرسة ..."

تحرك شاهر بخطوات حانقة نحو الشقة المطلوبة وهو يقول بغيظ واضح " ارجو ان لا تأتينا مخططاتك الغريبة المتهورة بنتائج عكسية "

لحق به آسر وهو يضحك وحالما وقفا امام باب الشقة بادر شاهر للضغط على الجرس بينما اصوات صرخات اطفال تأتيهما من الداخل ...

عبس شاهر بينما آسر يحثه على ضغط الجرس مرة اخرى وحالما فعل كانت هناك خطوات تقترب من خلف الباب ثم صوت انثوي حانق يقول " حالا .. سافتح الآن !"

ابتسم آسر ابتسامة عريضة بينما الباب يفتح ليطل من خلفه مجرد رأس متوشح بوشاح مضحك بوريدات فاقعة اللون بينما الجسد تخفى خلف الباب .. لكن ليس لوقت الطويل !

فالوجه الحانق الممتعض لتلك الشرسة الصغيرة تحول للذهول والصدمة ثم فتحت فمها بتراخ بينما تترك الباب يتراخى هو الآخر لتظهر من خلفه بقميص نوم باهت مثني الكمين ومرفوع من اطرافه السفلى لتعقده حول خصرها فتظهر ساقيها بوضوح وتكشف عن قدميها بالنعل المطاطي !

الصدمة من شدة الحرج تمكنت من اخيه شاهر فانخرس لسانه ولم ينطلق ، كم تمنى آسر لو يستطيع تصوير هذه اللحظة ! لا بل توثيقها بفيلم كامل وليس مجرد صورة ..

تمالك مخيلاته الصبيانية المشاكسة لكنه لم يتمالك مشاكسة لسانه وهو يقول باستمتاع " مسكين ابن اخي ، لن يغفر لي اني انهكته بامور العرس لاحرمه المجيء ورؤيتك على الطبيعة !"

شهقت صفية بينما خرج شاهر من ارتباكه فحدج آسر بنظرة غضب بينما يقول لصفية باعتذار " آسف صغيرتي ... كنا ..."

لكن الكلمات ضاعت مع هروب صفية من امامهما وهي تفك عقدة قميص النوم ليسترسل على ساقيها وتواصل ركضها نحو احدى الغرف !

تنحنح آسر وهو يقول ببراءة " يبدو ان هذه طريقتها لتقول (تفضلا بالدخول البيت بيتكما) !"

زمجر شاهر وهو يشعر بحرج شديد " فقط اصمت آسر !"

رد آسر بضحكة خافتة وعيناه تتطلعان لداخل الشقة عبر الباب المفتوح ثم قال " على الاقل إحمدْ اللّه ان نهى لم ترها بهذه الحالة والا كنا سنعود لنقطة الصفر ! "

اظهر شاهر امتعاضا بينما يتململ في وقفته محرجا لايعلم ما عليهما فعله ! فربت آسر على كتفه ليقول بثقة " هيّا اخي هات الكيس في يدك والحقني لغرفة الضيوف "

ثم دخل آسر ببساطة بينما شاهر يكاد يموت غيظا منه ..

حالما دخلا كانت تصلهما همهمات مخنوقة من هنا وهناك لتُفتح تلك الباب التي اختفت خلفها صفية وتخرج فتاة صغيرة مراهقة تشبهها الى حد ما ، اظهر آسر استمتاعا جديدا وهو يقيم تلك الصغيرة التي تتقدم منهما بثقة وشجاعة لتقول بهدوء " مرحبا بكما ، تفضلا لغرفة الضيوف اختي صفية ستأتي في الحال "

لحقا بها وهي تتقدمهما بخطوات واثقة بينما آسر يميل نحو اخيه هامسا " افراد هذه العائلة لايكفون عن ابهاري واثارة استمتاعي !"

همس شاهر بهمس غاضب " فقط ....اصمت ! "

دخلت صفية بعد خمس دقائق بالضبط مع قميص بني بسيط وتنورة من نفس اللون بتدرج اغمق ، بدت مسيطرة على نفسها وهي تمد يدها لتصافح كلا من شاهر واسر وترحب بهما ، ثم جلست بهدوء على كرسي قريب تتطلع اليهما بتماسك صلب .

تنحنح شاهر قبل ان يقول برفق " اعتذر عزيزتي على حضورنا المفاجئ ! " ثم اضاف بمرح رقيق " يبدو انك كنت تنظفين البيت "

ردت ببعض الاحمرار على وجهها " اجل ، اسفة لاني تركتكما عند الباب "

كم يثيره ان يستفزها وهو يرى استسلامها لرقة شاهر الطبيعية نحو الاناث ! يمتعه ان يخرج منها روحها الاصيلة ؟!

وجد نفسه يقول باغاظة متعمدة " من المنعش رؤيتك تهربين من شيء ما !"

نحنحة شاهر لم تمنع صفية من ارسال نظرة نارية لآسر ثم قولها ببرود يناقض تلك النارية " انا لااهرب من شيء ابدا سيد آسر !"

رفع حاجبا واحدا ليقول بتفكه " هذا رائع حقا " ثم كست نظراته التحدي وهو يضيف " بل انتظره منك دوما وفي اي موقف !"

بادلته صفية النظرات وهي تستوعب المعنى المبطن لكلماته ليعود لمرحه وهو يقول

" بالنسبة لي لاتهتمي فقد رأيت زوجتي في هيئات عديدة افظع مما رأيناك به قبل قليل ! "

للحظة اربكها ثم اثار التماعة في عينيها وهي تنظر اليه ! وكان سعيدا بنظرتها الفضولية نحوه ، سعيدا انها تثبت له كم هي لماحة وعميقة في تفكيرها ...

قال شاهر بهدوء " صغيرتي صفية ، ربما تستغربين حضورنا الليلة بل مؤكد انه يثير استغرابك لانه كما تعلمين انها ليلة عرس ولديّنا "

اكتفت بهزّ رأسها ببعض التوجس بينما التزم آسر الصمت ليسأل شاهر بلطف " هلا ناديتِ والدتك عزيزتي ليكون كلامنا امامها ؟"

ردت صفية بحذر " انا ساناديها لكن اعذرني سيد شاهر احب اولا ان اسمع منك قبل ان اقحم عائلتي بالموضوع "

قال شاهر بتأنٍ " وأنا لااحب الا ان اكون صريحا ومباشرا معك يا ابنتي ، لذلك سأقول ... انا اكثر من سعيد لان ولدي ماهر اختارك انت بالذات لتكوني زوجة له "

شعّ وجهها احمرارا رغم اظهارها للتماسك والسيطرة على النفس ليصمت شاهر بعض الشيء يدرس ردود افعالها قبل ان يكمل قائلا " لقد جئت اليوم انا واخي لنخطبك رسميا لماهر وندعوك لحضور زفاف مهدي وسلسبيل وتتعرفي على العائلة "

صمت للحظات ثم سألت صفية بملامح تدّعي الهدوء " هل.... هو... من طلب منكما ان تخطباني الليلة ؟!"

رد شاهر بابتسامة " بل اردنا ان نفاجئه بما يسعد قلبه "

توردت وهي تسبل اهدابها ...

طال صمتها وتوجس شاهر من هذا الصمت !

قال اخيرا " يا ابنتي .. هل تشعرين بالتردد ؟! "

لم ترفع نظراتها اليه بينما تقول بنبرة لم تعجبه " انا اشعر بأن الامر خيالي ! "

ضيّق شاهر عينيه قليلا بينما يشعر بتنبه آسر رغم التزامه الصمت !

سألها شاهر " هل ترين رغبة ماهر بالزواج منك غير حقيقية ؟!"

ردت بجلد وهي ترفع عينيها اليه اخيرا " بل اراها غير واقعية ! "

قال شاهر بشكل مباشر وحاسم " صفية .. انت فتاة اكثر من مميزة ، قوية الارادة شجاعة طموحة حنونة وفية ، لديك خصال مبهرة لاجتماعها في شخص واحد ! انا فخور بولدي لانه اختارك انت واجاد الاختيار ، فخور انه رآى (واقعيا) جوهرك النادر والنفيس فمنحك قلبه ومشاعره وارادك زوجة تشاركه حياته "

ارتعشت شفتاها والتمعت عيناها بالتأثر بينما تنظر اليه بارتباك !

عندها تدخل آسر ليسألها دون مواربة " هل تحبين ابن اخي يا صفية ؟ هل ترين فيه رجلا تأمنينه على نفسك وحياتك ؟"

ازداد ارتباكها وهي تتنقل نظراتها بين الرجلين !

قالت بغصة مؤثرة " انا لااعرف كيف اقول هذا ! لكني ساحاول ... انا لدي عائلة مسؤولة عنها من الألف الى الياء ، انا ... لست بمفردي !"

رد شاهر بجدية " ونحن نعرف هذا يا ابنتي ومن قال اننا سنتجاهله ؟!"

قالت وهي تهز رأسها " سيد شاهر ، انا لاانسابكم .. لاانسابـ... ماهر ..."

عاود آسر لالقاء سؤاله " هل تحبينه ؟ "

تطلعت لعيني آسر بوجل بينما يهاجم ضعفها اكثر وهو يقول " انا اعلم ان فتاة مثلك عندما تحب فهي تحبه للاسباب الصحيحة ، ليس لانها تأثرت بوسامته او غرتها كلماته المعسولة ! فتاة مثلك لن يذعن قلبها قبل ان يستأذن عقلها ويسترضي كبرياءها "

حولت صفية نظراتها لشاهر هاربة من مواجهة لاترحم مع آسر الغازي فقالت بحشرجة " انا من عالم مختلف سيد شاهر ، بيئة مختلفة تماما انتم قد تعرفونها لكنكم تجهلون معنى الانتماء اليها .."

جذبها آسر بقوله الغامض " انت من تجهلين من نحن يا فتاة ! ورغم نضجك المبكر وعقلك الراجح وخبرتك في معترك الحياة التي تضيف الكثير اليك الا انك ما زلت في مقتبل العمر ، فلا تتعجلي الامور وتعرفي على عائلة الغازي بوجهها الانساني الآخر ..."

كلماته الجمتها ليضيف شاهر هذه المرة " انت مقدامة صفية وتسعين لما تريدينه باجتهاد يثير الاعجاب ، فاذا كنت تبادلين ولدي مشاعره وتكنين له ما يدفعك لقبول الزواج به فتوكلي على اللّه وقولي نعم ولاتدعي المخاوف تكبّلك، اكتشفي الامر بنفسك وانا واثق من النتيجة لاني اثق بك واثق بولدي ايضا .."

شعلة التقطها شاهر في عينيها ، شعلة لطالما اعجب بها وجعلته دوما يسعى لضمان توقدها ، هذه الصبية الرائعة مفخرة حقا ...

نهضت صفية على قدميها لينهض كل من شاهر واسر ثم قالت بهدوء وهي تسبل اهدابها " عفوا .. دقائق واعود اليكما "

هزّ شاهر رأسه بينما تستدير صفية لتغادر غرفة الضيوف ثم عاود هو وآسر الجلوس مترقبين عودتها ...

خطواتها تتثاقل وهي تقترب من غرفة النوم التي تجتمع فيها عائلتها بعيدا عن الضيوف ، افكارها تغمرها بمشاعر غريبة ، واضحة لكنها مجهولة ايضا !

هل هي مدركة لما تفعله حقا ؟ هل فعلا لديها هذه القوة التي يظنها بها شاهر وآسر الغازي ؟

هل الارتباط بماهر خطوة صحيحة لحياتها وما يعنيه من دخول عالم الاثرياء الذي يبهت قربه عالمها ويتلاشى امام الوانه البراقة ؟ ترى هل ستعتاد على هذا النوع من الترف الذي سيحيط (رغما عنها) بكل تفاصيل حياتها المرتقبة ؟ هل ستجد مكانا لعائلتها تندمج فيه بهذه البيئة المختلفة لتبني اخوتها على اساس صحيح كما تمنت دوما ؟ ام انها ستستسلم لتيار آل الغازي ليجرفها مع عائلتها نحو مجهول دون حسابات منطقية ..

فتحت باب الغرفة وتطلعت للوجوه المترقبة ، ابتسمت رغما عنها وهي تفكر كيف سيكون ماهر وسط هذه العائلة التي تعشقها ؟!

دخلت فتاة شقراء صغيرة تهمس بتحية المساء وتحمل بين يديها صينية بكأسي عصير قدمتهما لهما بابتسامة خجول ووجه فاتن متورد لتعود مع الصينية المعدنية للخلف وقبل ان تصل الباب كانت عودة صفية ...

عاود آسر وشاهر الوقوف احتراما بينما يردان بابتسامة على تحيات متفرقة من افراد عائلة صفية بينما هي تعرف عنهم فردا فردا ابتداء من امها التي حاوطت كتفيها بذراعها ثم اخيها الصغير طه واخيرا الاختان المراهقتان زينب وفاطمة ..

يعترف آسر انه كان شديد الفضول للتعرف على عائلة هذه الفتاة العشرينية الجسورة !

والآن وهو يقيّم افراد هذه العائلة يجد نفسه اكثر فضولا لصفية نفسها !

امها امرأة تحمل جمال الوجه تقارب عمر نجلاء تلف رأسها بوشاح رمادي وقد عقدته بشدة مبالغ فيها حول وجهها عكس توترها الواضح ، بعينيها الخضراوين هاتين ووجهها المستدير ذكرته بالدمى الروسية الخشبية المسماة (ماموشكا) ! نظراتها تنم عن بلادة فطرية ، عجز طفولي عن استيعاب مجريات الاحداث حولها مهما بطأ انسيابها ! بدت مرتبكة بل تائهة حرفيا وهي تنظر اليه والى اخيه شاهر بينما تستند بكفيها على كتفي ذلك الفتى الصغير و ذراع صفية الملتف حول كتفيها يشد من ازرها بوضوح ...

وفي تناقض غريب يشع ذكاء ملفت من عيني طه ، نظراته المحللة تعكس عقل علمي منظم ..

اما الفتاتان ففاطمة الشقراء ذات الجمال الانثوي المميز لها ملامح تفيض حنانا ، لطفا .. وابتسامة تأسر القلب وتعكس روحا سلسلة ، ورغم ذلك تطغى عليها شعلة نارية متمردة متمثلة في زينب ووقفتها الشامخة ونظراتها المتوجسة شبه المرتابة ..

للّه درك يا صفية ! كيف تستطيع في عمرها الفتيّ هذا ان تقود عائلة بكل هذا التنوع والتباين ؟!

سبقه شاهر ليبتسم قائلا للام " مساء الخير سيدتي " ليتبعه آسر بنفس الاحترام " سعدنا بلقائك .."

لم تفاجئه تلك النظرات المضطربة من عيني الام وهي تفتح فمها وتعاود غلقه في حركات متتابعة كما لم يفاجئه ان تهمس لها صفية بحنان مميز " لابأس امي .. لاتقلقي حبيبتي .."

ثم التفتت تلك الشابة الشجاعة لتقول برأس مرفوع " امي تتكل عليّ في كل امور حياتنا وقرارات عائلتنا لذلك اجد نفسي انا صاحبة القرار الاخير "

خانتها انوثتها ووجهها يحمر بينما تواصل بشجاعة " انا .. مبدئيا .. موافقة .. لكني سأقول اني احتاج لأن اشعر بأن عائلتي ستكون مرتاحة ايضا لتلك الموافقة "

سارعت فاطمة لتقول بابتسامتها الحلوة " انا موافقة ، انا احب السيد ماهر !"

ضحك شاهر بينما آسر غمز لها فاحمرت ...

زينب كانت متوجسة بوضوح لكنها قالت بصوت ثابت " وانا راضية بأي شيء يسعد اختي "

اما الصغير طه فكان ينظر لآسر بالذات ليقول " هل السيد ماهر سيسعد صفصف ؟!"

ابتسامة جانبية من آسر ليرد عليه بثقة

" نعم .."

ثم التفت لشاهر ليسأله " وهل سنكون معها ؟"

همسة صفية جاءت محرجة " طه ! "

لكن شاهر رد بتسامح رقيق " مؤكد ستكونون معها .."

فابتسم طه ليقول ببساطة " انا موافق !"

عندها همست صفية لامها تحثها " هل انت راضية امي ؟"

تأثر شاهر وهو يرى تلك النظرة الدامعة في عيني الام وهي تتطلع لابنتها بحقيقة واحدة انها لاتريد الا رؤيتها سعيدة رغم جهلها الواضح بابعاد ما مقدمة عليه ابنتها حقا !

همست الام اخيرا " انا .. راضية عنك يا ابنتي ، راضية عن اي شيء يسعدك "

رآى شاهر بوضوح كيف ابتلعت صفية ريقها خانقة تأثرها لتلتفت نحوه وتقول بابتسامة مرتعشة " حسنا سيد شاهر .. انا فقط احتاج ان .."

قاطعها آسر بممازحة " تحتاجين لحضور زفاف الليلة كخطيبة (مبدئية) لماهر الغازي "

احمرت صفية بشدة وتعثرت كلماتها وهي تقول " انا ... آسفة .. لااستطيع .. اقصد لااستطيع ترك عائلتي ... الليلة "

سارعت فاطمة لتقول " اذهبي اختي ، ارجوك .. لن يحصل لنا شيء "

لاول مرة تبدي زينب ايضا حماسة وهي تقول " اذهبي صفية ، انا لن اثير اية مشاكل .. اعدك "

تأثرت صفية بمحاولات زينب بينما الاحراج الشديد سيطر عليها عاجزة عن تفسير اسبابه لاحد بوجود السيدين شاهر وآسر ...

قالت ببعض الحزم " حسنا يا فتيات اذهبا الآن وساعدا امي بانهاء امور البيت دون اثارة مشاكل "

تذمرت الفتاتان وهما تخرجان بينما انسحبت الام معتذرة وهي تجرجر معها طه ..

التفتت صفية نحو الرجلين بينما تسمع صوت كيس لتتفاجأ بالسيد شاهر وهو يخرج من الكيس فستانا مبهرا حريريا بلون الشفق ..

انعقد لسانها وهو يفرده امامها قائلا بابتسامة ساحرة " أحضرت لك فستانا هدية مني انا شخصيا ، كنت امني نفسي انك لن تخذليني وستوافقين على الخطبة وانك ستحضرين عرس مهدي معنا ، فارجو ان لا تخذليني وارجو ان يكون القياس مناسبا "

فتحت فمها ليسبقها آسر وهو يقول بثقة " انا لااخطأ في قياس امرأة !"

نهره شاهر " آسر !" هزّ آسر كتفيه وهو يقول ببراءة مصطنعة ومشاغبة صبيانية " ماذا ؟! انا الذي اخترت الفستان بنفسي وانما استعنت بك لتقدمه لها لاني لو فعلت ستجرح مشاعري بالرفض "

كتم شاهر ضحكته ليلتفت نحو صفية يحاول تهوين الامر عليها بالقول " الفستان سيعجبك انه بسيط " فعاود آسر مشاكسته بالقول " لا ليس بسيطا ! انه غاية في الاناقة ويناسب طبعها الناري المتوهج "

قال شاهر من بين اسنانه " انت لاتساعد !"

رد آسر باستفزاز وهو يتطلع لوجه صفية المذهول المرتبك " انت الذي لايساعد برقتك المفرطة هذه ، اسألني انا فأنا من لديه ابنة شقية مشاغبة .. الفتيات احيانا يحتاجون للحزم ليدركوا ما هن مقدمات عليه "

رفعت صفية حاجبيها لتسأله دون مواربة " وعلى ماذا انا مقدمة سيد آسر ؟! "

رد بابتسامة عريضة لكن عيناه تفيضان بالتحدي " انت مقدمة لتكوني فردا من عائلة الغازي ، فرد مهم لن يناديني مطلقا (سيد آسر) فقرري صفية هل ستكونين شجاعة حقا ام ستتراجعين ؟! "

رمشت بعينيها وهي تتطلع اليهما معا ثم بخطوات شابها التردد تقدمت نحو شاهر لتمد يدا غير ثابتة تلتقط الفستان منه ..

كانت تتراجع نحو الباب عندما هتف آسر فجأة

" نسيت اهم شيء .."

التفتت نحوه لتجده يخرج من جيبه علبة مجوهرات صغيرة ليفتحها ببطئ متعمد وهو يقول بفخر مستفز " خاتم الخطبة وهذه هدية مني .. انا "

استغل ذهولها وهي تتطلع للعلبة فأخرج الخاتم الفيروزي والتقط يدها اليمنى ليضعه في بنصرها قائلا بمشاكسة " سيجن ماهر عندما يعرف اني اشتريته لك والبستك اياه بنفسي ! "

كانت تتطلع ليدها في رهبة عقدت لسانها فأضاف بصوت مؤثر " حجر الفيروز يرمز للنجاح والقوة والسيطرة كما يقال انه يجلب الحظ والحماية "

تركها آسر تستوعب الامر اكثر بينما يسمع شاهر يقول بغيظ " لم تخبرني عن الخاتم !"

رد آسر بابتسامة عريضة " احببت ان تكون مفاجأة .. "

فهزّ شاهر رأسه وهو يتمتم " لاتكف عن اعمالك الصبيانية المشاكسة "

عندها تنبها لحركة صفية المرتبكة ثم نحنحتها قائلة " احم ... سيد شاهر .. سيد آسر ... أنا ... "

تلعثمت قليلا قبل ان تكمل بوجل " هذا كثير ... كثير جدا لاستوعبه ! "

عندها تقدم شاهر منها وامسك بذراعها هامسا برقة ابوية " انت الآن ابنتي حقا وسأدعمك بكل قوتي ، لاتخشي شيئا يا صفية ، التغيير قد يكون كبيرا لكنك ستستوعبينه سريعا ما دمت تريدين ذلك .."

متوردة وهي تتحاشى النظر اليه وتداري خجلها بالتطلع حولها ، لكنها لم تستطع تجاهل نظراته التي تلتهمها اكثر من هذا لتقول وهي تلتفت اليه " كف عن رمقي بهذه النظرات يا وسيم ..فقلبي ... لايحتمل ! "

اتسعت ابتسامته الساحرة فخفق قلبها بقوة وهي تنظر لوجهه ، مد يده لتداعب ذراعها المكشوف بينما عيناه تنسابان عليها بحرارة ليقول بحشرجة مخنوقة

" كما تخيلته عليك بالضبط ... باريس لاتخذل من يطلب تصميما خاصا ومتفردا ..."

اجل .. لقد طلبه بنفسه وبمواصفات خاصة جدا ترضيه !

فستان ابيض بتصميم من عهد نساء الاغريق ينساب على قامتها النحيلة بفتنة ، طوق ذهبي بالتفافات حلزونية احاط بخصرها النحيل وطوق ذهبي آخر كثعبان ملتف حول زندها الايمن ، وبدلا من وشاح العروس المعتاد واي تاج مفترض معه التف حول جبينها وشاح ابيض عريض مبروم بشكل فني ناعم ليعقد من الخلف بمشبك ذهبي متوهج وكانت لسلسبيل اللمسة الاخيرة في الاختيار وهي تترك شعرها الطويل متهدلا على ظهرها بتموجات غاية في الروعة والفتنة ! لقد بدت امزونية بحق ... كما كان يراها دوما بعيني خياله العاشق ...

بدت مختلفة عن اي عروس واثارت اكثر من شهقة اعجاب بتميزها الفريد هذا ... كم هو سعيد لانه اجاد اختيار ما يليق بها حقا ويعبر عن روحها الشقيّة التي يعشقها ...

اسبلت سلسبيل اهدابها وهي تهمس له " هل تراني استحق هذا التفرد حقًا ؟!"

مال نحوها هامسا " احضر لك مفاجأة اخرى تليق بهذا التفرد الفاتن ..."

نحنحة من جانبه ليبتعد مهدي متذمرا بينما يسمع صوت اخيه ماهر يقول ببعض المشاكسة " عندي سؤالين فقط .."

رفع مهدي نظراته لاخيه الذي اشرف عليه بقامته الطويلة ليقول " ماذا تريد ؟!"

رد ماهر وهو يعقد حاجبيه ويميل بجذعه نحو اخيه " الا تعرف اين اختفى ابي وعمي ؟؟ احتاج الخروج لبعض الوقت وهما احتجزاني هنا بدلا منهما ! "

قال مهدي ببعض العجب " حقيقة لااعرف ! لااصدق انهما تركا العرس لاي سبب كان !"

قالت سلسبيل بمكر " اشعر ان ابي اخذ عمي في مغامرة من نوع ما ، انظرا لوجه خالتي نهى وهي تتميز غيظا ! "

ضحك مهدي بينما عبس ماهر بتفكير ليقول مهدي بعدها " هل ستقول سؤالك الثاني ام تنوي ان تطيل وقوفك هنا ! "

ضحكت سلسبيل بينما تنبه ماهر ليقول بملامح مشاكسة " حسنا ... السؤال الثاني يقول (هل استطيع مراقصة عروسك ؟) ..."

وقبل ان يرد مهدي كانت سلسبيل تقف على قدميها وهي تحرك حاجبيها باغاظة نحوه ثم التفتت لماهر لتقول وهي ترمش بعينيها

" هذا السؤال لي ، وبما انك الليلة في وسامة غير اعتيادية فسأرضى بمراقصتك لاغاظة الفتيات في الحفل لااكثر ..."

همس مهدي باعتراض " سلسبيل !"

لكنها انحنت لتطبع قبلة على خده ثم تحركت بدلال وهي تغمز له ...

هزّ مهدي رأسه يمينا ويسارا وهو يضحك بينما ربت ماهر على كتف اخيه وهو يقول بجدية مصطنعة " عروسك بأمان معي .."

ثم ضحك بقوة وهو يلحق بسلسبيل وسط تصفيق الحضور ...

اخذت سلسبيل ترقص باحتراف ونعومة وهي تمسك باطراف ثوبها وتحركه مع تحركات جسدها بينما ماهر يجيد مراقصتها والتحرك برشاقة حولها فاثارا حماسة الجميع ...

قالت حوراء بخجل وهي تنظر نحو ماهر وسلسبيل " هل كنت تفضل ان اراقصك هكذا ظافر دون موانع او اعتبارات .."

شدد ظافر من احتضانها وهو يهمس قرب اذنها " انت مجنونة ! ايّ رقص هذا ؟!!"

انا التصق بك منذ بداية الحفل واكاد اجن والوم نفسي لاني الححت عليك بارتداء هذا الثوب المشمشي ، هل ترين كيف ينظرون لك ؟! وتلك المرأة الحمقاء التي لم تتوانَ عن ابداء رغبتها في خطبتك من خالتي نهى ! "

ضحكت حوراء بخفوت وهي تربت على ذراعه التي تطوقها بحزم " لم تكن تعرف من انا اصلا يا ظافر وانما سألت الخالة نهى عني لاكثر ، هذا الموقف يتكرر في الاعراس ويصبح مثارا للتندر والضحك احيانا ، لي صديقة حضرت عرسا للنساء فقط وكانت بصحبة والدة زوجها وهناك خطبتها احدى النساء لابنها من حماتها معتقدة انها والدتها ! لذلك لا تبالغ بردة فعلك .."

عبس ظافر وهو يتطلع نحوها بريبة ليقول " هل حصل سابقا معك ؟! اقصد منذ زواجنا !"

ضحكت حوراء مرة اخرى بينما ظافر يكز على اسنانه ويقول مستدركا ببعض العنف

" لقد حضرتِ عرسا نسائيا قبل ايام فهل خطبتك احدى النساء هناك لاحد الحمقى ؟!"

نظرت اليه وغامت عيناها وهي تهمس له برقة " لماذا تهتم حقا ؟! انا زوجتك واحمل طفلك وقلبي ملكك للابد "

زفر نفسا وهو يقول بحشرجة " اجل .. لايهم .. انت معي .. ولي .." ثم اضاف همسا ببعض الشعور بالذنب " هل ... آذيتك .. كثيرا ..ليلة الامس ؟!"

احمرت بشدة وهي تهز رأسها ب(لا) .. رد متنهدا " انا آسف .. يجب ان .." رفعت يدها لتضعها على فمه وهي تقول بوجنتين مخضبتين " قلت لك لم تؤذني فلا تعتذر ..."

كانت نجلاء ما تزال تحاول تهدئة غضب نهى بينما نادية تتطلع لماهر وسلسبيل بابتسامة واسعة ..

التفتت نادية نحو نهى لتقول بتأنيب " كفي عن تذمرك هذا ! انظري لولدك كيف يراقص سلسبيل ..." صمتت نادية للحظة قبل ان تضيف بصوت متأثر " ان يشبه عمه عندما يرقص هكذا !"

تنهدت نهى وهي تقول " لااصدق ان شاهر قد يقدم على احراجي هكذا ! "

ثم عادت لتسأل نادية نفس السؤال وللمرة الثالثة " هل انت واثقة ان آسر قد اخذه لاحضار تلك الفتاة ؟!"

كتمت نادية غيظها لتقول بهدوء " نهى توقفي عن تجاهل الموضوع لانه حسم ! الفتاة تدعى صفية وهي ستكون خطيبة ثم زوجة لابنك ، انت وافقتِ بشكل عام واحضارها الليلة فيه فائدة لها ولنا جميعا كعائلة حتى نقدمها لمعارفنا " ثم عقدت حاجبيها لتضيف " لاتجعليني اشعر بالندم لاني اخبرتك عن مخطط آسر ! انما فعلت هذا كي لاتتفاجئي وتحسني معاملتها "

ردت نهى بحرقة " لكن نادية كان يجب ان يعلماني بالامر ! لااصدق انهما فعلا بي هذا وذهبا ليخطبانها دوني !"

تدخلت نجلاء لتخفف وطأ الامر عليها فقالت " نهى انهما لايقصدان تجاهلك ولكنهما ارادا تقديم مفاجأة حلوة لماهر لااكثر"

تنهدت نهى مرة اخرى ثم اخذت تنظر لولدها الاصغر فانساب الحنان من نظراتها لتقول " انظرا اليه ... انه شاب رائع ... رائع لدرجة انه يستحق الافضل "

تأففت نادية قبل ان تقول " كلنا نرى اولادنا رائعون نهى وكلنا نراهم يستحقون الافضل ، ارجوك اذا كنت تحبينه وتقدرينه حقا لاتفسدي عليه فرحته الليلة "

سألت نهى بتشكك " هل تعتقدين انها ستحضر معهما حقا ؟!"

اتسعت ابتسامة نجلاء وهي تقول بشقاوة " آسر سيحضرها مهما كان الثمن ! "

عندها هسمت نادية وعيناها تلتمعان وهما تتطلعان نحو مدخل قاعة العرس " لقد احضرها ذلك الماكر ! "

عندها التفتت كل من نهى ونجلاء ليتطلعا بفضول نحو تلك الفتاة التي توسطت عماديّ آل الغازي ..... آسر وشاهر ...

فضول نهى كان متوجسا بينما نجلاء ففضولها متحمسا الى درجة انها تركت نهى ونادية وتوجهت نحو بلال لتسحبه من ذراعه وهي تميل اليه هامسة بحماسة شديدة " انظر لتلك الفتاة مع آسر وشاهر ، انها زوجة ماهر المستقبلية "

ضحك بلال وهو يرد لها قائلا " لن تكبري ابدا صغيرتي "

كان يمسك بيد سلسبيل وهي تلتف على نفسها ، يبتسم لها بمرح ويواكب خطواتها وحركاتها عندما التقطت عيناه من بعيد دخول والده وعمه ، ثم اتسعت عيناه بشدة وتجمدت ملامحه بعدم تصديق وهي يلمح ذلك الخيال المتواري بين قامتيهما !

همس بانشداه " صفية ..." ثم توجع متأوها عندما ارتطمت سلسبيل بصدره وقد فقد تركيزه للحظة فقط فلم يواكب حركتها في الرقص !

همست سلسبيل له " آسفة .. هل اذيت صدرك ؟!"

هزّ رأسه بلا بينما عجز عن النطق وعيناه تحاولان سبر المسافات للوصول اليها وقد اغاظه عدم تمكنه من رؤيتها بوضوح ليصدق وجودها هنا في الحفل !

غمزت له سلسبيل قائلة " انك تضيع خطواتك يا فتى ! ماذا يحصل معك ؟! "

ابتسم لها وهو يلفها بحركة رشيقة ثم تركها فجأة لتتلقفها ذراعان اخريان وصوت مبحوح يهمس لها " حان وقت العريس ..."

مال آسر نحوها هامسا باستفزاز " سأذهب لاكلم ذلك الفتى المتوجه نحونا فربما سيحتاج لضربتين على الرأس قبل ان يستوعب ما اقوله ! "

تركها آسر بصحبة شاهر بينما تقدم بخطوات متماهلة عن عمد حتى اعترض طريق ماهر ...

حدّقت صفية في وجه ماهر ، كانت عيناه لاتفارقان عينيها بينما عمه آسر يهمس في اذنه

ليبتسم ماهر ابتسامة صافية وتلتمع عيناه بشدة بينما ينحني ليقبل كتف عمه فاحتضنه عمه وهو يربت على كتفه ...

كانت ترتعش داخليا وتجتهد بكل قدرتها لتمنع ظهور هذا الارتعاش ، عليها ان تتحمل مسؤولية هذه الخطوة التي خطتها الليلة ،

عليها استيعابها .. ان تدرك انها اختارت ماهر وجازفت بكل مخاوفها ...

رأته الآن يقترب بعد ان ترك عمه ، اخذ كل شيء يتلاشى مع كل خطوة يصل بها اليها ..

سمعت صوت السيد شاهر قادما من بعيد وهو يقول " اتركك برفقة خطيبك سأكون قريبا دوما فلا تخشي شيئا ولا ترتبكي "

ارادت ان تقول له (ابق قليلا) لكن صوتها لسبب ما لم يطاوعها .. بعجز رأته يعانق والده ليواصل طريقه نحوها ....

ها هي رياح عطره تهاجمها كما لم تفعل من قبل ، هل يبدو وسيما اكثر من المعتاد ؟ هل تبدو نظراته اجرأ مما مضى ؟ هل انفاسه تلفح وجهها ام انه لم يصل اليها بعد ؟!!

همسه كان حقيقة " صفية ..."

فقط اسمها .. هكذا فقط ..يلفظه ويدمر الفتات من السيطرة الذي تقتات عليه لتتماسك !

لايحق له ان يكون له هذا التأثير عليها .. لا يجب ... ان يكون .. ليس الآن ...

لم تستطع النظر لوجهه فاكتفت بأن تحدق في نقطة ما على جانب كتفه العريض و طاوعها صوتها اخيرا لتقول ببعض الحدة التي تعبر عن اضطرابها " ليكن في معلومك هذه موافقة مبدئية على الخطبة فقط "

ضحكة خافتة منه جلجلت بصخب حول قلبها فبات هذا القلب يتخبط هنا وهناك وضاع منها في دهاليز مشاعر مغيظة خارج نطاق سيطرتها !

كزّت على اسنانها وهي تضيف " انا جادة ماهر ! لااستطيع استيعاب كل هذا ببساطة ! انظر الي انا ارتدي فستانا بقيمة ثروة اهداه لي والدك يناقض حذائي الاسود الرخيص ! "

همس ببحته المقلقة " هل استطيع رؤية خاتمي في يدك على الاقل ؟!"

تأففت لتحاول التنفيس عما يختلجها من مشاعر مضغوطة ثم رفعت يدها اليمنى امام وجهه وهي تهمس بغيظ " عمك اجبرني على ارتدائه !"

احتضن يدها في لحظة ولم يمنحها القدرة لتسحبها بينما تنظر لوجهه اخيرا هامسة بحنق " اترك يدي ماهر ، لااحب ان تلامسني هكذا "

رد ضاحكا بنعومة وهو يضع يدها رغما عنها على مكان قلبه " هل هذا يعني اني لن احصل على قبلة من خطيبتي "

دقات قلبه الهادرة تحت يدها ضاعفت من اضطرابها ، عيناه تلمعان باسترخاء سعيد دون ان تورايا مشاعره المضطرمة !

همست بوهن وهي تحاول سحب يدها منه " قلت لك .. هذه خطبة مبدئية ولانها مجرد خطبة فلا يحل لك لمسي كما تشاء "

رد بهمس حار وهو نحوها " ما رأيك بأن نحولها غدا لعقد قران مبدئي !"

ابتلعت ريقها وهي تتجنب النظر اليه لتهمس " ارجوك ماهر ، انا .. مضطربة بما فيه الكفاية ، لاتضغط علي وانا اواجه هذا العالم الذي لاانتمي اليه واكاد اضيع فيه "

قال برقة وهو يداعب يدها بابهامه " انت تنتمين الي انا وهذا العالم الذي يرهبك لااهتم له الا فيما يتعلق بعائلتي ، وسترين يا غزالة ان عائلتي لاتستدعي منك كل هذا التوجس "

رفعت عينيها اليه فابتسم بجذل ليهمس " هيا بنا ، ساعرفك عليهم "

ضحكت نادية وهي تستقبل ذراعي زوجها حولها قبل ان تحط قبلته الحارة على خدها لتقول له غامزة " ايها الخبيث الماكر ، استطعت اقحام الفتاة هنا رغما عن انف الجميع بمن فيهم هي شخصيا !"

ضحك وهو يجذبها اليه هامسا قرب اذنها " تعالي لنرقص ، لقد اشتقت اليك .."

ردت وهي تربت على كتفه " ليس الآن ، عليك ان تتلقى نتائج افعالك حتى النهاية ! انظر ... ماهر يأخذها لنهى "

تأفف آسر متضجرا وهو يلتفت ناحية نهى ليجد شاهر بجانبها فقال بامتعاض " ارجو ان يكون شاهر قد تمكن من امتصاص نقمتها "

ضربته على كتفه قبل ان تسحبه من يده وهي تقول مؤنبة " لاتكن فظا آسر ! يحق لها الغضب وقد جلبتماها بهذه الطريقة وفرضتماها كخطيبة لماهر قبل ان تلتقي بها ..."

مط آسر شفتيه وهو يجاري خطوات زوجته ليقول باستفزاز " لااحتمل عجرفتها ! واذا اساءت للفتاة بأي طريقة فلن اسكت !"

رفعت نادية حاجبيها قليلا وهي تتطلع بعجب لزوجها ثم همست له وهما يقتربان من هدفهما " هل تنتقم منها آسر لانها في الماضي لم تستقبل دخولي لحياتك كما يجب ؟!"

هزّ آسر كتفيه بلا مبالاة ولم يرد بشيء !

تطلعت صفية لتلك المرأة الفاتنة المبهرة ، بدت اقرب الى الكمال بكل تفصيلة فيها ،

كانت تتساءل كيف يمكن ان يحدث خلل بينها وبين السيد شاهر ، خلل يهدد حياتهما الزوجية !

نفضت عن رأسها تلك الافكار بينما تستقبل يد السيدة نهى المصافحة ثم قبلتها الوحيدة الباردة على خدها !

الى حد ما كانت تتوقع هذا فالسيدة نهى تمثل الطبقة الارستقراطية التي تتمسك بواجهة قديمة الطراز و مثالية .

لكن نظرات السيدة نهى تطلعت بامتعاض واضح لوجهها الذي يكاد يخلو من اي زينة وجه وشعرها الذي لم تهتم بتصفيفه وتركته لينسدل بعفوية طبيعية حول وجهها ،

ثم انحدرت بنظراتها على فستانها الانيق بتعبير مقيم لكن حالما وصلت لحذائها كان ....

" امي .. اليست صفية رائعة ؟"

صوت ماهر لم يكن مرحا بل شابت نبراته صلابة باردة فيها معانٍ خفية ادركتها الام سريعا لترسم بجهد ملحوظ ابتسامة ساحرة على وجهها الجميل وهي تقول " انها فتاة ... مختلفة "

فاضاف شاهر بهدوء " مختلفة لانها مميزة .."

كانت صفية تحاول ملاحقة الحروف التي تنطلق من افواههم وتجمع المعاني وترسم على اساسها صورا عديدة في ذهنها ..

لكن همسة منه بصوته المبحوح قرب اذنها شتتت تلك الصور " انا احبك غزالتي ، احبك بجنون وجموح لاحد له ، لن اسمح لك بالافلات مني ابدا ... انا لااعرف معنى الخسارة معك "

كان قلبها يختض وشفتاها ترتعشان بينما تتطلع اليه بضعف السقوط في الفخ !

ابتسم بارتعاش هو الآخر ليهمس لها " أرى خالتي نادية وعمتي نجلاء قادمتان نحونا ، ستحبينهما جدا .. اعدك بذلك .."

الوشاح ما زال حول عينيها قائلة بضحكة شقية " الى اين تاخذني يا وسيمي ؟! "

شعرت به يرفع يدها المحتضنة بكفه الدافئ ليقبل ظاهرها بشفتين حارتين ثم قال بصوت أجش " فقط لاترفعي الوشاح عن عينيك "

ردت بهمس مرتعش " حسنا ..."

اصوات تعشقها يحملها لاذنيها الهواء العليل عبر نافذتها المفتوحة فقالت بمرح " العروس المخطوفة تستمع لامواج البحر ام انها تتخيل فقط ؟!"

فقط ضحكاته الحبيبة واصابعه تداعب باطن كفها ، شعرت انه يخفف سرعته ثم حركة مائلة فتوقف وصوت مكتوم واخيرا تهادت السيارة حتى استقرت بالوقوف ...

قالت حالما اطفأ المحرك " امممم اوقفت السيارة وصوت البحر ما زال يجد طريقه لاذنيّ ! والآن ... لاتقل انـ..."

خنقت قبلته كلماتها واسرف في عاطفته وهي تكاد تتلاشى ..

شعرت بانفاسه تلفح بشرتها وهي ذائبة تماما بين ذراعيه مستسلمة له ليرفع الوشاح عن عينيها بنعومة وحالما فتحتهما رأت وجهه الحبيب قريبا جدا من وجهها عيناه تلمعان بالعشق ، لمعة تضيء وسط الظلمة حولها بينما شفتاه ترتعشان بابتسامة الشوق ...

همس لها " وصلنا .. انه هدية عرسك يا عروس "

ابتسمت بارتعاش يوازي ارتعاشه ثم تحركت نظراتها لتكتشف ما حولها ..

شهقة ناعمة خرجت من بين شفتيها وهي تنظر لذلك الكوخ الانيق ، كوخ اشبه ببيت صغير ولم تحتاج لتتكهن انه مطل على البحر ..

رفعت يدها لوجهه فالتقطها بيده ممرغا شفتيه بباطن كفها بينما تهمس له بتأثر " هل هذا لي ؟!.."

هزّ رأسه والانفعال يخنقه " اجل .. حبيبتي .. اجل ... هو لك .. انت تحبين البحر وانا ... احبك انت .."

همست بارتعاش وهي تحدق بوجهه بوله " مهدي .. انا لااصدق اني عروسك الليلة ! "

اضطربت انفاسه ليبتعد عنها بحركة بدت عنيفة من مشاعر صاحبها المضطرمة ..

خرج من سيارته والتف حولها ناحية سلسبيل ، فتح بابها ودون كلمة انحنى اليها ليحملها بين ذراعيه ، استسلمت وهي تنظر لوجهه وسكون الليل يهدهده صوت امواج البحر ....

ترقرقت عيناها بدموع التأثر وهو يعبر بها باب الكوخ بينما تهمس بما تقرأ ما كتب فوق الباب بحروف ذهبية (سلسبيل) ...

بصمت معبر عما يجيش في القلب تحرك بها وكل شيء حولها تحول الى ضباب ... لم تعد ترى الا عينيه وابتسامته الشغوفة ، صعد بها السلالم ولم تشعر الا وهو يدخل بها غرفة نوم اثقلت رؤيتها ظلمة يداعبها بخجل نور القمر ...

وضعها على السرير وهي تهمس له بحياء قلق " مهدي .."

لم يستجب لها الا بخلع سترته ثم ربطة عنقه ليرميهما بعيدا وينحني نحوها هامسا ببحة عنيفة " هذا هو .. انتهى الانتظار ... تعالي سلسبيل ... تعالي الي ... انه الغرق اخيرا في بحورك ... " ...

صباح اليوم التالي

رنين جرس الباب ايقظها من حلم لذيذ !

هل كان حلما ام استعادة لاخر ما حدث ليلة الامس ؟! ماهر بوجهه المغتاظ المتوعد بينما والده يصر على اعادتها بنفسه للبيت و..بمفرده !

تحركت صفية مغادرة سريرها بكسل متذمر وهي تنظر لاختيها الغارقتين في النوم ، ابتسمت بحنان وهي ترى فاطمة كعادتها تستأثر بالغطاء المشترك لتلفه حول جسدها تاركة زينب عاقدة الجبين تلتف حول نفسها !

ارتدت صفية خفيها وتحركت بتململ وهي تتطلع للساعة المنضدية التي تشير الى السابعة صباحا !

عبست مرة اخرى وهي تتمنى ان لايكون احد اطفال الحي المشاغبين الذين يصرون على هذه المشاكسة صباح يوم الجمعة بالذات !

وصلت باب الشقة ففتحتها وهي تتخصر وبدلا من سيل كلمات غاضبة ارتفع حاجباها وهي تتطلع تارة لوجهه المبتسم وتارة للكيس الذي يحمله في يده وتفوح منه رائحة الشطائر لتردد بغباء " ماهر ؟!"

منحها ابتسامة عريضة وعيناه تتجنبان عن عمد النظر لقميص نومها وتتعداه لما خلفها ليهمس بلهجة بريئة " هل الجميع نيام ؟!"

عبست صفية بشدة وهي تقول بغضب " مؤكد الجميع نيام ! انها السابعة صباحا من يوم الجمعة فماذا تتوقع ؟! "

عندها التمعت عيناه بقوة وهو يتقدم ليدخل هامسا بحشرجة " هذا لحسن حظي "

اخذت تتراجع للخلف وهي تخشى تفسير نواياه التي تعكسها عيناه الشقيّتان لترفع سبابتها امامه في تهديد وتقول " ماهـ............ "

لكنه لم يمهلها وهو يسحب رأسها اليه بيد واحدة ..

الفصل السادس عشر

قبلة خاطفة عاطفية بشكل غريب خطفت منها ادراكها ولم تسترجعه الا وهو يبتعد عنها ساحبا يده بعيدا عن احتواء رأسها ليبتعد بجسده متجاوزا اياها وهو يتمتم بمرح اوهن من ان يخفي اضطرابه " تعالي وشاركيني الافطار .. يا غزالة "

نظرت لقامته من الخلف بعجز سمرها ! تراه يتلفت برأسه هنا وهناك يبحث عن شيء ما ثم اجفالة صغيرة منه وكأنه وجد ضالته ليتحرك نحو تلك (الضالة) والتي لم تكن الا طاولة الطعام في اقصى زاوية غرفة الجلوس البسيطة ، وببساطة تلائمها وضع كيس الفطائر على الطاولة ليتخذ احد الكراسي مجلسا له ويبدأ بفتح الكيس بعناية وهو يقول ببشاشة دون ان ينظر نحوها " عليك ان تعرفي اني اعشق القشطة بالعسل ، لااقاومها .. لذلك اكثرت منها رغما عني "

ما زالت تقف في مكانها تريد استيعاب وجوده ، بل بساطة فرضه لهذا (الوجود) في اكثر محيطها اهمية ... عائلتها !

البارحة في حفل الزفاف.. كانت ما تزال تستشعر (وجوده) هذا لكن في محيطه هو ، وجود فرضه هناك منذ زمن ...

ليلة الامس بدأ غزو عائلة الغازي لها في عقر دارها ، في بيتها ... وسط عائلتها ...

لا ... ليس هذا ما يجعلها عاجزة ، دوما كانت قادرة على حماية بيتها وعائلتها ، لقد اعتادت الامر حتى اصبح يسري في روحها وكيانها كما يسري الدم في شرايينها ..

لكن ما حصل كان غزوا لها شخصيا ، في عقر دارها كانسانة .. في عمق ذاتها كفتاة تستشعر حاجتها الطبيعية لان تعشق وان تنعم بعشق من تعشق ... حق من حقوق كثيرة يمتلكها البشر بكل طبقاتهم واصنافهم مهما اعتبروه ترف لايتناسب مع شظف العيش الذي يحاولون جهدهم التعايش معه او الافلات منه ..

عيناها سرقتا منها افكارها وهما تلتقطان نظراته اليها .. يجلس هناك بملابسه البسيطة في ظاهرها ، بلوزة بيضاء وبنطال جينز ... بدى كمن يدرسها كما تدرس هي الانقلابات التي تحصل لها بسببه هو ..

همس اخيرا بصوته المبحوح وابتسامته العاطفية " تعالي صفية .. سنتكلم كثيرا فيما بعد .. فقط دعينا نبدأ .. دعينا ننتمي لبعض بتمازج فريد لاننا نريد هذا التمازج ونستحقه "

تحركت خطوة .. خطوتين ... عيناها لاتفارقان عينيه وهي تهمس بحنق " اياك ان تقبلني مرة اخرى يا ماهر .."

ضحك بخفوت وهو يعاود الاهتمام باخراج بعض الفطائر بينما تضيف هي بصوت جدي " لاتفعل هذا .. انا اعني ما اقول ..انه خطأ .. فأنا لااحل لك "

رفع عينيه اليها ليقول برقة " عقد قران (مبدئي) يحل مشكلتك ! مع اني لااعتبر ما فعلته قبلة ! "

اوقفت خطواتها ... اضاف بعذوبة شديدة وهو يتطلع اليها صعودا ونزولا " انت كلك لي ... لا تنتظري مني صبراً اكثر من هذا ..."

تقدمت خطوة وهي تعقد حاجبيها بغير رضا عندما توقفت مرة اخرى ليرتفع حاجباها قليلا وهي تحني رأسها نحو صدرها لتنظر لنفسها وهي تتمتم " يا الهي ! انا بقميص النوم !!"

وفي لحظة استدارت راكضة نحو غرفتها ... مرة اخرى ... كما حصل لها بالامس ! بينما ضحكات ماهر الخافتة تداعب اذنيها ...

عندما عادت اليه كانت تضع يديها في جيبي بنطالها الجينز وكتفاها متشنجان بتوتر بينما تشعر انها مضحكة بقميص قطني ابيض اشترته من محال التخفيضات لكن للاسف بحجم يكبر حجمها بنمرتين لانها لم تتحصل على حجمها المناسب ...

وجدته يلتهم بعفوية محببة بعض الشطائر وحالما رآها ابتسمت عيناه قبل شفتيه ثم مد سبابته ليمسح جانب فمه من اثر للقشطة وهو يهمس " تعالي قربي .."

عبست لكنها تقدمت نحوه لتجلس على كرسي مقابل له ودون ان تعير نظراته اليها اهتماما مدت يدها لتلتقط احدى الشطائر واختارت ما يحبه هو ... القشطة بالعسل ...

قال وهي يتطلع نحوها باستمتاع " هل تغيظيني بأن تأخذي مني ما احب ام ببساطة تشاركيني نفس الذوق ؟!"

ردت وهي تهز كتفيها " انا احب القشطة بالعسل "

سأل وهي يراقب شفتيها التي تقضمان من الشطيرة " متى تستيقظ عائلتك ؟"

قالت وهي ترفع عينيها اليه " ليس قبل ساعتين "

اتسعت ابتسامته بشقاوة ليقول " هذا جيد ! استطيع الانفراد بخطيبتي بعض الشيء "

رفعت حاجبا واحدا متحديا بينما يضيف هو بنظرات نارية مغتاظة " البارحة اجدت التهرب مني ! تتنقلين بين افراد عائلتي بسلاسة بينما تنكمشين حالما اكلمك !"

ردت بملامح متهمة " لانك لاتعرف الحدود ! لقد لامست خصري مرتين ولم تتوقف عن الميل نحوي والهمس في اذني ويدك تتطاول على ذراعي "

قال بعينين تفيضان جرأة " اقسم اني راعيتك فوق طاقتي ! لولا انه عرس اخي وابنة عمي لكنت جررت جراً بعيدا عن الجميع لاستفرد بك وحدي .."

نظرت اليه بتحدٍ شابه بعض الضعف لتقول بحشرجة " هل هذا ما اوقفك عن التمادي يا ماهر ؟!"

رد وهو يسبل اهدابه " لا .... كنت اخشى ... اخافتك .. كما انك كنت اضعف من ان تتحملي ضغطا عاطفيا مني بينما ترزحين تحت ضغوط اخرى كثيرة ..."

رفع نظراته اليها ليضيف بصوت أجش " لكن ابتداء من اليوم يجب ان تتغير الامور ، انت ... خطيبتي رسميا ، ترتدين خاتم يمثل حقي فيك .. ارتديته بارادتك صفية ، حتى عمي آسر غير قادر على اجبارك ..."

ثم رفع يده اليمنى ليظهر لها خاتم بلاتيني لامع في بنصره وهو يضيف بتملك " وهذا خاتمك انت .. انه عقد بيني وبينك ، عقد يربطك بي "

عيناها تعلقتا بخاتمه لتقول ببعض الوجل وكأنها تحدث نفسها " انا احاول جهدي ماهر ، آه لو تعرف كم هو صعب !"

مد يده ليمسك يدها الاخرى المتراخية على الطاولة امامه ثم قال باصرار " انا اعرف .. فقط لاتنسي مهما بلغت صعوبته اني معك فيه ولست وحدي بهذا ، عائلتي تدعمك ايضا .."

حالما قال عائلتي سحبت يدها من يده لتعاود القضم من الشطيرة بهدوء شديد !

قال وهو يركز نظراتها عليها " امي ستعرفك صفية ، اعطها فرصة فقط .. انها احيانا تميل لجذورها الارستقراطية لكن .."

قاطعته وهي تقول بنفس الهدوء " لاتقلق ماهر ، انا لست غبية او حالمة لاتوقع من والدتك استقبالا افضل مما حظيت به منها بالامس "

صمت ماهر قليلا ثم قال بتأن " عمتي نجلاء تقيم لنا اليوم احتفالا خاصا ، سيكون لقاء عائليا حقيقيا "

كانت اخر لقمة في يدها لكنها لم تستطع رفعها لفمها ! رددت في داخلها كلمة واحدة

(صعب ... صعب ... صعب)

اكمل ماهر وهو كمن يقرأ دواخلها " الارادة لفعل شيء تذلل كل الصعاب وانا اعشق ما تملكينه من ارادة "

قالت ببعض التوتر وهي تترك تلك اللقمة الاخيرة تتسرب من يدها الى الطاولة " قد املك الارادة لاواجه اي شيء لكني لن احتمل ان تمس عائلتي بأي خدش "

عقد حاجبيه قليلا وهو يقول " هل تظنين ان اي فرد من عائلتي قد يمس عائلتك ؟!"

قالت ببعض التردد " لن احتمل ان ينظر .. اليهم .. احد بطريقة .. تقلل من شأنهم .."

سأل ماهر دون مواربة " ربما امي هي الوحيدة من تقلقك .. اليس كذلك ؟"

اسبلت اهدابها وهمست " ليس ... بالضرورة .. ربما عائلتك قد .. تقبلتني أنا .. لكن .. هل سيعاملون امي واخوتي بنفس التقبل ؟!"

قال عندها بلهجة حازمة " عائلتي لم تتقبلك ... عائلتي اعجبت بك واحبتك .."

رفعت عينيها اليه بينما يكمل بقوة " لايمكن انك لم تري نظراتهم اليك ! عمتي نجلاء كانت تنظر اليك بفخر .. فخر اني احسنت باختيارك ولن اتحدث عن خالتي نادية التي اندمجت معك بالحديث وكأنها تعرفك منذ زمن ، ابي وعمي انت تعرفين كيف يشعران نحوك وما فعلاه في الامس كان اوضح دليل ، ظافر وحوراء ... مهدي وسلسبيل كانوا ينظرون الينا بابتسامة بلهاء سعيدة ! اما التوأم فقد تحدثا معك اكثر مما انا فعلت حتى اوشكت ان اضربهما على رأسيهما ! حتى امي قدمتك لمعارفنا كخطيبة فعلية لي ... الا يعني هذا الكثير يا صفية ؟! الا يشرح كل هذا ولو كفكرة اولية من هم وكيف يفكرون ؟! "

قالت بتأثر " انا .. اعلم كل هذا .. حتى السيد بلال كان لطيفا جدا معي .."

قال بضيق " ناده عمي بلال كما افعل انا !"

تنهدت وهي تقول ببعض الضعف " احتاج ان اطمئن ماهر ، اطمئن انهم سيتقبلون عائلتي كما هم ، اذا ذهبنا اليوم لبيت عمتك .."

قاطعها وهو يقول بحدة " لايوجد (اذا) .. ستأتون جميعكم .. انا ساخذكم مباشرة بعد الافطار وسنقضي النهار كلنا هناك "

شحبت قليلا وهي تقول " لكن ماهر .. انهم غير مستعدين ، انا على الاقل معتادة على التواجد في وسطكم بحكم عملي في الشركة ، بينما .."

هزّ ماهر راسه ليقاطعها مرة اخرى قائلا " لماذا اشعر اني اكرر نفسي ؟!! "

نظر اليه بقوة وهو يقول بتمهل متعمد " صفية انت الآن خطيبتي .. خطيبتي .. هل تفهمين .. وفي حكمي (انا) انت اكثر من هذا بكثير .. انا اعتبرك (لي) منذ سمعت منك كلمة الحب وانا في المستشفى .."

احمرت بشدة وهي تدير رأسها جانبا فناداها قائلا " انظري الي حبيبتي .."

ارتعشت شفتاها وهي تدير رأسها اليه ليكمل بحنان مسّها في العمق " ما الذي يقلقك ؟! عائلتي اناس عاديون وسيحبون عائلتك كما احببتهم انا ... صدقيني "

ارتعشت بكل جسدها وهو يضيف بعذوبة " وهل هناك من لايعشق رقة توتة وجمالها المبهر وتلك العبوس المستفزة زينب ستثير الزوابع بشخصيتها المميزة ، اما طه فلديه حضور خاص بطريقته الواضحة الذكية الواثقة ، كل واحد فيهم يبرز بطريقته "

همست بألم " ماذا عن امي ماهر ؟! هل نسيتها ام تناسيتها ؟! هل سيتقبلون بساطتها الشديدة وعفويتها وضعفها الفطري ؟ انا لن احتمل اذا .."

صمتت تخنقها العبرة فقال ماهر بهدوء " هل تتصورين اني لم اذكر والدتك متعمدا لسبب او لآخر ؟! صفية هذه والدتك .... مهما كانت هي امك .. هذا يعطيها كل الحقوق وكل الاحترام .. انا لم اذكرها لانها والدتك وكفى .. "

مد يده يمسك بيدها وهو يهمس بمداعبة ناعمة " يكفي انها من انجبتك للحياة لتكبري شيئا فشيئا حتى التقت دروبنا وكنت لي ... وكأنها انجبتك خصيصا لاجلي ..."

قالت بوجه متورد وهي تتجنب النظر اليه " كم انت مغرور ! "

احتضن كفها وهو يهمس لها بصوت مبحوح " ألن تقوليها لي يا غزالة ؟! انا قلتها لك مرارا وانت لم تقوليها لي الا مرة واحدة يتيمة وغير محسوبة حتى ! "

اطرقت وهي تمتم بتلعثم " انا .. لا.. لا .. اقصد .. لااعرف .. ماذا .. اقول ! او .. كيف ..اعبر "

ثم فاجأته بأن رفعت عينين واسعتين اليه فرآهما كيف تموجات بجهل مؤثر لابجديات التعبير عن العشق !

قال بصوت لامس شغاف قلبها " انت تجهلين معنى الاستسلام للعشق ، انك كطفلة تسمع حكاوي الحب فتميل برأسها جانبها وتضع اصبعها على شفتيها لترمش بعينيها متساءلة (وما هو الحب ؟!!) "

ارتجفت بينما هو يبتلع ريقه مقاوما حاجته لان يقترب اكثر ، ان يلمس نعومة خديها فيستشعر نعومة مماثلة في روحها الانثوية المختبئة خلف جدار عالٍ من المسؤوليات التي تثقل كاهلها منذ سنوات ..

همست بصوت مرتعش " ارجوك لا تقل لي كلمات لااعرف كيف ارد عليها ... "

ارتعشت شفتاه بابتسامة وعيناه تتمليان النظر لوجهها فقالت بضعف " ولا تنظر الي هكذا! انا ... اشعر اني ... مرتبكة .."

ابتسم بحرارة قائلا " ما تسميه ارتباكا هو الحب يا صفية ! قلبك ببساطة يحاول التآلف مع حالة العشق ، اسأليني أنا فقد اصبحت خبير ا بفضلك "

احمرت بشدة بينما يرفع يدها لفمه لكنها سحبتها بقوة قبل ان يلثمها بشفتيه لتقول باضطراب وهي تقف على قدميها " آ ... آسفة .. لم اعد لك الشاي !"

ثم تركته لتهرب منه نحو المطبخ بينما هو يتابعها بنظراته ويتنهد ...

كانت خصلات شعره الكستنائي مبعثرة بجاذبية ، حافي القدمين ، عاري الصدر لايرتدي الا بنطال قطني كحلي ، يبحث عنها في ارجاء الكوخ ولا يجدها ، ابتسم بحرارة وهو يهمس لنفسه " تلك الشقية لاتتوقف عن التلاعب بي لاركض وراءها هنا وهناك ! "

حدد هدفه عندما خرج للباحة الرملية الخلفية للكوخ والمطلة على البحر مباشرة ، وجدها هناك بشعرها الطويل المتموج وهواء البحر يتلاعب به ، حافية القدمين مثله !

ترتدي جلبابا ابيضا خفيفا بفتحتين جانبيتين تظهران ساقيها النحيلتين ، اقترب منها على مهل ليفاجئها وهو يحيط خصرها بذراعيه ليشد ظهرها لصدرها فتتردد صدى ضحكاتها وهي تقاومه بدلال قائلة " هل استيقظت اخيرا ؟! "

اغرق وجهه في عنقها وهو يهمس لها " هل ساقضي حياتي الاحق خطواتك ؟! لماذا تركت السرير ؟!"

ردت بوجه محمر " استيقظت باكرا وانت كنت غارقا بالنوم "

قال بهمس أجش " منذ ايام وانا لاانام افكر فقط بليلة الزفاف .."

ذابت خجلا ولم ترد بينما قال بعاطفة مشتعلة " تعالي نعود للداخل فربما سيحضر والديک قريبا " ثم اضاف بغيظ " لااصدق انک البارحة اكدت على قدومهما الينا صباحا ! "

التفتت اليه برأسها وهي تقول بضحكة مشاغبة " الا يحق لي ان اطلب افطار العرائس ؟! انه تقليد يتبعه الجميع .."

رفع مهدي حاجبا واحدا وهو يتطلع لملامحها الشقية قائلا بحنق طفولي " هل تقولين ان عمي آسر وافق على الحضور هذا الصباح مع (افطار العرائس) كما تزعمين فقط ليتماشى مع تقاليد لايؤمن بها اصلا ؟!"

ردت بضحة رنانة " بل يفعلها ليغيظك قليلا .. " ثم اضافت بعاطفة حانية " ولانه يشتاق الي كما اشتاق انا له ، انها اول ليلة ابتعد فيها عنه"

ذابت نظراته رقة وهو يهمس لها " انت متعلقة به جدا " ردت بهمس ناعم " انه آسري .."

ابتسم وهو يسبل اهدابه فأخذت تتطلع اليه لتسأل ببعض التردد " هل تغار ؟ "

رفع نظراته اليها ليقول ببساطة " انا اعشقك وانت تقولين آسري بهذا الشغف فكيف تقولين اغار ؟!.." ثم دون سابق انذار رفعها بين ذراعيه وهو يهمس في اذنها " يا الهي كم انت شغوفة !"

عند باب غرفة النوم وقف شاهر وهو يتطلع لزوجته المستلقية على السرير بكسل فبدت مغرية وهي تتمطى بانوثة بينما اشعة شمس الصباح تتلألأ على خصلات شعرها ...

ابتسم وهو يتقدم منها حاملا صينية كبيرة ذات مسندين وهو يقول " صباحك عسل مصفى ..."

اسبلت اهدابها وهي ترفع جذعها لتأخذ وضع الجلوس ثم قالت بصوت ناعم " صباح الخير .."

جلس شاهر بجانبها على حافة السرير ليضع الصينية امامها ثم قال بابتسامة ساحرة وهو ينحني مقبلا خدها " فطورنا معا اميرتي .."

نظرت للفطور ثم رفعت عينيها اليه مبتسمة لكنها قالت ببعض العتب " فطور في السرير وقبلة ؟! كنت اظن انك تخاصمني منذ ليلة الامس !"

ضحك شاهر برقة وهو يسأل " انا اخاصمك ؟! ولماذا ؟"

ردت وهي تصب له الشاي " لقد التزمت الصمت اثناء عودتنا للبيت وما ان وصلنا حتى ابدلت ملابسك وذهبت للنوم مباشرة !"

ناولته كوبه وهي تنظر اليه مباشرة لتقول " اذن ؟! الا يعني هذا انك تخاصمني ؟!"

ابتسم شاهر وهو يتناول الكوب منها ليرتشف منه قليلا ثم قال بهدوء " لم تكن مخاصمة انما احيانا يأخذني الاستغراق في التفكير .."

كانت قد صبت لنفسها الشاي واخذت ترتشف منه هي الاخرى فقالت باستنتاج هادئ " التفكير في ماهر ... اليس كذلك ؟"

رد وهو يرفع عينيه اليها " اجل ... ماهر وصفية .."

التزمت الصمت فمد شاهر يده يلامس يدها قائلا برقة " هل ما زلت غير مرتاحة لارتباطهما ؟"

ردت وهي تحرك رأسها " بل انا غير مرتاحة لما حصل بالامس ! شعرت اني مهمشة وكل ما علي ان احاول اجادة التصرف وفق ما يُفرض علي "

عبس شاهر قليلا وهو يقول " نحن لم نفرض عليك شيء ، الموقف كان عفويا من آسر ، اراد اسعاد ماهر بالدرجة الاولى وبنفس الوقت تقديم صفية كخطيبة لابننا في مناسبة مهمة كزواج مهدي وسلسبيل "

قالت نهى ببعض الحنق " آسر يتصرف بجموح كعادته دون الاخذ بنظر الاعتبار تقاليد مجتمعنا والاصول المتعارف عليها "

صمت شاهر للحظة قبل ان يقول بتأن " نهى .. علينا ان نضع النقاط على الحروف ، انا اعلم ان ما حصل بالامس كان خارجا عن المألوف ولايتوافق مع المتبع عادة في خطوات الخطوبة والزواج ، لكن الوضع مع ماهر وصفية غير عادي ايضا ، اتمنى فقط ان تتفهمي وضعها اكثر ،

صفية فتاة لديها عزة نفس عالية جدا وعائلتها مهمة للغاية لديها ، انها من طبقة فقيرة بل وحتى فقيرة جدا وهي تتمتع بالذكاء الكافي لتدرك هذه الفوارق الطبقية ولا تتجاهلها "

صمت شاهر قليلا لكن نهى التزمت الصمت ايضا فاكمل قائلا بتركيز " علينا مساعدتها لتتأقلم معنا ولاتجد نفسها منعزلة ، هذا التأقلم يحتاج لدعمنا .. يحتاج ان نتفهم اختلافها هي وعائلتها عنا دون ان نعيب عليهم هذا الاختلاف فالمهم هو جوهر الانسان ومعدنه الطيب وفي المقابل انا اضمن لك انها ستحاول جهدها ان تثبت انها قادرة على الاندماج معنا لانها شديدة المثابرة وعلى قدر اي تحدي تقرر خوضه بنفسها ، ولذلك اتمنى منك فقط ان تعامليها بشكل افضل من ليلة الامس ، انا اعلم انك حاولت جهدك بناء على ما حصل من مفاجأة ولكن حاولي اكثر ان تتجاوزي كونها ليست بمستوى توقعاتك لزوجة ماهر "

قالت نهى بعد لحظات تفكير " اعترف اني احبطت عندما رأيتها ، لااستطيع خداعك او خداع نفسي يا شاهر ، هذه مشاعري حقا .. انا لااحاول التقليل من شأنها لكن الاختلاف واضح بينهما ، اقصد بين صفية وماهر ، لكني اعدك ان احاول جهدي من اجله هو لانه يحبها حقا واستشعرت انها تحبه ايضا "

صمتت للحظة قبل ان تقول بعينين لامعتين بعاطفة الحنان الامومي " البارحة ورغم ضيقي الا اني شعرت بسعادته وهو لايكف عن النظر اليها .. شعرت بقلبه يرتعش مع ارتعاشة يده وهو يحاول ملامستها خفية بينما هي تتحرج منه وتتمنع " تنهدت لتضيف اخيرا بنفس الحنان " دوما انا ضعيفة نحو ماهر بالذات اكثر من مهدي ولا اعلم لماذا بالضبط ؟! ربما لانه الصغير وربما لانه يدللني دوما ويشعرني بحمايته منذ كان طفلا ، صحيح ان مهدي يعاملني برقة ايضا لكن ماهر مختلف .. انه يمنحني دعما ملموسا اكثر ، يشعرني بالامان بطريقة ما "

اتسعت ابتسامة شاهر وهو يمد يده يلامس خدها بظاهر انامله ليقول بعذوبة " كم احب انوثتك هذه يا قارورة العسل ، دوما كنت هكذا .. قوية لكن مع مسحة ناعمة من ضعف ناعم يستنفر فينا آل الغازي كل قوانا لتدليلك "

ضحكت متوردة بينما يقول شاهر بلطف " سعيد اننا سنحتفل اليوم في بيت نجلاء ، سيكون شيئا رائعا ان نلتقي بعائلة صفية في محيط عائلتنا فقط ، هذا سيجعل الامور اكثر راحة لنا ولهم "

هزّت نهى رأسها وهي تقول " لاتقلق شاهر ، سأحاول اليوم ان اكون اكثر لطفا وتفهما "

رد بابتسامة " انا واثق من ذلك .."

عند الباب المطل على الحديقة وقف بلال متطلعا بحنان الى ولديه وهما يلعبان كرة القدم بحماسة مع ظافر تشاركهم حوراء اللعب بطريقة مضحكة لان الثلاثة يتجنبون الاقتراب منها اذا تحصلت على الكرة !

ضحك بلال بصوت مسموع وهو يرى الاحباط مرتسما على وجه محمود بالذات لانه مقيد الحركة بسبب حوراء !

همس الحبيبة الصغيرة داعبه من الخلف وهي تقول " ما الذي يضحكك ؟"

التفت اليها ليسحبها اليه لافا ذراعه حولها ثم قبّل جبينها قائلا " انظري لمحمود وانت ستعرفين !"

ضحكت نجلاء وهي تنظر لابنها بملامحه الممتعضة ثم انتقلت بنظراتها لوجه حوراء الذي يشع صحة وعافية ، بدت متألقة بثياب الرياضة وقد رفعت شعرها الطويل كذيل الحصان .

قالت نجلاء بمرح " محمود يريد الانطلاق لكن ظافر لايسمح له بسبب حوراء ، سيفعصه اذا لمسها ! "

رد بلال بابتسامة متسامحة " ظافر كما هو منذ كان طفلا ، هل تذكرين عندما كان يضرب مهدي ورياض اذا اوقع احدهما حوراء اثناء اللعب "

ضحكت نجلاء بينما يضيف بلال " سعيد ان ظافر يسيطر على نفسه اخيرا فلا يمنع حوراء من فعل ما تريد مستسلما لخوفه عليها "

ردت نجلاء بتنهيدة متعاطفة " ولكنه يعاني في داخله ، انا اشعر به ..."

ضحك بلال من قلبه قبل ان يقول وهو يشدد من ذراعه حولها " لافائدة منك ! دوما تأخذين جانبه .."

مالت برأسها لتسنده على صدره وهي تقول " انا احبهم جميعا لكن ظافر له مكانة خاصة ، انه شيء ليس بيدي ! لاأعرف هل لانه ابن آسر الوحيد ام لانه مميز بعاطفته القوية المجنونة "

رد بلال مداعبا اياها " لاتذكري هذا امام مهدي او ماهر والا شعرا بالغيرة من هذه التفرقة "

رفعت رأسها اليه لتقول بملامح متحمسة " انا سعيدة جدا لاجل ماهر ، الفتاة رائعة يا بلال ، احببتها جدا "

ثم عبست قليلا وهي تضيف " لكنها بحاجة لتنطلق بمشاعرها قليلا ، لااحب ان ارى ماهر يحبط !"

عاود بلال الضحك ثم قال من بين ضحكاته " لااصدق انك التقيت بالفتاة بالامس فقط والان ستخضعينها لخططك العاطفية "

هزّت نجلاء كتفيها وهي تعاود اسناد رأسها لصدره متمتمة باسترخاء " انا احببتها ، حقا احببتها جدا لكنها متوجسة منا بعض الشيء "

رد بلال بلطف " ستعتاد عليه وعلينا ايضا ، لاتقلقي صغيرتي .. المهم ان يكون لقاء اليوم ناجحا ومريحا لكل الاطراف "

اوشكت ان تسقط حوراء ارضا وهي تضحك عندما احاطتها ذراعين صلبتين وهمسه في اذنها جاء متوسلا " يكفي لعبا مولاتي اشعر اني ارهقت نفسيا بسببك ! "

كانت ما تزال تضحك بعفوية تبهج القلب لتقول برقة وهي تغمز له " لست وحدك من ارهق نفسيا ! انظر للتوأم وبالاخص محمود .."

داعبت ابتسامة ثغره وهو يقول " اصبحت مشاكسة جدا ! هل هذا بتأثير هرمونات الحمل ؟!"

ردت بضحكة صافية " ربما ..."

ثم اخذت تتثاءب وهي تقول ببطئ " ظافر انا اشعر بالنعاس فجأة ! "

مال مباشرة ليحملها وهو يهمس " نامي حبيبتي ، انا ساوصلك لسريرك "

تذمر التوأم باحباط بينما ظافر يعدهما العودة للعب الكرة حالما يطمئن على حوراء ..

التفتت صفية مرة اخرى تبحث عن عيني امها تجذب انتباهها بنداء (امي) فقط كي تمنحها نظرة دعم وابتسامة طمئنة ... فترد لها امها بنظرة تماسك هش يدمي القلب !

فلا تملك صفية الا ان تخفي نفسا مضطربا وتمنعه من ان يتسرب منها فيسرب معه احساسها بالتوتر والقلق الى اخوتها و ... اليه هو ... هو من تحب وتهوى ... هو من رضيت ان تقحم نفسها وعائلتها في حياته لاجل ان تكون معه ..

تطلعت لجانب وجهه وهو يقود سيارته بسلاسة بينما تجلس بجواره تعاني الاحساس بصعوبة الاعتياد ! تنبه لنظرتها فالتفت مبتسما ثم غمزها مداعبا ...

احمرت .... ثم رفعت يدا مرتبكة تلامس خصلات شعرها وهي تلوم نفسها لانها استسلمت لالحاحه وبقيت على نفس الملابس المكونة من هذا الجينز الرخيص والقميص الفضفاض المضحك !

لكن ماهر لديه نظرة مختلفة في كل شيء ! حتى انه عاتبها لغضبها من زينب التي أبت ان ترتدي فستانا بسيطا كأختها فاطمة واصرت على ارتداء الجينز مثلها مع بلوزة سخيفة بنية ..

لاتزال همسته تداعب اذنها " دعيها تكون (هي) فقط ... اريدها ان تكون مرتاحة تماما "

اما امها فلا تعرف ماذا فعل لها ليجعلها تضاحكه باريحية محببة وتخبره عن تفاصيل تعود لسنوات كثيرة مضت عندما كانت صفية طفلة في الثالثة تعاند في ارتداء حذائها بشكل صحيح وتصر على ارتدائه بشكل معاكس ..

" ها قد وصلنا ..."

اعلان ماهر اخرجها من افكارها وجعلها تدرك ان الصمت كان يعم السيارة منذ فترة ! وبدلا من ان تنظر للبيت الفخم الذي يوشكون على دخوله نظرت للخلف حيث عائلتها فاربكتها عيونهم المتسعة ونظراتهم المذهولة وهم يتطلعون للبيوت المترفة حولهم بانبهار صاعق ...

لم تملك الا ان تدعو اللّه من قلبها انها لم تقدم على اكبر خطأ في حق نفسها وحق عائلتها عندما استسلمت للحظة خانها فيها قلبها وخضع دون ارادة لماهر الغازي ...

وجه العمة نجلاء البشوش وهي تخرج اليهم مبتسمة مرحبة بكلمات عفوية محببة كان كهديل حمامة بيضاء تذكر خلق اللّه اننا جميعا عباد اللّه ...

تطلع ماهر لوجهها يقرأ ملامحها بتركيز شديد مستغلا انغماسها بمتابعة اللعبة القتالية الالكترونية التي يلعبها التوأم وجعلا طه يشاركهما بها ..

سعيد بل مبتهج جدا وهو يرى استرخاءها اخيرا ، لقد كانت شديدة التوتر طوال الطريق من بيتهم لبيت العمة نجلاء ولم تفته تلك النظرات التي تبثها لامها بين الفينة والاخرى ، لكن العمة نجلاء كعادتها احتوت الامور بعفويتها المحببة واخذت على عاتقها الاهتمام بأم صفية على وجه الخصوص واصرت على مناداتها بأم طه مما افرح الام وجعلها اقل شعورا بالهيبة مما كانت عليه وهي تترجل من السيارة ممسكة يد طه بقوة حتى توجع متأوها !

عينا ماهر انتقلتا من صفية لتلك العبوس الجميلة التي اصرت على الانتحاء جانبا وادعاء القراءة باحدى المجلات الرياضية التي يقتنيها التوأم باستمرار..

اما الناعمة توتة فها هي تقف بتردد قريبا من مكان جلوس الفتيان تراقب لعبهم وحياء السؤال يرسم ملامحها العذبة ...

علا صوت محمود هاتفا ببعض الحنق " ما أنت يا فتى ؟!! لم اعلمك اللعب الا منذ ساعة وها انت تتفوق علي !"

كان يوجه كلامه لطه بينما طه يشدد من تركيزه على اللعب ومحمد يضحك من غيظ اخيه ...

ثم فجأة رفع محمد رأسه يتطلع للشقراء قائلا بنبرة حنونة " هل تريدين اللعب ؟"

راقب ماهر باستمتاع وجه توتة يحمر ثم تلك الهزّة الموافقة من رأسها ليبتسم لها محمد ابتسامة واسعة ويقول " سأعلمك لعبة اجمل من هذه فقط انتظري ان ينتهي هذان الاثنان من قتل بعضهما بعضا !"

ضحكت توتة من قلبها ليلتفت محمود فجأة ويرفع نظراته اليها للحظات ثم عاود الاستدارة بسرعة ليركز على لعبه ...

اتسعت ابتسامة ماهر ثم التفت نحو صفية التي اتخذت من احدى الكراسي المنتفخة مجلسا لها بجانبه ليمد يده ممسكا بيدها المتراخية هامسا " تعالي لنخرج بعيدا عن هذا الهرج ما رأيك ؟ "

حاولت نزع يدها منه لكنها لم تستطع بينما تقول بعناد " لا ... لن افعل .. لن انسى انك حاولت تقـــ.. انت تعرف ... عندما اخذت العمة نجلاء امي معها لتساعدها في صنع الحلوى .. وانا قلت لك ان هذا غير صحيح "

ضحك بخفة قبل ان يهمس لها " انا لن اكف مهما قلت عنه غير صحيح ، وصدقيني انا لم احاول بعد ! " عبست في وجهه وهو يضيف بعينين ملتمعتين " عندما اريد تقبيلك حقا فسافعلها وسيكون لي ما اريد لكني اناغشك قليلا حتى تعتادي علي .."

زمّت شفتيها ولم ترد لياتي دخول العمة نجلاء لغرفة الانطلاق مرحا وهي تقول للتوأم " تعالا وساعدا ظافر بحمل الاغراض مع ابيكما "

هب التوأم واقفين ليعرض طه مساعدتهما فأخذاه معهما مما جعل صفية تبتسم بحنان وعندما اراد ماهر الوقوف اشارت له نجلاء ان يعاود الجلوس وهي تقول ببشاشة " لانحتاج اليك يا فتى .."

ثم التفتت نحو الفتاتين لتقول لهما بلطف " والدتكما تسأل عنكما يا فتيات .."

وهنا كانت صفيّة من هبت واقفة لتقول بعينين مشاكستين بنظراتهما الموجهة نحو ماهر " هيا يا فتيات .. لقد تركنا امي بمفردها لوقت طويل ..."

اوشكت صفية على الضحك بينما ترى عبوس العمة نجلاء الذي يعبر عن عدم رضاها وعبوس ماهر الذي يتوعدها ...

عندما دخلت صفية غرفة الضيوف مع اختيها كانت الابتسامة تشع منها وهي تستشعر خطوات ماهر الحانقة خلفها ، لكن تلك الابتسامة تجمدت على وجهها عندما رأت السيدة نهى على احدى الارائك الفاخرة تجلس باناقة مميزة من اعلى رأسها حتى اخمص قدميها بينما تضاءلت امها بجلبابها البسيط وحجابها الابسط ، بديتا متناقضتين بشكل رهيب بل ومرعب !

السيدة نهى كانت تلتزم ملامح محايدة لكنها لم تخفي توترها بشكل ناجح بينما امها كانت تشعرها كطفلة ضائعة مرتبكة ..

اخيرا تنبهت لوجود السيد شاهر الذي كان يقف في احدى الجوانب ليقترب من صفية بابتسامة ساحرة وهو يقول " مرحبا بعروس ولدي الشقي "

مدت يدا مرتعشة قليلا لتصافحه بينما عيناها ما زالتا تراقبان وجه امها ثم قالت " مرحبا سيد شاهر " ففاجأها السيد شاهر وهو يسحبها من يدها الممدودة ليقربها منه ثم طبع قبلة على جبينها وهو يقول بحنان " انت ابنتي الان يا صغيرة ويفترض ان تناديني عمي واطمح ان تناديني يوما ابي كما يفعل ماهر"

(ابي) .... كلمة طالما تمنت معناها المتجسد بهذا الرجل دون سواه ... هل استجاب اللّه لحاجة انهكتها لسنوات ؟

حاجة التي لم تجرؤ حتى على اسباغ هيئة الامنية عليها فتطلبها في دعاء !

رفعت صفية عينيها لهذا الرجل المميز بكرم روحه واختنقت بغصتها لتهمس بحشرجة " يوم اناديك ابي ساعتقد اني احلم لامحالة ، لم اتمنَ يوما ان يكون احد ابي سواك .."

فاضت عينا شاهر الغازي تأثرا فحاوط كتفيها بذراعه وهو يبتسم بانشراح ليأخذها نحو زوجته قائلا بفرح " انظري لهذه الفتاة الرائعة ، السنا محظوظين بها ؟!"

باناقة حركة هي امتداد لاناقتها في كل ما يخصها وقفت نهى على قدميها ترسم ابتسامة محايدة لتقترب من صفية التي شعر شاهر بتشنج جسدها فشد عليها بذراعه في ردة فعل عفوية مانحا اياها دعمه لكن حالما اقتربت نهى تقدمت صفية اليها فاخذتها نهى بين ذراعيها تقبلها ببرود اقل مما فعلت ليلة الامس ، او بحرارة اكثر ...

قالت لها بصوتها الانثوي الجميل " مرحبا صفية كيف حالك يا ابنتي ؟ لقد تعرفت بوالدتك .. امرأة طيبة .."

نظرات نهى انزلقت على ملابس صفية دون ان تمنح تعبيرا او ربما اخفته باتقان !

ردت صفية بنبرة لطيفة واثقة " مرحبا سيدة نهى ، انا بخير الحمد للّه شكرا لك .."

تبسمت نهى وقالت بلهجة محايدة " ناديني خالتي نهى كما يفعل اولادنا عادة .."

هزّت صفية رأسها وهي تلتزم بنفس الابتسامة اللطيفة ثم تحررت من ذراع شاهر لتقترب من امها الجالسة فمالت على رأسها تقبله لتلتفت بعدها نحو السيدة نهى قائلة " لقد التقيتِ بأمي .. خالتي نهى .. واود ان تلتقي باختيّ .. زينب وفاطمة .."

وأشارت برأسها نحو الباب حيث تقف زينب وفاطمة وجلتين بعض الشيء بجانب العمة نجلاء ،

استدارات نهى وتقدمت نحوهما لتسلم عليهما بلطف لاخصوصية فيه فاستقبلت فاطمة لطفها بابتسامة ناعمة بينما زينب كان وجهها خالٍ من التعبير لكن نظراتها عبّرت عن اعجاب بجمال هذه المرأة وحضورها الناعم ...

قالت نجلاء بتساؤل لنهى " متى حضرتما ؟! كنت اتصور انكما ذاهبين للعروسين مهدي وسلسبيل مع آسر ونادية "

كان شاهر قد تقدم هو الآخر ليسلم على الفتاتين بينما يرد على اخته " انت تعرفين آسر ! يريد مدللته ليستفرد بها وحده فقلت له احضرهما معك ولاداعي لذهابنا جميعا اليهما .."

ضحكت نجلاء ونهى بينما يضيف شاهر غامزا " يكفي اني ساغيظه دائما ان ابنته ستسكن معي انا ..."

وما بين حوارهم وضحكاتهم كان ماهر ينظر لصفية باعتزاز لاحدود له ، كيف تمسك بيد امها ترفعها لفمها تقبلها بحنان يمسه هو شخصيا تهمس لها ببضع كلمات عن طه لتفرحها وتقلل من توترها لكل هذه التغييرات التي تواجهها ...

ثم جاء صوت حوراء الخجول وهي تقول من عند الباب " مرحبا .. اسفة كنت نائمة .."

انسابت الساعات ليلتحق باقي افراد العائلة ويحتفلوا بعروسي الامس ومع غروب الشمس احضرت العمة نجلاء قالب حلوى كبير بينما تحمل حوراء علبة مجوهرات مربعة كبيرة لتقول ببشاشة ووالدها يحيط بكتفيها " هذه هدية والدي لعروسنا الجديدة صفية .."

توردت صفية ثم رفعت نظراتها لماهر الذي كان يجلس على ذراع كرسيها فمنحها ابتسامته ليقف بعدها متقدما من حوراء اخذا العلبة من يدها ثم مال نحو عمه بلال فقبّل كتفه وبلال يبتسم في حبور ويهنئه ...

عاد ماهر لصفية المرتبكة فمد يدا لها فوقفت تمسك يده وبنظرات مترددة تتنقل بين الجميع لتداعبها نظرات آسر الغازي الذي غمز لها مبتسما باستفزاز مرح ...

اخذت نفسا وهي تقف قبالة ماهر بينما يفتح العلبة ويخرج عقدا ذهبيا مرصعا باللؤلؤ الناعم واصر على الباسها اياه بنفسه ...

كانت تطرق برأسها وتشعر بجلدها يقشر من ملامسة انامله العفوية لرقبتها من الخلف وهو يغلق لها العقد ، همست بوجه مشتعل " شكرا "

وعلى حين غفلة احاطها بذراعيه يحتضنها لصدره بقوة ووجهه مغمورا بين خصل شعرها هامسا في اذنها " يا الهي كم انا احبك .."

ضحكاتهم جميعا تأتيها من بعيد وهي مغمورة بعنفوان عاطفته ، احساس دافئ عذب وارتواء روحي وهي تتنشق رائحته ..

لم تشعر يوما انها سعيدة هكذا ، لم تشعر يوما انها تريد البقاء في مكان كما ارادت البقاء بين احضانه ...

صوت آسر الغازي داعب غمامة مشاعرها وهو يقول بمرح " اين اختفت الفتاة ؟! هل رآها احدكم ام تلاشت فجأة ! "

صدره اهتز بالضحك بينما يعاود همسه الحار قائلا " اقسم لم يتلاشَ الا قلبي !"

بينما الجميع يتضاحكون كان محمود يلتزم الصمت وعيناه تحدقان امامه ، تنبّه له محمد وتتبع نظراته حيث تجلس اختا صفية جنب بعض ، فاطمة تبتسم بوجه متورد وزينب تبتسم بتردد وعلى استحياء ، عبس محمد قليلا ثم وكز اخاه بكوعه ليهمس له بحنق " الا تخجل ! انها اخت صفية الا يمكنك ان تعتق اي شقراء تلتقيها ؟؟!!"

رد محمود بشرود " ايّ شقراء ؟! " ثم صمت ليتساءل بنفس الشرود " ترى لماذا لم تشاركنا اللعب ؟! "

فتح محمد فمه بدهشة وهو يحدق نحو زينب ..

عند باب الشقة سمحت صفية لاختيها بالمرور بعد ان فتحت القفل وراقبتهما بابتسامة صافية كيف تتهامسان في ضحك ناعم متآمر ، ثم تبعتهما امها مع طه بعد ان ترددت قليلا لتقول لماهر بحنان خجول " انا سعيدة بك بنيّ واحببت عائلتك .."

ثم توارت مبتعدة وهي تتمتم " تصبح على خير "

تنهدت صفية وهي ترد باب الشقة دون ان تغلقها ، كانت تقف بصحبته دون ان تمنحه الفرصة ليطلب الدخول ..

نظرت لساعة يدها بتعمد ثم قالت بمرح مغيظ " انتهى وقتك ايها الفتى الذهبي ، عد لبيتك الآن .."

ضحك بخفة وهو يقترب بينما ترفع سبابتها امامه محذرة اياه بالقول " ابتعد ولا تفعل .."

ضحك مرة اخرى وانفاسه تدفئ وجهها ثم رفع يده يلامس خدها فترتعش رغما عنها وهي تبعد يده هامسة بضعف اقوى من ارادتها " ماهر .."

رد همسها بهمس مشتعل " ها هي حروف اسمي يحتضنها الشوق منك يا غزالة "

مد يده الاخرى ليلامس رقبتها فعاودت دفعها باضطراب وهي تنهره بهمس حانق " لاتفعل .."

لكنه لم يرتدع ليحاول ملامستها مرة اخرى وهي تدفع يده بينما يكلمها برقة " غدا سأراك في الشركة ، اعلم انك ستحبين الاستمرار بالعمل وانا اوصيت الاستاذ حكمت الاهتمام بك .. لاجلي "

عقدت حاجبيها وهي تدفع يده التي تلامس اسفل اذنها قائلة " هل اوصيت علي الاستاذ حكمت ؟! متى ؟؟ "

ضحك قائلا وهو يقاوم يدها العنيدة " حالما رجعت الشركة بعد خروجي من المستشفى .. وقبل ان تتسائلي اكثر انا طلبت منه عدم اشعارك بشيء حتى تتم خطبتنا "

زفرت في حنق لذيذ من محاولاته المستمرة لملامستها لتمسك بكلتي يديه وترفع نظرات متحدية اليه ثم قالت " اذا كنت تريد عقد القران فسيكون بعد شهر ..."

اخافتها نظراته التي اشتعلت ولم تشعر بقوة يديه وهو ينفض يديها الممسكتين بهما لتحاوطا وجهها ودون ابطاء كان وجهه يميل نحوها وشفتيه تهمسان باسمها قبل ان تحطا على شفتيها ...

لاتعرف ما حصل لها ولا كيف فقدت ارادتها السيطرة على جسدها لتستسلم لشغفه الحارق هذا ..

عندما ابتعد عنها كانت تتمتم بوهن " انت اكثر انسان مغيظ قابلته في حياتي ! "

ضحك بارتعاش قبل ان يهمس لها " عيد ميلاد التوأم بعد ثلاثة اسابيع ويكونان قد انهيا الامتحانات مع اخوتك وكذلك سلسبيل .. عندها سيكون عقد القران ليحتفل معنا مهدي وسلسبيل قبل سفرهما في شهر عسل متأخر ... "

همست بعينين واسعتين تلتمعان بالغيظ " انت لاتطاق ! "

الخاتمة

مع خطواتها الاولى بعد تجاوزها لعتبة الباب اخذت صفية تتطلع حولها ببعض الضياع !

هذا البيت المفروش بافخم الاثاث واكثرهم اناقة وحداثة يفترض لها ولماهر لكنها لم تساهم به ولا بقشة ! حتى معنويا لم تشارك ولو بابداء رأي في قطعة اثاث صغيرة ، لقد تولت الخالة نهى كل شيء من الألف الى الياء وماهر حثها على القبول وترك والدته تفعل ما تريد وهما سيغيران ما يريدانه فيما بعد ...

كان ببساطة يرضي امه كما ارضتها هي بترك اختيار فستان العرس لها ! حتى تسريحة الشعر وزينة الوجه وكل شيء ..

تعترف انها في داخلها لاتهتم كثيرا بهذه الامور ولذلك تركت لـ(حماتها) هذه المهمة التي يبدو واضحا انها تعشقها وتتفنن بها ...

تركزت نظراتها على طاولة مستديرة امامها مباشرة توسطت مدخل البيت المفتوح على سلالم تؤدي للطابق الثاني ، تلك الطاولة تثير هلعها ! رغم صغرها الا انها تعادل ثروة لبعض الناس ! لقد اشترتها الخالة نهى من صاحب انتيكات نادرة وجعلتها هنا في واجهة الدخول وها هي تضع عليها باقة ورد مميزة جدا فتعطي بهاء وبريقا ملفتاً .

عادت لتنظر حولها وهي تتمتم في سرها " كل شيء هنا يبرق ويسطع بشكل مخيف ! هل يعقل هذا هو البيت الذي سأعيش فيه أنا ؟! "

صوت اغلاقه لباب البيت خلفها جعلها تستدير نحوه فهفهف فستانها حولها وتمايلت طرحة الزفاف لتلامس جانب وجهها فابعدتها ببعض النزق بينما ماهر يستند بظهره للباب متكتفا ويبتسم ابتسامة جعلتها ترتعش من اخمص قدميها المحجوزين في حذاء بكعب عالٍ جدا وحتى اعلى رأسها المتثاقل من حمل تاج اميري ...!

ابتلعت ريقها وهي تتراجع قليلا حتى لامست الطاولة المستديرة الفخمة بجسدها من الخلف ثم قالت بحشرجة " توتة كانت ... دامعة العينين !"

اتسعت ابتسامته واشتعلت عيناه وهما تركزان النظر على شفتيها " اصبحت تنادينها توتة مثلي !"

ردت وهي تبتلع ريقها مرة اخرى " هي احبت هذه التسمية منك .."

ارخى ذراعيه ليتقدم خطوة منها فانكمشت لتقول على عجل " زينب ايضا كانت مرتبكة ، اعتقد .. اعتقد اني يجب ان اذهب اليهم واطمئن عليهم "

رفع حاجبا مستفزا واحدا وهو يلتزم الصمت وابتسامته لاتتزحزح ! ليرد بسلاسة مغيظة " لقد اطمأننت عليهم جميعا قبل دقائق فقط "

اشتعل حنقها منه لتقول بعناد " امي ستشعر بالضياع في البيت الجديد وتحتاج مني ان اطمئنها قليلا "

ضحك بخفوت قبل ان يقول بثقة " خالتي بخير ومعها الفتيات وطه ايضا وهم لايبعدون عنا بأكثر من بضعة خطوات "

ثقته بنفسه اغاظتها جدا فقالت باتهام " اشعر انني وعائلتي قد تم اجتياحنا من عائلة الغازي ! الا تعرفون بعض الرحمة ؟!"

ضحك ماهر عاليا وقال متفكها " هلا شرحت لي كيف تم هذا الاجتياح يا غزالة ؟"

اصبحت كلمة التدليل من فمه تثيرها بطريقة عجيبة ! تضعفها وتجعلها تشعر بانوثتها بطريقة لم تشعرها في حياتها ...

قالت بحنق طفولي لتعبر عن توترها " انت وابنة عمك المحتالة ضحكتما علي واقنعتماني بقبول الزفاف مع عقد القران وعيد ميلاد التوأم والحجة انها تريد السفر في شهر عسل ممتد لعدة اشهر قادمة ، ثم يأتي العم بلال بعرض هذين البيتين القريبين من بيته فيعجب عمي شاهر ويجعله لايتردد بشرائه وخالتي نهى تسارع لاختيار الاثاث والخالة نادية والعمة نجلاء يحضّران للعرس في سرعة قياسية !

وها انا اجد نفسي بعد اقل من شهر منذ قلت نعم لخطبة مبدئية اجد نفسي عروس بثوب زفاف يجعلني ابدو كـ...."

قاطعها ليهمس بحرارة " كأميرة من العصور الغابرة ، غزت قلبي وعقلي وروحي بلا رحمة .. فلم يهنأ لي بال حتى اختطفتها لنفسي ... وآآه يا غازية كم تعذبت حتى وصلت اليك .."

كان يتقدم منها وهو يقول كلماته الاخيرة بينما قلبها يدق بعنف ولسانها الجمته كلماته ..

رأته يوشك ان يصل اليها وعيناه تحكيان الكثير مما تفهمه ومما لاتفهمه لكنها تستشعره وما تستشعره يجعلها تتخضب بالحمرة القانية ...

وصل اليها بينما يقول بحشرجة " دعيني اخلع عنك هذا التاج فاعتقد ان رأسك يؤلمك بعض الشيء من حمله "

قبل ان تنطق كان يمد يديه نحو التاج واخذ يحرر شعرها المرفوع منه ، كانت انفاسها تتلاحق وعطره هذه المرة لم يكن يغيظها ابدا بل يسلبها ارادتها فلا تعترض على اي شيء يفعله !

استنفرت دفاعاتها فجأة فتحركت بسرعة هاربة منه بينما هو يسحب التاج مع الطرحة المعلقة به مما جعل بعض الخصل من شعرها تتحرر لتتناثر حول وجهها بفوضوية ..

التتفت حول الطاولة وجعلتها كحاجز بينها وبينه ، اخذت تنظر لعينيه الضاحكتين بتحفز وهي تقول من بين اسنانها " لاتقترب مني يا ماهر "

ضحك بخفة وهو يرد بصوت متحشرج " هل تريدين اللعب الليلة يا غازية ؟!"

ردت بتحفز اكبر " قلت لك لاتقترب ! يكفي ما عانيته منك طوال الاسابيع القليلة الماضية وانت تحاصرني في كل مكان حتى اصبحت حديث الموظفين في الشركة ومادة للتندر"

رفع حاجبيه ببراءة قائلا " انا لم اقبلك ولا مرة واحدة خلال تلك الفترة واحترمت انك تريدين عقد القران اولا اما في الشركة فيحق لي ملاحقتك يا غزالة ولااهتم لما يقوله الموظفون "

ضربت بقدمها على الارض وهي تقول بحنق " انا اهتم ! وانت لاتحاصرني هناك فقط بل حتى في محيط عائلتك وقد اصريت ان نلتقي كل يوم ونأخذ عائلتي في بيتكم وبيت اقاربكم هنا وهناك "

هزّ كتفيه ليقول ببساطة " كان يجب ان يعتادوا علينا ، وانا فعلت الافضل وها هم يسكنون جنبنا في بيت لايفصله عن بيتنا ولا حتى سور عازل " ثم اضاف بصوت مبحوح وعيناه تتمليان النظر من خصل شعرها المتناثرة " ألم يكن تخطيطي لكل شيء مناسبا غزالتي ؟! "

تحرك نحوها فالتفت حول الطاولة لتبتعد عنه وهي تقول بشراسة " اذن انت تعترف انك فعلت كل شيء لتضمن ان نتزوج الليلة اليس كذلك ؟ جعلت سلسبيل تقنعني بالزفاف ودفعت العم بلال لمساعدتك في ايجاد سكن يلائمنا معا مع عائلتي ووالدك كان اكثر من سعيد للشراء والكل اخذ يعمل كخلية النحل من اجل الزفاف السريع بينما انت تجر عائلتي هنا وهناك ليعتادوا سريعا على كل شيء ومن جهة اخرى تحاصرني وتحيطني بغمامة من العواطف تلهي عقلي فلا ابدي اي اعتراض على اي شيء ! وانا الغبية مغيبة في عالم آخر ..."

ضحك ماهر عاليا ليعاود الالتفاف ليقترب منها منها وهي تزمجر مبتعدة ليقول ببساطة " لااعرف لم انت غاضبة الآن ؟! كل شيء رائع وجرى بشكل رائع "

ثم اضاف بصوت أجش " لم يبقَ الا ليلة زفاف حافلة نبدأها الآن بالتحديد "

حاول الاقتراب مرة اخرى وهي تلتف مبتعدة وتقول بعناد وتمرد " لقد خدعتني يا ابن الغازي ! وستنال عقابك لهذا الخداع ايها الفتى الذهبي المدلل "

في لحظة فاجأته لتخلع حذائيها ثم رفعت طرفي فستانها بطبقاته العديدة ثم اخذت تتحرك يمينا ويسارا وهدفها واضح بالهرب منه !

انفجر ماهر ضاحكا ليخلع سترته وربطه عنقه ويرميهما ارضا ثم تحفز معها وهو يفتح زريّ كميه ويطويهما بينما جسده يتحرك يمينا ويسارا معها ليمنعها الهرب ..

قال برقة وعيناه تلمعان بالشقاوة " لم اكن انتظر منك ليلة زفاف اقل اثارة "

زمجرت اكثر وتحفزت وهي تناوره بينما هو يحاول ان يطبق الفخ حولها حتى لاتهرب ..

خدعته للحظة لتجعله يذهب في اتجاه لتهرب من الاتجاه الاخر فتناولت قدماها درجات السلم تنهبها نهبا وهي تضحك منه بشماته وخصلات شعرها تتهدل حولها اكثر ...

وصلت لغرفة النوم وهي تلهث واوشكت ان تنجح وهي تدخل لتغلق الباب خلفها لكنه كان قد لحق بها ودفع الباب بقوة لتتراجع للخلف وهي تشهق متعثرة بفستانها وقبل ان تسقط ارضا كان هو يلتقطها وقبل ان تعترض كان يميل اليها بشفتيه مغرقا اياها بعاطفة اذابتها واذابة اي اعتراض او تمرد ، ابعد شفتيه وهو يهمس اسمها فترد همسه بهمس اسمه وبينما يقبل رقبتها بجنون رفعها بين ذراعيه نحو السرير ، انفاسه تشتعل كانفاسها وبينما هي بين ذراعيه همس لها بتوسل عاطفي " هل تحبينني كما احبك ؟"

لامست وجهه بكف ناعم مرتعش وهي تهمس والمشاعر تخنق كلماتها " قلبي... ملكك ماهر ... ملكك ... وحدك .. انا لم اعرف... يوما ان لي قلبا .... الا عندما ... خفق بحبك .."

همس باشتعال وهو يميل نحوها " اخيرا ... ياغزالة ... اخيرا انت لي حقا ... كلك لي .. "

بعد شهرين ...

" هل تأذيتِ توتة ؟"

مد محمود يده ليساعد فاطمة على النهوض بعد ان وقعت من على دراجتها بينما يرى من بعيد زينب تعود ادراجها وهي تقود دراجتها بحماسة مفرطة !

وقفت فاطمة على قدميها وهي تبتسم بوجه محمر نحو محمود وتقول له بحياء " انا بخير .. "

جاء صوت محمد من الخلف مستفهما " ما بك توتة ؟؟"

عندها كانت زينب قد وصلت بحاجبين معقودين لتنزل من دراجتها وتقترب منهم تمد يدها لاختها فتسحبها ببعض الحدة اليها وهي تتطلع لمحمود ببعض العدائية وتقول " هل اوقعتها ؟!"

رفع محمد حاجبيه في عجب بينما عبس محمود قائلا " ولماذا اوقعها ؟! انا كنت مع اخي عند محل الالعاب الالكترونية ورأيتها تقع فخرجت لمساعدتها " صمت للحظة قبل ان يضيف بمشاكسة " بينما انت تطيرين على دراجتك تتركينها بمفردها ! ماذا سيحصل اذا ضايقها بعض الاولاد هنا ؟!"

كزّت زينب على اسنانها بينما فاطمة تحاول تهدأتها " زينب لم يحصل شيء هيا بنا نعود ارجوك "

قال محمد برقة وهو يبتسم في وجه فاطمة " هل انت بخير ام آذيتِ نفسك ؟"

اتسعت ابتسامة فاطمة وهي تنظر اليهما معا بفرح وتقول " لاتقلقا انا بخير .. شكرا لكما "

فقال محمود بابتسامة ناعمة وهو يتجاهل زينب تماما " اهتمي بنفسك وانت تقودينها فهي تبدو اكبر من حجمك "

عندها سحبتها زينب اليها اكثر والغيرة تنضح من كلماتها وهي تقول للتوأم معا " لاتقلقا على فاطمة ، انا قادرة على مساعدتها دوما ..." ثم التفتت نحو فاطمة لتقول " هيا بنا نعود ، امي بانتظار الخبز "

فودعتهما فاطمة بينما تجاهلتهما زينب وهي تعاود ركوب الدراجة ..

ظل التوأم ينظران للفتاتين وهما تبتعدان معا ..

احداهما تتلفت حول نفسها بحيرة الخوف من الوقوع والاخرى تخفي حيرة غامضة خلف جدار من العبوس الغاضب !

*** تمت ***

وملتقانا قريبا ان شاء الله

مع الجزء الرابع من السلسلة